العقيدة

تجريد التوحيد المفيد

تجميع المحاضرات ١ - ٨

الدكتور
حمد السريح

الفهرس

مدخل إلى كتاب: تجريد التوحيد المفيد ٧
"تجريد التوحيد المفيد" ٧
"تجريد" ٧
تعريف التجريد ٧
الغاية من اختيار مصطلح "التجريد" ٧
"التوحيد" ٨
تعريف التوحيد ٨
المراد من اختيار اللفظ ٨
أمثلة لمن شذ في معنى التوحيد ٩
توحيد الفلاسفة الباطل ٩
توحيد الجهمية الباطل ٩
توحيد نُفاتِ الصفات الباطل ١٠
التوحيد الخالص وأقسامه ١٠
التوحيد الخالص دعوة الرسل ١٠
أقسام التوحيد ١٠
"المفيد" ١٢
"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، وبه نستعين" ١٣
"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ" ١٣
بسم الله ١٣
البسملة والتسمية والنحت ١٣
البسملة آية من القرآن ١٤
بسم الله ١٥
الرحمن الرحيم ١٨
بيان معنى الرحمن والرحيم والفرق بينهما ١٨
"وبه نستعين" ١٩
بيان معنى الإستعانة ١٩
أقسام الناس في العبادة والإستعانة ١٩
"الحمد لله رب العالمين" ٢٠
"الحمد لله" ٢٠
الفرق بين الحمد وغيره من صيغ الثناء ٢١
الفرق بين الحمد والمدح ٢١
الفرق بين الحمد والثناء والتمجيد ٢١
صلّى الله ٢٣
وسلّم ٢٥
"على نبينا محمد ﷺ" ٢٦
"محمد خاتم النبيين" ٢٧

أسماء رسول الله ﷺ ٢٩
"وعلى آله وصحبه أجمعين" ٢٩
"على آله" ٢٩
"وصحبه آجمعين" ٣٠
"أما بعد" ٣١
"فهذا كتاب جمُّ الفوائد بديع الفرايد ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة" ٣١
قال "فهذا كتاب جم الفوائد" ٣١
"فهذا كتاب" ٣١
"جمّ الفوائد" ٣٢
"بديع الفرايد" ٣٢
"ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة" ٣٢
"سميته تجريد التوحيد المفيد، والله أسأل العون على العمل به بمنه وكرمه" ٣٣
"سميته تجريد التوحيد المفيد" ٣٣
"والله أسأل العون على العمل به بمنّه وكرمه" ٣٣
"والله أسأل" ٣٣
"العون على العمل به بمنه وكرمه" ٣٣
"أعلم أن الله ﷻ هو رب كل شيء ومالكه وإلهه" ٣٣
"أعلم" ٣٣
" أن الله سبحانه هو رب كل شيء ومالكه والهه" ٣٤
"رب كل شيء" ٣٥
"ومالكه" ٣٥
"وإلهه" ٣٥
"أن الله ﷻ هو رب كل شيء ومالكه و إلهه" ٣٦
"رب كل شيء" ٣٧
"ومالكه" ٣٧
"وإلهه" ٣٧
"فالرب مصدر رب يربّ ربّا، فهو رابّ، فمعنى رب العالمين راب العالمين" ٣٧
"فالرب مصدر رب يرب رباً" ٣٧
"فمعنى رب العالمين راب العالمين" ٣٧
"فإنّ الرب ﷻ هو الخالق الموجد لعباده القائم بتربيتهم وإصلاحهم المتكفّل" ٣٨
في معنى الربوبية ٣٨
فيما كان من الشرك الواقع في الأمم ٣٩
"والإلهية كون العباد يتخذونه ﷻ محبوبا مألوها، ويقيدونه بالحب" ٤٠
"الإلهية" ٤٠
"يتخذونه سبحانه محبوبا مألوها ويفيدونه بالحب" ٤٠
أنواع العبادة ٤١

العبادة بمعنى المتعبّد له..... ٤٢
العبادة باعتبار المتعبّد به..... ٤٣
"والخوف والرجاء والإخبات والتوبة والنذر والطاعة والطلب والتوكل"..... ٤٤
"والخوف"..... ٤٤
"والرجاء"..... ٤٤
"والإخبات"..... ٤٥
معنى الإخبات وصفات المخبتين..... ٤٥
"والتوبة"..... ٤٦
"والنذر"..... ٤٧
أنواع النذر..... ٤٧
أقوال العلماء في النذر..... ٤٧
"والطاعة"..... ٤٧
معنى الطاعة..... ٤٨
"والطلب"..... ٤٨
"والتوكل"..... ٤٩
التوكل..... ٤٩
التواكل..... ٤٩
الفرق بين التوكل والتواكل والتآكل..... ٤٩
"فإن التوحيد حقيقة أن ترى الأمور كلها من الله ﷻ رؤية تقطع الإلتفات للأسباب والوسائط"..... ٥٠
"وهذا المقام يثمر التوكل وترك الشكاية للخلق وترك لومهم والرضا عن الله والتسليم لحكمه"..... ٥١
"وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه ﷻ والعبادة والتأله من عباده له ﷻ"..... ٥٢
توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية..... ٥٢
"واعلم أنّ أنفَس الأعمال وأجلها قدرًا توحيد الله ﷻ"..... ٥٢
"أنفس الأعمال"..... ٥٢
حق العباد على الله ﷻ..... ٥٣
"غير أن التوحيد له قشران"..... ٥٤
قِشرا التوحيد..... ٥٤
"ويسمى هذا القول توحيدا"..... ٥٥
"وهو مناقض التثليث الذي يعتقده النصارى"..... ٥٥
تناقض النصارى مع التوحيد..... ٥٥
"وهذا التوحيد يصدر أيضا من المنافق الذي يخالف سرّه جهره"..... ٥٦
التوحيد الحكمي الظاهري..... ٥٦
"والقشر الثاني ألا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول"..... ٥٦
التوحيد الحقيقي الباطني..... ٥٦
"بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به"..... ٥٧
"وهذا هو توحيد عامة الناس"..... ٥٧

"ولُبَاب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله ﷻ ثم يقطع الالتفات عن الوسائط" ٥٧
"لباب التوحيد" ٥٧
"أن يرى الأمور كلها لله ﷻ" ٥٨
"ثم يقطع الالتفات عن الوسائط وأن يعبده ﷻ عبادةً يُفرد بها ولا يعبد غيره" ٥٩
"ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى" ٥٩
أتباع الهوى ٥٩
شرك الهوى الأكبر ٥٩
شرك الهوى الأصغر ٦٠
"فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده" ٦٠
اتخاد الهوى معبودا ٦٠
"وإذا تأملت عرفت أنّ عابد الصنم لم يعبده إنما عبد هواه" ٦٣
"وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها باتباع الهوى" ٦٣
ميل النفس إلى المألوفات ٦٣
أقسام الهوى ٦٣
"ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق والإلتفاف إليه" ٦٤
"وهذا التوحيد مقام الصدّيقين" ٦٥
المقامات والأحوال عند الصوفية ٦٦
الحال ٦٦
المقام ٦٦
مرتبة الصديقية ٦٦
"ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل أقروا بأنه ﷻ وحده خالقهم" ٦٧
إقرار المشركين لتوحيد الربوبية ٦٧
وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة" ٦٨
إنكار المشركين لتوحيد الألوهية والمحبة ٦٨
"وقد علّم الله ﷻ كيفية مباينة الشرك في توحيد الإلهية" ٧١
الربوبية والألوهية ٧٢
توحيد الحاكمية ٧٤
"توحيد الربوبية هوالذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها" ٧٥
" توحيد الإلهية مَفرَق الطرق بين المؤمنين والكافرين والمشركين" ٧٥
"كلمة الإسلام: لا إله إلا الله" ٧٦
معنى: لا إله إلا الله ٧٦
"فلو قال لا رب لما أجزأه عند المحققين" ٧٧
لا يجاوز حناجرهم ٧٨
"توحيد الألوهية هو المطلوب من العباد" ٧٩
في بيان اسم الله: "الله" ٧٩
إسم جامع للأسماء الحسنى وللصفات العلى ٨٠

"فهو ﷻ يحتج على منكري الإلهية بإثباتهم الربوبية" ٨٢
الإستعاذة بالرب ٨٣
الإشراك في الربوبية ٨٦
القدرية ٨٦
مراتب الإيمان بالقدر ٨٧
غلوّ القدرية ٨٧
"وشرك الأمم نوعان: شرك في الإلهية وشرك في الربوبية" ٨٨
أنواع الشرك ٨٨
شرك الإلهية ٨٨
شرك فى الربوبية ٨٩
المعبودات الشِّرْكِيَّة ٨٩
الأصنام ٨٩
عبادة الجن ٩٠
عبادة الملائكة ٩٠
عبادة المشايخ ٩٠
عبادة الصالحين ٩١
"إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى" ٩١
حجج باطلة ٩٢
الشفاعة بغير الله ٩٣
الشرك نوعان ٩٤
الشرك الأكبر ٩٤
الشرك الأصغر ٩٤
دلائل وجوب التوحيد ٩٥
شرك من جعل مع الله آلهة أخرى ٩٦
شرك الفلاسفة ٩٦
شرك القدرية ٩٨
الشرك في الأفعال ١٠٠
"السجود لغيره ﷻ" ١٠٠
" بغير بيته المحرم" ١٠١
"وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره" ١٠٢
"وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود " ١٠٣
"غير الحجر الأسود الذي هو يمينه ﷻ في الأرض" ١٠٤
تقبيل الحجر الأسود ١٠٤
بيان أثر "يمين الله في الأرض" ١٠٤
اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ١٠٦
العلة في تحريم اتخاذ القبور مساجد ١٠٧
زيارة النساء للقبور ١٠٩
اتخاذ أهل الكتاب قبور أنبيائهم مساجد ١١٢
أقسام زيارة القبور ١١٣

زيارة شرعية..... ١١٣
زيارة شركية..... ١١٣
زيارة بدعية..... ١١٤
النهي عن الصلاة بعد العصر والصبح..... ١١٥
"لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد غير الله"..... ١١٥
"ومن الشرك بالله ﷻ الشرك به في اللفظ"..... ١١٦
الشرك اللفظي..... ١١٦
الحلف..... ١١٦
قول ما شاء الله وما شئت..... ١١٨
حفظ اللسان..... ١٢٠
"واعلم أن للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرائق وهم بذلك أربع أصناف"..... ١٢١
أصناف الناس في منفعة العبادة..... ١٢١
نفاة الحكم والتعليل: الجهمية..... ١٢٢
التكليف عند نفاة الحكم..... ١٢٢
القدرية..... ١٢٤
باء العوض عند القدرية..... ١٢٥
معتبرو العبادة رياضة للنفوس..... ١٢٦
الأفلاطونيون والغنوصيون..... ١٢٧
المتصوفون..... ١٢٧
أهل السنة والجماعة..... ١٣٠
طاعة شخص ظنا أنه يقول ويفعل ماقاله ﷺ..... ١٣٢
المقلد المعذور..... ١٣٢
المقلد القادر على الوصول إلى الرسول ﷺ..... ١٣٣
"واعلم أنّ العبادة أربع قواعد"..... ١٣٤
مراتب العبادة..... ١٣٤
"قول القلب"..... ١٣٤
"قول اللسان"..... ١٣٤
"عمل القلب"..... ١٣٥
"أعمال الجوارح"..... ١٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى كتاب: تجريد التوحيد المفيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ثم أمّا بعد،

نشرع بالكلام عن كتاب (تجريد التوحيد المفيد) **للمقريزي** ﵀، **والمقريزي هو أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي**، والمقريزي نسبة إلى حارة اسمها 'حارة المقارزة' وهي في **بعلبك**.

جده الأعلى ﵀ كان قد نزلها، ثم صار أولادهُ ينسبون إليها، وهو ﵀ كان قد ولد سنة (٧٦٦هـ) وتوفي عام (٨٤٥هـ)، وهذا الكتاب الذي صنفه ونحن بصدد الكلام عنه سماه: "تجريد التوحيد المفيد": وهو كتاب جِدُ نافع، حيث بيَّن ﵀ في هذا الكتاب حقيقة التوحيد ولوازمه وحقوقه وجزاءه وما يمكن أن يشّغب عليه فيه، ولذلك فإنه ﵀ أسماه "تجريد التوحيد".

"تجريد التوحيد المفيد"

"تجريد"

تعريف التجريد

- لغة: والتجريد: مصدر (جرّد، يُجَرِّد، تجريداً)
- اصطلاحا: ويدور أصل هذه المادة (جرّد) من (الجيم والراء والدال) على معنى الفصل والنزع والتخليص والإزالة؛ ولهذا تقول: 'جرّد سيفه' بمعنى سلّه؛ لأنه نزعه من غِمده، وكذلك فإن نزع الثياب يسمى تجريداً لأنّ فيه تخليصاً ونزعاً، مثلما قال **عليٌ** ﵁ للمرأة التي أرسلها **حاطب بن أبي بلتعة** ﵁، قال: "لتُخرجِن الكتاب أو لنجّردكِ" أي لننزعنّ ثيابكِ؛ لذلك فإن هذه المادة (جرّد) مدارها على النزع والتخليص والإزالة؛ ولذلك سُمِّيت الجريدة بهذا الإسم؛ لأنه يُجرد عنها ورقها؛ بمعنى يُزال عنها الورق الذي يكون فيها، وأنت كذلك تقول جرّد نفسه للدفاع عن قضية كذا، يعني أخلص نفسه لهذه القضية.

الغاية من اختيار مصطلح "التجريد"

المصنف ﵀ تكلم عن هذه القضية العظيمة التي من أجلها خُلِقت السماوات والأرض ومن أجلها أنزلت الكتب وأرسلت الرسل وانقسم الناس إلى أشقياء وسعداء وهي هذه القضية التي هي قضية التوحيد، فهو ﵀ صنف هذا

الكتاب الذي سماه "تجريد التوحيد"، ليخلّص التوحيد من كل ما يشوبه من كدر وشبهة حتى تتبين حقيقته؛ لأن التوحيد هو الذي أرسل الله ﷻ به الرسل، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال الله ﷻ: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَـٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ}. وأخبر الله ﷻ عن الرُّسل عليهم السلام عن **نوح** وعن **هود** وعن **صالح** أنهم كانوا يقولون لأقوامهم ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ﴾ [الأعراف: ٧٣]

فالتوحيد هو الذي دعت إليه جميع الرسل ولذلك فإن الداعية إلى الله ﷻ ينبغي له، بل يجب عليه أن يتعلمه وأن يتعلم حقيقته، بل يجب على كل مُكلّف أن يتعلم حقيقة التوحيدَ لأن الله ﷻ يقول: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] ويقول الله ﷻ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] يعني: بلا إله إلا الله

كما جاء عن جمعٍ من السلف عن **مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم وزيد بن أسلم** وغيره أنهم قالوا: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] أن من شهد بالحق هي: "لا إله إلا الله"، قال الله ﷻ: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ إذن لابد من العلمِ؛ ولذلك فإننا نبتدئ إن شاء الله بالكلام على هذا الكتاب الذي صنفه المصنف رحمه الله ليجرّد فيه التوحيد ليبين فيه حقيقته، وما يلزمُ منهُ، وما يترتب عليه وما يقع من الناس في التشغيب والإختلاف فيه، ولذا فإنّا نتكلم عليه بعون الله ﷻ وتيسيره.

"التوحيد"

تعريف التوحيد

- لغة: **التوحيد** هو مصدر (وحّد يوحِّد توحيداً): أي جعل الشيء واحداً، فمن جعل الشيء واحداً فإنه قد وحّدهُ وجعله واحداً

- اصطلاحا: والمُراد به هنا: اعتقاد أنّ الله ﷻ واحد، واحدٌ في ذاته ﷻ، واحدٌ في ربوبيته، واحد في إلاهيته، واحدٌ في أسمائه وصفاته، فإذا قلنا التوحيد فإنما نريد به هذا، يعني أن تعتقد أنّ الله واحد لا أن تجعله واحداً؛ لأنه هو الله ﷻ واحد، جعله غيره كذلك أم لم يجعله فإنه ﷻ لا يكون إلا واحدًا ﷻ

المراد من اختيار اللفظ

إنما المراد أن يعتقد الإنسان أنّ ربّهُ واحداً، أن يعتقد ربه واحدًا في ذاته و في ربوبيته فلا خالق إلا هو ولا رازق إلا هو ولا مدبر إلا هو ولا محيي إلا هو ولا مميت إلا هو، وأن يعتقد أن لا **معبود** إلا هو فلا يدعو إلا هو ولا يرجو إلا هو ولا يخاف إلا هو ولا ينذر إلا له ولا يذبح إلا له ولا يستعين إلا به ولا يتوكل إلا عليه ولا يحب إلا

فيه ولا يبغض إلا فيه ولا يوالي إلا فيه ولا يعادي إلا فيه، وكذلك أن يعتقده ﷻ واحداً في أسمائه وصفاته فيثبت له من الإسماء الحسنى والصفات العلى ما أثبته لنفسه وما أثبتته له رسله وأن يعتقدها غير مشابهةٍ لأسماء المخلوقين وصفاتهم.

فهذا هو التوحيد الذي نتكلم عنه لأن هذا المعنى الذي هو التوحيد قد تناوشه الناس حتى صار عند كثير من الناس غير مفهوم.

أمثلة لمن شذ في معنى التوحيد

توحيد الفلاسفة الباطل

الفلاسفة إذا تكلموا عن التوحيد فمعنى التوحيد عندهم هو إثبات القِدَم لله، ثم هم إذا قالوا إننا نثبت القدم لله: يعني أنهم يعتقدون أنه علةٌ لهذا الكون ولذلك فإنهم يرون الكون معلولاً لله ﷻ، مثل حصول المعلول لعلته، يعني كما أنّ العلة إذا كانت تامةً فيجب على معلولها أن يكون تاما فكذلك هم يعتقدون التوحيد في ربهم، فهم يعتقدون أن الله ﷻ هو علة لهذا العالم باعتبار أن العالم يجب أن يكون معلولا لعلة فقط.

لا أن الله ﷻ أراد خلقه وقاصد خلقه، بل أن العلة إذا وجدت تامة فالمعلول يجب أن يكون موجوداً؛ ولهذا فإنهم يقولون بما يسمى بالتولد الذاتي، حيث يقولون: أن الكون يكون مخلوقاً من الله ﷻ متولد عنه ذاتياً، هذا هو التوحيد عندهم، فإذا قالوا التوحيد فهذا هو التوحيد الذي يعبرون عنه.

توحيد الجهمية الباطل

من الفرق التي ضلت في معنى التوحيد فرقة الجهمية: التوحيد عندهم يريدون به تعطيل صفات الله ﷻ، فيقولون أن الله ﷻ لا يُسمى باسم، ولا يتصف بصفات، ويسمون هذا توحيداً! وحقيقة التوحيد عندهم: أنه لا خالق! وأنه لم يستوِ على العرش! وأنه ليس فوق السماء إله!

وقد قال جَمعٌ من السلف مثل **عبد الرحمن بن مهدي وحماد بن زيد وعبد الله بن المبارك**: أنهم -أي الجهمية- يحاولون أن يقولوا أنه لم يستو على العرش رب، وليس فوق السماء إله! فهذا الكفر والجحد لرب العالمين يسمونه توحيداً!

توحيد نُفاتِ الصفات الباطل

كذلك من الناس من فهم التوحيد على أن معناه: أنك تثبت لله ﷻ الإسماء وينفون الصفات، وهذا يسمونه توحيداً! مثلما يقول المعتزل، أو بعض الناس فهم التوحيد على أنه: لا خالق إلا الله، أو لا رب إلا الله، ويقصدون بالرب الخالق، ولذلك في بعض الأحيان تجدهم يقولون: 'لا قادر على الاختراع إلا الله'

وأنت إذا تأملت وجدت أن هذا التوحيد قاصر، وليس هذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وإنما هذا كان يُقر به أبو لهب وأبو جهل والوليد بن المغيرة، كانوا يقرون: أن لا خالق إلا الله، وشاهد هذا من القرآن، أن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، ﴿قُل مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦]، وفي رواية أخرى ﴿سَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾

فلم يَكنْ هؤلاء ينفون أن الله هو الخالق والرازق والمدبر والمحيي والمميت، وإنما كانوا يقولون: 'إننا نعبد مع الله غيره نتخذهم وسطاء وشفعاء بيننا وبين الله ﷻ'، فلم يكونوا موحدين مع إثباتهم لله ﷻ أنه خالق رازق مدبر، بل كانوا مشركين؛ لأنهم كانوا يعبدون مع الله غيره، وما أفردوه بالعبادة.

التوحيد الخالص وأقسامه

التوحيد الخالص دعوة الرسل

إذن، التوحيد الذي دعت إليه الرسل والذي يتكلم عليه المصنف رحمه الله:

- هو أن نعتقد أن الله واحد في أسمائه وصفاته؛
- وأن نعتقد أن الله واحد في ربوبيته، فلا خالق إلا هو، ولا رازق إلا هو، ولا مدبر إلا هو؛
- وأن نعتقد أن الله ﷻ واحد في ألوهيته فلا يُعبد إلا هو.

أقسام التوحيد

لهذا قال علماء أهل السنة: أن النصوص دلت على أن التوحيد متكون من هذه الثلاثة أنواع، وعلماء أهل السنة لهم أقوال كثيرة في تقسيم التوحيد:

١. التوحيد ثلاثة أقسام:

- توحيد ربوبية؛
- توحيد ألوهية؛
- توحيد الإسماء والصفات.

٢. التوحيد أربعة أقسام كما قاله **ابن منده**:

- توحيد الربوبية؛
- توحيد الألوهية؛
- توحيد الإسماء.؛
- وتوحيد الصفات.

التوحيد نوعان:

- توحيد في المعرفة والإثبات: (**يشمل الربوبية والإسماء والصفات**)
- وتوحيد في القصد والطلب (**توحيد الألوهية**)

التوحيد نوعان:

- توحيد علمي (**توحيد ربوبية وتوحيد الإسماء والصفات**)
- توحيد عملي/إرادي/طلبي (**توحيد الألوهية**)

فهذا كله تقسيم ترتيبي تقريبي، وإلا فنحن نقطع أن النبي ﷺ ما قال للصحابة أن التوحيد ثلاثة أقسام أو ثلاثة أنواع، لم يقل النبي ﷺ ذلك، لكن هذا معنى ما دعاهم إليه ﷺ وهذا معنى ما دلت عليه النصوص، ولهذا فلو أن أحداً اعتقد معاني هذه الأنواع، من غير معرفة بها وبهذه التقسيمات لصح اعتقاده، وإنما هذا التقسيم تقريبي.

فائدة: ولهذا لو أن أحداً من الناس اعتقد قول الله ﷻ في سورة مريم ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]، من اعتقد معنى هذه الآية، اعتقدها، وعلمها، وعمل بمقتضاها فقد حقق أنواع التوحيد الثلاثة!

- ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾: هذا توحيد الربوبية: الذي يشمل الخلق والرزق وهكذا؛

- ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾: هذا توحيد الألوهية: وهو ألا تعبد إلا الله؛

- ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾: هذا في الإسماء والصفات.

فلو أن الإنسان اعتقد هذه الآية، وعمل بها، من غير معرفة بهذا التقسيم وهذا التنويع فقد صح اعتقاده؛ **لأن المقصود هو المعاني**، أي أن يعتقد أن الله ﷻ هو الخالق الرازق المدبر، وأنه إذا كان كذلك فلا يُعبد إلا هو، ويثبت لله ما أثبته لنفسه، وما أثبتته له رسُلُه من الإسماء والصفات، وأن ينفي عن الله ما نفاه عن نفسه، وما نفته عنه رُسُلُه من الإسماء والصفات، فهذا هو التوحيد الذي سيتكلم عنه المصنف رحمه الله

"المفيد"

- إما أن تكون صفةً للتجريد، وعلى ذلك فإنها تكون مرفوعة: "تجريدُ التوحيدِ المفيدُ"، والمعنى أن هذا التجريدَ تجريدٌ مفيدٌ.

- وإما ان تكون هذه الصفةُ، صفة للتوحيد، فعلى ذلك تكون مجرورة (مخفوضة): "تجريدُ التوحيدِ المفيدِ" والمعنى أن هذا التوحيد الذي يُجرد، ونحن سنتكلم عليه هو توحيدٌ مفيد.

ولا شك أن التوحيد مفيد، بل هو الذي يحصل به النجاة في الدنيا والآخرة، إذ يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، ويقول الله ﷻ: ﴿مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢] ويقول النبي ﷺ (مَن لَقِيَ اللَّهَ لا يُشْرِكُ به شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن لَقِيَهُ يُشْرِكُ به دَخَلَ النَّارَ) ويقول النبي ﷺ: (مَن مَاتَ وهْوَ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ) من حديث **ابن مسعود** رضي الله عنه مخرج في الصحيح، وفي حديث **عبادة ابن الصامت** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (مَن شَهِدَ أَنْ لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عبدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ منه، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ علَى ما كانَ مِنَ العَمَلِ)

فالتوحيد هو سبب النجاة في الدنيا والآخرة: فلا شك أن التوحيد مفيدٌ ولا شك في هذا ولا ريب، بل هو أعظم ما يكون فائدةً في الدنيا والآخرة.، كما قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]

وما رواه البخاري ﵀ في كتابه الصحيح من طريق **ابراهيم النخعي** عن **علقمة** عن **عبد الله ابن مسعود** أنّ الله ﷻ لما أنزل ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ جاء الصحابة إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله أيُنا لم يظلم نفسه؟ فأخبرهم النبي ﷺ أنه ليس الذي يعني ظلم العبد نفسه، وإنما المراد هنا الشرك ولهذا قال: (ألم تسمعوا إلى قول لقمان ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾) فالمراد به هو الشرك؛ ولذلك يقول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني أخلصوا الدين لله، كما يقول أنس ﵁: "الإيمان هو إخلاص الدين لله وحده ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾، وأيُ فائدة أعظم من أن يكون الإنسان آمنًا أمنًا مطلقاً في الدنيا والآخرة، وأن يحصل له الإهتداء المطلق في الدنيا والآخرة، أي فائدة أعظم من هذا؟ ولذلك فإن فائدة التوحيد هي في الأمن المطلق والإهتداء المطلق.

"بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، وبه نستعين"

"بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ"

بسم الله

البسملة والتسمية والنحت

ابتدأ المصنف رحمه الله كتابه ببسم الله الرحمن الرحيم، **وهي البسملة**، أما **التسمية**: فهي بسم الله.

- التسمية: بسم الله؛
- البسملة: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ؛

وهذا يُسمى في اللغة العربية **بالنحت**، مثل:

- الحوقلة: هذا معناه لا حول ولا قوة إلا بالله؛
- الحمدَلَة: أي الحمد لله؛
- التهليل: يعني: لا إله إلا الله.

فابتدأ المصنف كتابه بالبسملة "بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ" وذلك اقتداءً بالكتاب العظيم فإن كتاب ربنا ﷻ، ابتُدئ ببسم الله الرحمن الرحيم، وكذلك امتثالا لقول النبي ﷺ: (كل أمرٍ لا يُبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر) وفي لفظ (فهو أقطع) وفي لفظ (فهو أجدب).

وهذا المعنى رُوي عن النبي ﷺ من طرق كثيرة، جميع طرق هذا الحديث ضعيفة إلا أنها تجعل أن له أصلا، ويشهد له فعل النبي ﷺ حيث كان النبي ﷺ يبتدئ كتبه بـ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، بل إن هذا هو عمل الأنبياء عليهم السلام كما أخبر الله ﷻ عن سليمان عليه السلام فإنه ابتدأ كتابه ببسم الله الرحمن الرحيم، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، أي مبتدأ بـ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وذلك في الكتاب الذي ألقاه الهدهد على بلقيس.

ولذا كان النبي ﷺ يبتدئ كتبه بـ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ويبتدئ خطبه بالحمد لله

وبهذا تعلم خطأ كثيرٍ من الناس فإنه إذا أراد أن يبتدئ خطبة، فإنه يقول 'بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ'، أو أنه يقول بسم الله وبعضهم كذلك يُخطىء فيقول: 'أعوذ بالله من الشيطان الرجيم'، أو يقول 'أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ثم يبتدئ خطبته، وهذا مخالفٌ لهدي النبي ﷺ.

البسملة آية من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هي بعض آية في القرآن إجماعا، أي في سورة النمل في قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]

واختلف العلماء رحمهم الله ﷺ هل هي آية من الفاتحة أم لا؟ واختلفوا هل هي آية قبل كل سورة أم لا؟

وأصوبُ الأقوال حتى لا يطول بنا المقام أن:

- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ليست آية من الفاتحة، خلافًا لمَا ذَهَبَ إليه الشَّافِعِيُّ رحمه الله؛
- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هي آيةٌ تُقال قبل كل سورة بما في ذلك الفاتحة.

ولذلك فإنك إذا قلت بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فإن لك بكل حرفٍ تقرأه عشر حسنات، كما في حديث **ابن مسعود**: (لَا أَقُولُ (ألم) حَرْف، وَلَكِن (ألف) حَرْف و (لامٌ) حَرْف و(مِيم) حَرْف)

إذن [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ] لَيْسَتْ آيَةً مِنْ الْفَاتِحَةِ وَلَيْسَت آيَةً مِنْ مَا سِوَى الْفَاتِحَةِ وَإِنَّمَا هِيَ آيَةٌ يُجَاء بِهَا قَبْلَ السُّوَر لِلْفَصْلِ بَيْنَ السُّوَر

وما يدلنا على أنها آية، ولكن ليست آية من الفاتحة: هو ما خَرَّجَهُ **مُسْلِمٌ** ﷺ فِي كِتَابِهِ الصَّحِيحِ: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا قَالَ: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَإِذَا قَرَأَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللَّهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي)"، فَابْتَدَأَ الْكَلَام بِقَوْلِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَمْ يَقُلْ [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ] فَدَلَّ عَلَى أَنَّ [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ] لَيْسَتْ آيَةً مِنْ الْفَاتِحَةِ لِأَنَّهُ قَالَ: (قَسَمْتُ الصَّلَاةَ) وَالْمُرَاد بِالصَّلَاةِ يَعْنِي الْفَاتِحَةَ لِأَنَّ مَنْ أَسْمَائِهَا الصَّلَاةَ، (بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ) فَابْتَدَأَ بِقَوْلِهِ: (فَإِذَا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وَلَمْ يَقُلْ فَإِذَا قَالَ: [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

كذَلِكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَجْهَرُ بِـ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إذا جَهَرَ بِالْفَاتِحَة؛ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَيْسَتْ آيَةً مِنْ الْفَاتِحَةِ.

- وَأَمَّا أنها آيَةٌ قَبْلَ الْفَاتِحَةِ وَقَبْل غَيْرِهَا مِنْ السُّور: فَذَلِك: لِأَنَّ الصَّحَابَةَ أَجْمَعُوا عَلَى أَن لَا يَجْعَلُوا فِي الْمُصْحَفِ إلَّا مَا كَانَ قُرْآنًا فَلَمّا كَانُوا قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَلَّا يَجْعَلُوا فِي الْمُصْحَفِ إلَّا ما كان قُرْآنًا وَوَضَعُوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَلِمْنَا أَنَّ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هِيَ آيَةٌ مِنْ الْقُرْآنِ وَهِيَ آيَةٌ قَبْلَ كُلِّ سُورَةٍ
- لَكِن أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ كَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَة عَلَى أَنَّهُ لَا يُوجَدُ [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ] بَيْنَ سُورَةِ الْأَنْفَالِ وَسُورَةِ التَّوْبَةِ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِك: مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ ﷺ وغيره: عَن عَبْدالله بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهم وَأَرْضَاهُم لَمَّا كَانَ مَوْضُوع سُورَةِ التَّوْبَةِ قَرِيبًا مِنْ مَوْضُوعِ سُورَةِ الْأَنْفَالِ وَلَمْ يفصلْ النَّبِيّ ﷺ بَيْنَهُمَا -يَعْنِي فِي الْبَيَانِ- فَإِنَّهُم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَصَلُّوا بَيْنَهُم -يَعْنِي بَيْنَ السُّورَتَيْنِ- فَلَم يجعلوهما سُورَةً وَاحِدَةً وَلَمْ يَفْصِلُوا بَيْنَهُمَا بـ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

هَذَا هُوَ الصَّوَابُ فِي كَوْنِ التَّوْبَةِ لَا يَسْبِقَهَا "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" لَا لِأَنَّهَا سُورَة السَّيْف كَمَا يَقُولُ بَعْضُهُمْ وَأن ذِكْر [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ] فِيهَا ذِكْرُ الرَّحْمَةِ وَهِيَ ذُكِرَ فيها السَّيْفِ لَا، وَإِنَّمَا السَّبَبُ فِيهِ هُوَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا سَأَلَ عُثْمَانَ ابْن عَفَّانَ كَمَا أَخْرَجَ ذَلِكَ أَحْمَدُ ﷺ فِي كِتَابِ الْمُسْنَد

بسم الله

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ": [**بِسم**] جَارٌّ وَمَجْرُورٌ، و[الباء] هَذِه لِلْمُصَاحَبَةِ أَوْ للإستعانة: وَالْجَارّ الْمَجْرُور هَذَا مُتَعَلِّقٌ عَلَى أَصْوَبُ الْقَوْلَيْنِ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ مُؤَخَّرٌ تَقْدِيرُه يُنَاسِبُ الْمَقَامَ.

فلما أَرَادَ الْمُصَنِّفُ ﷺ أَنْ يبتدأ هَذَا الْكِتَابِ قَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، يعني بسم الله أؤلف، بسم الله أصنف، إذن نجعل الفعل الذي نُعلق به الجار والمجرور مؤخرا، ونجعله مناسبًا للمقام: فأنت قبل أن تقرأ القرآن إذا قلت بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، فكأنك تقول بسم الله اقرأ.

وإذا أراد الإنسان أن يجامع أهله كما جاء في الصحيحين وغيره من حديث **عبدالله ابن عباس** أن النبي قال: (لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إذا أرادَ أنْ يَأْتِيَ أهْلَهُ، فقالَ: باسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنا الشَّيْطانَ وجَنِّبِ الشَّيْطانَ ما رَزَقْتَنا، فإنَّه إنْ يُقَدَّرْ بيْنَهُما ولَدٌ في ذلكَ لَمْ يَضُرُّهُ شيطانٌ أبَدًا)، فقوله: بسم الله، يعني بسم الله أجامع، وإذا أراد الإنسان أن يأكل فإنه يقول بسم الله، أي بسم الله آكل، وإذا أراد أن يقرأ، يقول بسم الله يعني بسم الله أقرأ، وإذا أراد أن يدخل بيته قال بسم الله يعني بسم الله أدخل؛ إذن بسم الله الجار والمجرور هذا متعلق بفعل محذوف مؤخر يناسب المقام الذي يذكر الإنسان فيه بسم الله.

[بِسْم] واسم في قوله ﷻ: ﴿بِسْمِ﴾، الإسم إما أنه:

- مشتق من السمة: يعني العلامة كما هو قول البصريين
- مشتق من السمو: يعني العلو كما هو قول الكوفيين.

والأقرب أنه مشتق من السمة يعني العلامة، لأن الإسم كما العلامة التي تكون على الشخص فيتميز بها عن غيره، والإسم عند اللغويين وعند النحاة وعند البلاغيين وغيرهم من أرباب اللغة:

الإسم: هو ما دل على معنى في ذاته ولم يقترن بزمن: فأنت إذا قلت مسجد فإنه يدل على المعنى بذاته ولا يحتاج إلى غيره، فهو مايز الحرف لكنه غير متعلق بزمن وبذلك فارق الفعل، فالمسجد في الماضي هو المسجد في المضارع وهو المسجد في المستقبل.

[بِسْمِ الله] مضاف إلى الله ﷻ، والله لفظ الجلالة علم على الذات العلية ﷻ، وهو اسمٌ لا يطلق إلا عليه ولا يجوز إطلاقه على غيره، لأن اسماء الله ﷻ نوعان:

- أسماء تطلق عليه ولا تطلق على غيره: لا يجوز أن تطلق على غيره: كالجبار والرحمن والله والقدوس ﷻ
- أسماء تطلق عليه وعلى غيره: وذلك كالرحيم والسميع والبصير والعليم والحي والعزيز ﷻ

فالله الذي هو لفظ الجلالة ﷻ: علم على الذات العلية والصحيح أنه مشتق وأصل لفظ الجلالة الله: أصله الإله، لكن لكثرة استعمالهم له أسقطوا الهمزة في الإله، ثم ادغموا اللام باللام وشددوها. فقالوا 'الله'

هذا هو قول الكوفي والفراء وسيبويه وغير هؤلاء ولذلك فإن الله لفظ الجلالة مشتق؛ لأن الصواب أن جميع أسماء الله ﷻ الحسنى مشتقة ليست أعلامًا مرتجلة، والمعنى أنها مشتقة من مصادرها، ولهذا "فالله" لفظ الجلالة

هذا مشتق مثل ما يقول **سيبويه** وعامة أصحابه إلا من شذ منهم (لا خلاف عليه)، هذا هو قول البصريين أن "أسماء الله ﷻ مشتقة"، ومنها لفظ الجلالة "الله"، و"الله" مشتق من "أَلِه يأْلَه إلاهةً، فهو مأْلُوه"

فمعنى" الله" يعني المألوه ومعنى المألوه يعني المعبود. الذي يُعبد. فالذي يُعبد هذا هو الإله.

وحقيقة العبادة غاية المحبة مع غاية الخضوع والذل: مثل ما يقول **ابن القيم** رحمه الله: "وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عبده هما ركنان"، فالله هو الإله: يعني المعبود: ولهذا جاء عن **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما أنه فسر لفظ الجلالة الله، قال: "الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق"، الذي يألهه كل شيء: أي الذي يحبه كل شيء ويخضع له كل شيء

وجاء كذلك عن **الضحاك بن مزاحم** عن **عبد الله بن عباس** أنه قال في تفسير "الله"، قال: "ذو الألوهية والعبودية من الخلق أجمعين"، ذكر هذا **محمد بن جرير الطبري** رحمه الله في كتابه (التفسير) وذكره **ابن أبي حاتم** رحمه الله في كتابه (التفسير) وذكره غيرهما **كعبد ابن حميد** وغير هؤلاء.

ولذلك فإن معنى "الله" يعني الإله، والإله يعني المعبود وليس معنى الإله القادر على الإختراع، ولذلك أنت إذا قلت 'لا إله إلا الله' يعني لا معبود بحقٍّ إلا الله، فأنت إذا قلت لا إله إلا الله لست تقول لا خالق إلا الله لا رازق إلا الله، وإنما إذا قلت لا إله إلا الله يعني أنك تقول لا معبود بحق إلا الله

وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، ومعلوم أنهم ما كانوا يستكبرون عن أن يقولوا إن الله هو خالقهم ورازقهم وإنما كانوا يستكبرون أن يعبدوا الله وحده لا شريك له.

إذا معنى الله يعني المعبود، ولذلك جاء في قراءة أحادية عن **عبد الله بن عباس** أنه كان يقرأ قوله: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، قال: "ويذرك وعبادتك"، لأن فرعون كان يُعبَد لا يَعبُد، فمعنى ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ يعني ويذرك وعبادتك" ولهذا قال **رؤية ابن عجاج**:

لله در الغانيات المدة سبحن واسترجعن من تألهي

يعني من تعبدي، فالتألّه معناه التعبد: من وزن تَفَعّل أي تَعَبّد، تألّه، فلفظ الجلالة "الله" إذا تقول بسم الله يعني باسم المعبود .ﷻ، والله ﷻ هو المعبود بحق، لأن هناك آلهة سواه تعبد لكنها آلهة باطلة، كما قال ﷻ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن

دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا﴾ [مريم: ٨١]، فسماها آلهة، لكنها آلهة باطلة لا تستحق أن تُعبد، فلا يستحق أن يُعبد إلا الله، ولهذا قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، وقال في آية أخرى ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، فالله ﷻ هو الذي يُعبد بحق، وما سواه وإن عُبد من دونه فإن عبادته باطلة لأنه لا يستحق أن يُعبد سواه ﷻ

الرحمن الرحيم

بيان معنى الرحمن والرحيم والفرق بينهما

الرحمن والرحيم إسمان لله ﷻ يدلان على اتصافه بصفة الرحمة، لكن بين هذين الإسمين فروق .منها:

- الرحمن لا يجوز أن يطلقإلا على الله ﷻبينما الرحيم يطلق على الله ﷻ وعلى غيره

قال ﷻ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فأطلقه على رسوله محمد ﷺ، بينما الرحمن لا يجوز أن يُطلق إلا على الله ﷻ. ولهذا قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا﴾ [الفرقان: ٦٠]، فالرحمن لا يطلق إلا على الله، بخلاف الرحيم فإنه يطلق على الله وعلى غيره.

- أنّ الرحمن يدل على اتصاف الله عز وجل بصفة الرحمة الذاتيةله عز وجل، أما الرحيم فإنه يدل على اتصاف الله عز وجل بصفة الرحمة الفعلية، يعني أنه يرحم فالرحمن يدل على أنه ﷻ يتصف بهذه الصفة الذاتية له ﷻ، فهو ﷻ إله، والرحمة صفة كمال ولهذا فإنه يتصف بها ﷻ ذاتيا. أما الرحيم فهي تدل على صفته الفعلية يعني إذا رحم، إذا فعل الرحمة .ﷻ

- أنّ الرحمن يدل على صفة الرحمة العامة الشاملة التي تشمل كل شيء كقوله ﷻ: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وهو ﷻ رحمن الدنيا والآخرة؛ ولذلك فإن رحمته هذه ﷻ، هذه الرحمة شاملة يدل عليها إسم الرحمن، والرحيم يدل على رحمة خاصة، وبعض الأحيان يعبر عنها بالرحمة الواصلة؛ ولهذا فإن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١١٧] وقال ﷻ: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، فالرحمة الخاصة، الرحمة الواصلة التي يختص الله ﷻ بها من يشاء من عباده هذه الرحمة يدل

عليها معنى الرحيم أكثر من دلالة الرحمة: والغرض أن الرحمن والرحيم كلاهما يدلان على اتصاف الله ﷻ بصفة الرحمة.

"وبه نستعين"

بيان معنى الإستعانة

قال: "وبه نستعين"، به نستعين يعني نطلب عونه به لا بغيره، نستعين يعني نطلب العون فالنون هنا هذه نون الجماعة، ، السين هذه للطلب، ومعنى العون التأييد والنصرة؛ لأنه:

إذا لَـــم يَكُـــن عَـــونٌ مِـــنَ اللهِ لِلفَتـــى فَـــأَكثَرُ مـــا يَجنـــي عَلَيـــهِ اِجتِهـــادُهُ

ولهذا قال الله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، يعني لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا إياك؛ ولهذا رسول الله ﷺ أخذَ بيدِ **معاذ**، وقالَ: (يا معاذ، والله إنِّي لأحبُّك، والله إنِّي لأحبُّك)، فقال: (أوصيك يا معاذ، لا تدعنَّ في دبر كلِّ صلاة تقول: اللهمَّ أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)، لأن العبد إذا لم يعِنه الله ﷻ فإن أول ما يجني عليه اجتهاده.

أقسام الناس في العبادة والإستعانة

ولهذا فإن الناس في العبادة والإستعانة ينقسمون الى أربعة أقسام:

١. من الناس من جمع بين العبادة والإستعانة: وهذا هو أشرف الأقسام وهو الذي حقق معنى قوله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]

جاء عن بعض السلف أنه قال: "إن الله ﷻ أنزل كتبا، وجعل خلاصة كتبه في القرآن وجعل خلاصة القرآن في الفاتحة وجعل خلاصة الفاتحة في إياك نعبد واياك نستعين"انتهى، فمن جمع بين العبادة والإستعانة فقد جمع بين خيري الدنيا والآخرة، وقد ارتقى في أعظم المقامات الصديقية: إياك نعبد فلا نعبد إلا أنت وإياك نستعين فلا نستعين إلا بك.

ومن الناس من لا عبادة ولا استعانة والعياذ بالله: فلا يعبد الله ولا يستعين به، وهذا في شر المنازل وفي أحطها.

٢. ومن الناس من يعبد الله لكنه لا يستعين بالله: يعبد الله أي يصوم ويصلي ويزكي لكنه لا يعتمد على الله ﷻ، بل يعتمد على ذكائه وعلى صفاته وعلى إخوانه، فلا يعتمد على الله ولا يستعين بالله.

٣. ومن الناس من يستعين بالله لكنه لا يعبد الله: فإذا نزلت به مصيبة صبر، لكن ليس له من عبادة الله نصيب، فهو قليل العبادة، قليل الصلاة الصيام والزكاة لكن عنده إستعانة.

وأكمل الأحوال أن يجمع الإنسان بين العبادة والإستعانة وأن يحقق قول الله ﷻ فيه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ولهذا فإن المصنف هنا ﵀ إبتدأ ببسم الله الرحمن الرحيم، وبالإستعانة بالله العظيم ﷻ.

"الحمد لله رب العالمين"

"الحمد لله"

إبتدأ ﵀ بعد البسملة بالحمدلة، فعلى هذا يكون الإبتداء بالبسملة إبتداء حقيقيا والإبتداء بالحمدلة إبتداء نسبيا إضافيا، وذلك باعتبار ما بعده.

فالبسملة ابتداؤها مطلق فعلى ذلك يكون حقيقيا والإبتداء بالحمدلة يكون نسبيا باعتبار ما بعده، ولهذا قال: "الحمد لله رب العالمين"انتهى

الحمد: الألف واللام في قول الحمد للإستغراق -لأنه من العلماء من قال بأنها للجنس، يعني جنس المحامد لله- والصحيح أنها للإستغراق فإن الله يُحمَد والنبي ﷺ إسمه محمد لأنه محمود ولأنه يحمد فالله ﷻ يُحمد وغير الله ﷻ يُحمد، لكنّ المحامد المستغرَقة التامة لا تكون إلا لله، فالذي يُحمد تمام الحمد، الذي له الحمد كُلّه، هو الله ﷻ، لذلك فإن الألف واللام هذه في "الحمد لله" هي للإستغراق.

معنى الحمد: الحمد هو وصف المحمود، هو وصف الشيء، بصفات الكمال ونعوت الجلال محبة وتعظيما، هذا هو معنى الحمد، فأنت تقول: 'الحمد لله' يعني أنك تصف الله ﷻ بصفات الكمال ونعوت الجلال ويحملك على هذا تعظيمك له ومحبتك له، ولهذا فإن الحمد يكون بالقلب واللسان.

وقد يكون الحمد في مقابل نعمة وقد لا يكون، يعني أن تحمد الله ﷻ سواء كان ذلك في مقابل نعمة أو أنه لم يكن في مقابل نعمة ولهذا فإنّ مورد الحمد يكون بالقلب واللسان، بخلاف الشكر، فالشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح ولكن سببه أخص، الشكر سببه أن يكون في مقابل نعمة ولذلك قال النبي ﷺ: (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) لأنّ الشكر يكون في مقابل نعمة؛ فسببه أخص من سبب الحمد، أما الحمد فسببه أوسع لأنه يكون في مقابل نعمة وفي غير مقابل نعمة، أما الشكر فإنه لا يكون إلا في مقابل نعمة، ولذلك فإن سبب الشكر أخص من سبب الحمد ولكن مورد الحمد أخص لأنه يكون في القلب واللسان بخلاف الشكر فمورده يكون في القلب واللسان والجوارح

أفـــادتكم النعمـــاء منـــي ثلاثـــة يـــدي ولســـاني والضـــمير المحجبـــا

الفرق بين الحمد وغيره من صيغ الثناء

الفرق بين الحمد والمدح

الفرق بين الحمد والمدح: والحمد هذا لما قلنا أنه يحمله عليه المحبة والتعظيم، خرج بذلك المدح: لأن المدح هو أن يصف الشيء بنعوت الجلال وصفات الكمال لكنه لا يشترط أن يكون محبة في ذات الموصوف ولا أن يكون تعظيماً له، مثل الشاعر الذي يذكر صفات جمال و نعوت كمال لهذا الممدوح مع أنه قد يكون مبغضاً له فهذا يسمى مدحا وهذا **الفرق بين الحمد والمدح**، فالحمد لا يكون إلا مع المحبة والتعظيم والمدح قد يكون مع المحبة والتعظيم وقد لا يكون.

الفرق بين الحمد والثناء والتمجيد

الحمد والثناء والتمجيد: ثم إنّ الحمد إذا تكرر سُمّي ثناءً لذلك الثناء معناه تكرار الحمد، والثناء إذا تكرر سُمي تمجيداً ولهذا في حديث **أبي هريرة** ﷺ الذي أشرنا إليه آنفاً أن النبي ﷺ قال: (قال الله تعالى: قسمتُ **الصلاة بيني وبين عبدي نصفين** فإذا قال 'الحمد لله رب العالمين' قال الله تعالى: **"حمدني عبدي"** فإذا قال "الرحمن الرحيم" قال الله تعالى: **"أثنى عليّ عبدي"** -لأنه كرر هذه الصفات: ثنّاها و كررها-، فإذا قال: 'مالك يوم الدين' قال الله تعالى : **مجّدني عبدي"**)، فإذن عندنا حمد فإذا كُرّر الحمد سُمي ثناءً فإذا بولغ فيه سُمي تمجيداً

"رب العالمين"

رب العالمين: الربُّ أصلُها مِن (رَبَّ يَرُبُّ ربًّا) فهو مصدر بمعنى اسم فاعل: يعني أنه: رابُّ للعالمين ﷻ، والربُّ: مدار تفسير كلام السلف في تفسير قوله ﷻ: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

فالرب هو السيد وهو كذلك المدبر المصلح و المالك فإن الربوبية تتضمن هذه المعاني الثلاثة: تدل على السيادة، ومن تمام السيادة الخلق، وكذلك التدبير الذي يتضمن الإصلاح والرزق، وكذلك الملك، ولهذا فإن الله ﷻ هو: السيد، وهو المدبر، وهو ﷻ المالك، وعلى هذا التفسير عبد الله بن عباس ﷺ فسره بذلك، وهو كذلك تفسير سعيد بن جبير ﷺ، وجاء عن قتادة ﷺ، وجاء كذلك عن أبي العالية ﷺ، وجاء عن الملك عبد العزيز بن جريج ﷺ، وغير هؤلاء.

ذكر هذه التفاسير محمد بن جرير الطبري ﵀ في كتابه (التفسير) قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]:

العالمين: جمع لعالَم، وعالَم جمعٌ، لكن عالم جمع أجمع لما لا مفرد له في اللفظ، فالعالمون جمع الجمع، فهو جمع لعالم، والعالمون هذا جمع مذكر سالم، ولذلك فإنه هنا جرّ بالياء، والعالمون هذا اللفظ الذي هو جمع عالم، العالم هم كل ما سوى الله ﷻ، لأنه قيل إن العالَم: "هم السماوات والأرض وما فيهن وما بينهما": قاله عبدالله بن عباس وجاء عن سعيد بن جبير وعن جماعة أنهم قالوا: "العالَمون، قالوا (الجن والإنس) لأن الله ﷻ قال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]" ومعلوم أن النِذارة إنما تكون لمن يصحّ توجيه الخطاب إليه وهم الجن والإنس، فالنبي ﷺ مُرسل للإنس والجن، فمن قال إن: العالمين هم كل ما سوى الله ﷻ من جميع الخلق، فكل ما سوى الله ﷻ فإنه عالم أراد عموم الخلق، أي جميعهم، ومن قال الجن والإنس، يعني أنه رب العباد المكلفين الذين يُكلفون، والذين يكلفون من خلقه ﷻ: هم الخلق العقلاء الذين لهم إرادة بها يختارون وهم الجن والإنس، وخرج بذلك الملائكة لأن لهم إرادة إلا أن إرادتهم لا تكون إلا في مرضاة الله ﷻ، فهم مجبولون على طاعة الله ﷻ يفعلون بإرادة لكن، هم يفعلونها طواعية لله ﷻ، فهم يعبدون الله من غير قصد المخالفة: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، إذن العالمون: هم كل ما سوى الله ﷻ ولذلك فإن العالمين جمع العالَم، والعالَم هو كل ما سوى الله ﷻ، وإنما سموا عالما؛ لأنهم علم على الله ﷻ، أي يدلون عليه ﷻ، والحمد لله رب العالمين.

كما قال الشاعر:

وَفِـــي كُـــلِّ شَـــيءٍ لَـــهُ آيَـــةٌ تَـــدُلُّ عَلَـــى أَنَّـــهُ واحِـــدُ

قول المصنف ﵀: "والعاقبة للمتقين"

العاقبة يعني المآل، للمتقين يعني الذين يتقون الله ﷻ، كما قال الله ﷻ: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] فإن المآل مآل النصر والظفر في الدنيا والآخرة، العاقبة إنما تكون للمتقين، والمتقين أو المتقون: جمع متقٍ، والمتقي مأخوذ من التقوى، (اتقى يتقى اتقائا، فهو متقٍ)، والتقوى حقيقتها هي حقيقية التقوى التي دلت عليها النصوص: "أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية"، ومن المعلوم أن العبد لن يقي نفسه من عذاب الله ﷻ بأن يبني البروج المُشيدة ولا أن يتحصن بالحصون المنيعة، وإنما يجعل بينه وبين عذاب الله ﷻ وقاية بفعل أوامره والإنتهاء عن نواهيه، وهذا لا يتأتى، إلا أنه إذا فعل فعلا فإنه يفعله على

نور من الله ﷻ يرجوا ثواب الله ﷻ وإذا ترك نواهيه ﷻ فإنه يتركها على نور من الله ﷻ يخشى عقاب الله ﷻ، وعلى هذا مدار كلام السلف في تفسير التقوى وهذا معنى كلام **أحمد** وكلام **الشافعي** وكلام **الجنيد بن عبد الرحمن** كما يسمونه **سيد الطائفة**، فإن مدار كلام الأئمة ﷺ على هذا المعنى ولذلك قال الشافعي ﷺ: "تقوى الله أن تُطيع الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله"انتهى

ولذلك قال القائل:

واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرةً إن الجبال من الحصى

إذن هذه حقيقة التقوى: أن تجعل بينك وبين عذاب الله ﷻ وقاية، وذلك يكون بإمتثال أوامره، على نور من الله ترجوا ثواب الله، وبترك مناهيه على نور من الله تخشى عقابه ﷻ.

قول المصنف ﷺ: "وصلّى الله وسلم على نبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه آجمعين"

"وصلّى الله وسلم"

صلّى الله

- (صلّى) أصلها في اللغة بمعنى حنّ وأشفق وليست صلّى بمعنى دعا كما هو المعهود

فهم يقولون أن 'صلّى' إنما هي بمعنى 'دعا' وهذا القول قاصر ولو قال قائل أنه خطأ لتوجب، فإن معنى 'صلّى' في اللغة مأخوذ من الصل، ولذلك فإن الصل أو الصِّلَة تعني الحُنوّ والميل، ولذلك سميت الصلاة صلاةً لأن العبد يثني ظهره أو يميل بظهره من عند عرق الصلّى الذي يكون في أسفل الظهر.

وأما قول القائل أن صلّى بمعنى 'دعا' فإن هذا القول قاصر ولذلك فإن الصلاة تكون من الله ﷻ والدعاء لا يكون من الله ﷻ، الله ﷻ يصل كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٦]، وانت تقول: 'اللهم صل على محمد ﷺ'، وأما الدعاء فإنه لا يكون من الله ﷻ، الدعاء الذي بمعنى دعوة الغير الذي هو على جهة الطلب، فإنه لا يكون من الله ﷻ، ولهذا فإن الله ﷻ لا يدعو.

- من الفروق أن 'صلّى' تُعَدَّى بحرف الجر عَلَى، فيكون معناها غير دَعَا إذَا عُدِّيَتْ بحرف الجرّ عَلَى: فإذا قلت 'صلّى على فلان' الصلاة من الله ﷻ على فلان، يعني أن الله يثني عليه في الملأ الأعلى، وأما إذا

قلت دعوت على فلان: صار المعنى أنك تريد حصول الضرر به، فدل ذلك على أن "صلّى على" ليست هي بمعنى "دَعَا على".

- إن الصلاة لا تكون إلا بمعنى محمود بخلاف الدعاء فإن الإنسان قد يدعو على غيره بشيء محمود وقد يدعو على غيره بشيء مذموم بخلاف الصلاة.

- فعل 'صلّى' لا يكون إلا متعديا، لا يمكن أن يأتي لازما بخلاف 'دَعَا' فإنه يجيءُ لازما ويجيءُ متعديا فتقول: دَعَاهُ، ودعا لَهُ، ودعا عَلَيْهِ، لكن لا يمكن أن تقول صَلَّاهُ.

ولذلك فإن هذه الفروق بين 'صلّى' و'دعا' تدل على أن 'صلّى' ليست بمعنى 'دعا'، وإنما 'صلّى' مأخوذة من الصل الذي هو الثني، يعني: حنى على، ولذلك فإن الفعل يتعدى بعلى، تقول حنى عَليه، أشفق عليه، ولهذا فإنك تقول: صلّى عليه، فصلّى في اللغة مأخوذة من الصل الذي هو الثني.

وهي هذه المادة مدارها على الحنو والشفقة واللين، وأما صلاة الله ﷻ على عبد من عباده: فإن معناها أنه يثني عليه في الملأ الأعلى وهذا هو أحسن ما فُسرت به الصلاة:

روى ذلك **البخاري** ﷺ معلقا عن **أبي العارية رفيع بن طاهر الرياحي** قال: "صلاة الله على عبده ثنائه عليه في الملأ الأعلى"

فإذا قلت اللهم صلّ على محمد، يعني أنك تقول اللهم أثنِ عليه في الملأ الأعلى: قال الله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وصلّ عليه يعني أنك تسأل الله أن يثني عليهم في الملأ الأعلى، وأنت إذا قلت اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم: يعني كما أثنيت عليهم في الملأ الأعلى، فهذا هو معنى 'صلّى على'، فليست 'صلّى على' بمعنى 'دعا'، وإنما 'صلّى على' تعني أنه ﷻ يثني عليه في الملأ الأعلى.

ومن الخطأ كذلك أن تقول أن الصلاة هي الرحمة: فهذا القول ضعيف، لأن الله ﷻ قال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧]، فلو كانت الصلوات بمعنى الرحمة لما عطف عليها الرحمة بقوله "ورَحْمَةٌ" لأن العطف يقتضي المغايرة، فدل على أن الرحمة ليست هي الصلوات وإنما الصلوات جمع صلاة، وصلاة الله ﷻ على عبد من عباده تعني أنه يثني عليه في الملأ الأعلى.

وسلّم

قال: "و صلّى الله وسلم"، جمع ﵀ بين الصلاة على النبي ﷺ والسلام عليه امتثالا لأمر الله ﷻ بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، فأمر الله ﷻ بالصلاة على النبي ﷺ، ولهذا فإن المصنف امتثل لهذا بقوله "وصلّى الله وسلم"، "وسلم" هذا طلب من الله ﷻ أن يسلم النبي ﷺ، والسلام على النبي ﷺ مأخوذ من السلامة، فأنت إذا قلت "وَ سَلَّمْ" يعني على النبي ﷺ: أنت تسأل الله ﷻ أن يسلم النبي ﷺ في ذاته وأن يسلم النبي ﷺ في أثره وسنته ﷺ.

- أولا: إذا قلت: اللهم صل على محمد وسلم: يعني تسأل الله ﷻ، فإذا كان في حياته تسأل الله ﷻ أن يسلم ذاته ﷺ: (أن يسلم سمعه، بصره، بدنه...)، ولما توفي ﷺ، فإننا نسأل الله ﷻ أن يسلم بدنه، ولهذا فإن الله ﷻ حفظ بدنه الشريف ﷺ في قبره محفوظا ولا يمكن أن يوصَل إليه البتة بحمد الله ﷻ وفضله ومَنّه، فلن يصل أحد الى قبر النبي ﷺ وذلك لأن الله ﷻ سلم بدنه من أن يُنال ﷺ

- ثانيا: أنك اذا قلت وسَلَّمَ يعني أن الله ﷻ يسلم النبي ﷺ في أثره وسنته، وذلك بأن يحفظ دينه وشرعته وهديه الذي جاء به ﷺ وهكذا كان، فإن الله ﷻ حفظ سنة نبيه ﷺ وحفظ آثاره وحفظ دينه كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]. ومن لازم حفظ القرآن، حفظ السنة، لأن السنة هي التي تفسر القرآن وتعبر عنه وتبينه، كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل :٤٤]، فإن السنة تبين القرآن وتوضحه وتفسره وتشرحه وتعبر عنه، ولذلك فإن الله ﷻ حفظ سنة النبي ﷺ فأقام لها جهابذة يحفظونها ويذودون عنها ويعرفون نقلتها، ويخبروننا برواتها، حتى أن الرجل منهم قد لا يعلم جده الرابع، لا يستطيع أن ينسب نفسه إلى جده الرابع، بينما الرواة عن النبي ﷺ يعلم جدهم التاسع والعاشر، كل هذا حياطة لسنة الرسول ﷺ وذودا عنها، حتى أنهم أوجدوا علم الرجال: فيقال هذا ضعيف وهذا متروك وهذا مقبول وهذا صدوق وهذا ما علمت عنه إلا خيرا.

إذا سنة النبي ﷺ محفوظة بحمد الله وفضله، فإن الله ﷻ أقام لها الجهابذة، مثلا، لما جيء بوضّاع من الوضّاعِين ولما أراد **أبو جعفرالمنصور** وقيل **هارون الرشيد** أن يضرب عنقه لأنه كان يضع على النبي ﷺ الأحاديث في الزندقة والإلحاد، فلما جاء به **هارون الرشيد** وقيل **أبو جعفر**، وأراد أن يضرب عنقه قال مهلا يا أمير المؤمنين فلقد وضعت على رسول الله ﷺ عشرة آلاف حديث والله ما قال منها حرفا واحدا، فقال له أبو جعفر ﵀: "يعيش لها الجهابذة أبو إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك وغيرهما، أما أنت فنحن نتولى أمرك"، فإن هؤلاء قد

جعلهم الله ﷻ حفظة لسنة رسول الله ﷺ وصوناً لها، يذبون عنها ويبينون البهرج من الزائف، والمنقود من المزيف، فرحمهم الله ﷻ.

"على نبينا محمد ﷺ"

النبي: مأخوذ من (النبأ ومن النَّبوَة).وبهما قُرِئ قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىٓءُ﴾

النبي من النبوة، والنبوة تعني الإرتفاع، فإن النبي ﷺ يكون مرتفعاً على غيره، لأن الله ﷻ اختصه بالرسالة، ولأن ما يدعو إليه يكون مرتفعا على ما يدعُو إليه غيره، فإن ما يدعو إليه إنما يدعو إلى الله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، ويدعوه أي يدعو إليه.

والنبي مأخوذ من النبأ، والنبأ أصله في اللغة العربية الإخبار بخبر هام، ولا يزال يستعمل حتى زماننا، فيقولون أهم الأنباء، وهذا من باب إضافة الشيء إلى أهم أوصافه، ولذلك فإن النبي ﷺ يأتي بأخبار هامة، بل هي أهم الأخبار، لأنه يخبر عن الله ﷻ، وهذا الذي يدعو إليه هو أرفع ما يُدعى إليه وأفضل ما يدعى إليه وأشرف ما يُدعى إليه، ولهذا قاله ﷺ، والنبي هو الرسول، والرسول هو النبي أي في جنس تحمل الرسالة ولهذا أخبر الله ﷻ عن النبي أنه يأتي برسالة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الحج: ٥٢]، وقال الله ﷻ في أول سورة الزخرف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٣-٥]

فجعل النبي مرسلا، لذلك فإن النبي والرسول في جنس الرسالة واحد، فكلاهما مرسل من الله ﷻ، أما باعتبار المرسل إليهم يكونان مختلفان، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول:

١. النبي: يرسل إلى قوم موافقين، كحال أكثر أنبياء بني إسرائيل، فإنهم يرسلون إلى أقوام موافقين، فيكونون كالعلماء فيما بينهم يذكرونهم ويعلمونهم ويفتونهم.

٢. الرسول: يرسل إلى قوم معاندين، مثل **نوح** و**هود** و**صالح** عليهم السلام: هؤلاء أنبياء وهم مع ذلك رسل لأنهم كذلك أرسلوا إلى قوم مخالفين يضادونهم، أرسلوا إلى قوم مشركين وإلى قوم معاندين، ولهذا قال الله ﷻ عن يوسف عليه السلام، قال عن مؤمن بني إسرائيل أنه قال لقومه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤]، لأنه عليه السلام كان قد ذهب إلى قوم مخالفين فسماه رسولا.

لذلك التعريف التقليدي أو التعريف المشهور في الفرق بين النبي والرسول، تعريف قاصر ليس تعريفا دقيقا، يعني إذا قال قائل أن: النبي هو إنسان ذكر أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، بينما الرسول هو إنسان ذكر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، هذا التعريف قاصر، ولو قال قائل أن هذا خطأ، لأن الرسول والنبي كلاهما مأموران بالتبليغ، وإلا فما فائدة الرسالة؟ وكيف يعطى الإنسان رسالة ثم لا يبلغها؟!

حقيقةُ الرسالة أن عندنا رسول وأن عندنا مرسل إليه، فكيف حينئذ يعطى الرسالة ثم لا يؤمر ببلاغها؟

هذا القول ضعيف بل ضعيف جدا ولذلك الرسول والنبي كلاهما مرسل من عند الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٦]، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]، فجعل كلاهما مرسلين من عند الله ﷻ لكن الفرق أن النبي يرسل إلى قوم موافقين، إذاً معه رسالة، وهذه الرسالة يأتِ بها إلى قوم هم موافقون ومصدقون، وأما الرسول فإنه يرسل إلى قوم مخالفين ومصادمين، وإلى قوم مشركين معاندين، هذا هو الفرق بينهما.

أما أن يقال أن هذا أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ويعنون النبي، والآخر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه ويعنون به الرسول، فهذا القول ضعيف.

كذلك النبي والرسول كلاهما إنسانان: وهذا والحمد لله ﷻ بيّن، لأن الله ﷻ يُرسِل إلى النوع ما كان من جنسه، ولهذا فإنه ﷻ أرسل إلينا قوما منا، كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنمآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنمآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [فصلت: ٦]، هذا هو الفرق، فهو بشر مثلنا ﷺ، وقال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم﴾ [يوسف: ١٠٩]، فالرسل والأنبياء عليهم السلام رجال أرسلهم الله ﷻ، أناس لأجل أن يكونوا مثلهم، ولهذا لما اعترض كفار قريش بأن هذا الرجل الذي أرسل إليهم ليس ملكا قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥]، حينئذ أرسل الله ﷻ إليهم من جنسهم، ولذلك فإنه لا تتم لهم الحجة، لأنه ﷻ أُرسَل إليهم من هو مثلهم، حتى يمكن لهم أن يقتدوا به ويسيروا على نهجه، وهم كذلك رجال، فالله ﷻ لم يرسل إناثا، وهذا القول هو قول الجمهور، وقاله **قتادة بن دعامة السدوسي** رحمه الله وغيره رحمهم الله ﷻ.

"محمد خاتم النبيين"

- قوله محمد: هذا اسم النبي ﷺ، وقيل أنه لم يُسمَّ به قبله أحد، وقيل أنه قد سُمي به قبله أربعة، يعني لم يسم به أحد مطلقا من الناس، وقيل أن العرب لا سيما من كان مجاوراً لليهود حيث أنهم سمعوا أن نبياً يكونُ

قريباً في زمان خروجه، فقيل أن أربعة سُموا به قبل النبي ﷺ، والذي سماهُ بمُحمد هو جده عبد المطلب ومحمد يكون بمعنى:

- اسم المفعول (محمود): وهو الذي يحمد بما فيه من كريم السجايا وحسن الطبائع وعلو المكان والمكانة
- إسم فاعل (حامد)، وهو أحمد الناسِ لربه، فأعظم من حمد الله ﷻ هو مُحمد بن عبد الله ﷺ

وقد ذكر الله ﷻ اسم محمد في كتابه في أربعة مواضع، وهي على ترتيب القرآن:

١. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛

٢. ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]؛

٣. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢]؛

٤. ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقد ذكر الله ﷻ نبينا محمد ﷺ باسم أحمد في موضع في القرآن، وهو في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

إذاً هذا هو اسمه المذكور في القرآن الكريم: محمد ﷺ.

أسماء رسول الله ﷺ

ومن أسماءه (مُحمد، أحمد، والماحي الذي يُمحى به الكفر، والعاقب الذي ليس بعده نبي ﷺ) إلى غير ذلك من الأسماء، وهي مُخرجة في (الصحيحين) وفي غيرهما في أحاديث **أبي موسى الأشعري** ﷺ.

قوله ﷺ: "خاتم النبيين" يعني أنه ﷺ لا نبي بعده، فهو خاتم النبوات، كما قال ﷺ (يخرجُ من بعدي ثلاثون دجالاً، كلهم يزعمُ أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي)، وقال الله ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]

وبذلك تعلم أن (الطائفة الأحمدية) التي يزعمُ أتباعُها أن لهم نبياً بعد رسول الله ﷺ، طائفة كاذبة مُبطلة لكلام الله ﷻ، ومُكذبة لسنة رسول الله ﷺ، وقد أجمع العُلماء على أن هذه الطائفة خارجةً من ملةُ الإسلام، بل إنهم أصلاً ما دخلوا في الإسلام إلا ليخرجوا منه، ولذلك فإن النبوات، كل النبوات قد خُتمت ببعثة رسول الله ﷺ

"وعلى آله وصحبه أجمعين"

"على آله"

قال ﷺ: "وعلى آله وصحبه أجمعين"، فقوله "وعلى آله" يعني: وصلّى الله وسلم على آله، والآل مأخوذ عن الآول والآول معناه الرجوع وآل الإنسان هم قراباته، وإنما سُمي الآل آلاً لأن الإنسان يرجع إليهم ويعتمدُ عليهم وكذلك يستعينُ بهم، لأنهم آله وقراباته

وما فسره **الإمام أحمد** ﷺ وغيره، أنّ الآل يُراد بهم: أتباع الرسول ﷺ على دينه، فآل النبي ﷺهم أتباعِه على دينه.

فأنت إذا قلت: 'اللهم صل على محمد وآل محمد' فأنت تُريد بهم أتباعه على دينه ﷺ، وأما قراباته الذين هم آله، الذين لهم الخمس وتحرم عليهم الزكاة، هؤلاءِ هم آلُ **علي** ﷺ، أزواج النبي ﷺ وبناته و**آل عليّ** و**آل جعفر** و**آل العباس** و**آل الحارس بن عبد المطلب** عم النبي ﷺ، ﷺ، وهؤلاء هم آل النبي ﷺ الذين تَحرُم عليهم الصدقة ويكون لهم الزكاة.

هؤلاء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: (أذكركم الله في آل بيتي) وقال الله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقال النبي ﷺ (لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم لله ولقرابتي)[1] هؤلاء هم آل النبي ﷺ.

"وصحبه آجمعين"

قال رحمه الله: "وعلى آله وصحبه" وهذا من بابِ عطفِ الخاص على العا، لأنه قد تقدم أن آل النبي ﷺ هم أتباعه على دينه وأعظم أتباعه على دينه هم أصحابه رضي الله عنهم، فيكون هذا من باب عطف الخاصِ على العام، و(الصحب) جمع صاحب والصاحب أصله الملازم، فمن كان ملازماً لك كان صاحباً لك.

لما كان الله ﷻ مع العبد أينما كان، قال ﷺ (وأنت الصاحب في السفر) يعني أنت الذي تكون معنا في السفر فالصاحب أصله المُلازم القريب،المُجامع، الذي يكون مع غيره، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾ [التكوير: ٢٢].

- الصاحب في الإصطلاح: الذي صحب الرسول ﷺ، وكان أحسن ما قيل فيه، أنه: "من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك"، ولو تخلل في ذلك ردة في أصح الأقوال، فهذا هو الصحابي، ويكفي في حق النبي ﷺ دون غيره أن نعلمَ الصحابي رضي الله عنه واذا اجتمع مع النبي ﷺ ولو ساعة أو حتى لحظة، فهذا نُثبت له الصُحبة.

ويدلك على أن من رأى النبي ﷺ، يكفي أنه رآه حتى نثبت له الصحبة، ما رواه **البخاري** رحمه الله و**مسلم** رحمه الله في (صحيحَيهما) من حديث أبي **سعيد الخدري** رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: (يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فيَقولونَ: فِيكُمْ مَن صاحَبَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ)[2]، فهذا فيه أن من رأى النبي ﷺ، أن من اجتمع بالنبي ﷺ ولو ساعة فإننا نثبت له الصحبة.

طريق معرفة الصحابي رضي الله عنه بأمور منها:

---

١ الراوي : - | المحدث : شعيب الأرناؤوط | المصدر : تخريج العواصم والقواصم: الصفحة أو الرقم : ٨/ ٤٣ | خلاصة حكم المحدث : فيه يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف. [وروي من طريقين آخرين أحدهما: إسناده] ضعيف [والآخر إسناده] رجاله ثقات، إلا أنه منقطع: التخريج : أخرجه ابن ماجه (١٤٠) بمعناه من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وأحمد (١٧٧٧) بمعناه من حديث عبد المطلب بن ربيعة رضي الله عنه.

٢ الراوي : أبو سعيد الخدري | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم : ٣٦٤٩ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

- نص القرآن: فإن الصحبة تثبت للشخص بنص القرآن، مثل قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فأثبت الصحبة له، فهذا **زيد** ﷺ منصوص صحبته، وكذلك في حق **أبي بكر** ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وأجمع المفسرون على أن قوله ﷻ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾، أي **أبا بكر عبد الله ابن أبي قحافة** ﷺ.

- الشهرة والإستفاضة، مثل الشهرة والإستفاضة في مثل العشرة ﷺ، وبقية العشرة ﷺ وكذلك مثل **أبي سعيد الخدريّ** ﷺ، ومثل **أبي هريرة** ﷺ وغير هؤلاء ﷺ.

كذلك من الطرق التي نعلم بها الصحابي ﷺ هو أن يقول الصحابي المعلوم الصحبة أن فلاناً صحابي، إما أن يقوله نصاً وإما أن يقوله إيماءاً.

"أما بعد"

ثم قال "أما بعد"، أصح الأقوال في أما بعد أنها كلمة ينتقل بها المتكلم من مقدمة كلامه إلى صلب كلامه، وليس المراد بها أنه ينتقل من أسلوبٍ في الكلام إلى أسلوب آخر، لأنه لو كان كذلك لكان كلما انتقل الإنسان في كلامه من أسلوبٍ الى أسلوب، لقال أما بعد، وهذا معلوم أنه من العيّ وأنه منافٍ للفصاحة، ولذلك فان معنى أما بعد هو: مهما يكن من شيء، وهذا التركيب يجاء به لينتقل من مقدمة الكلام إلى موضوعه، إلى صلبه.

قال "أما بعد"، وقد اختلفوا في أول من قالها، قيل أن أول من قالها هو **وائل بن سحبان**، وقيل أنها هي فصل الخطاب التي أعطاها الله ﷻ **داود** ﷺ، إلى غير ما ذكر، إذن قوله أما بعد يعني مهما يكن من شيء.

"فهذا كتاب جمُّ الفوائد بديع الفرايد ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة"

قال "فهذا كتاب جم الفوائد"

"فهذا كتاب"

قال ﷺ: "فهذا كتاب"، فهذا إشارة إلى هذا الكتاب، فإن كان ﷺ لما كتب هذا الكتاب، كتب هذه المقدمة، فهذا فيه إشارة إلى معهود موجود، وإن كان ﷺ قد كتب هذه المقدمة قبل أن يتم الكتاب، فهو يقول: "فهذا الكتاب" يعني إشارة إلى معهود في الذهن لشدة استحضاره في ذهنه نزَّله منزلة الوجود، كما لو كان موجوداً حاضراً بين يديه، فهو يقول: "فهذا كتاب" فالهاء هذه للتنبيه واسم الإشارة هو (ذ).

أصل كتاب من (كتب يكتب كتاباً فهومكتوب) مدارها على الجمع والضم، ولهذا سميت الكتيبة كتيبة لاجتماع الجنود فيها، ولذلك قال: "فهذا كتاب"، سمي الكتاب كتاباً لاجتماع الحروف والكلمات والأبواب والفصول فيه، ولذلك سمي كتاباً، بل إن القرآن العظيم من أسمائه الكتاب، يقول الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، فمن أسماء القرآن العظيم الكتاب، وذلك لاجتماع الحروف والكلمات والسور فيه، قال ولأنه مكتوب، والكتابة إنما سميت كتابة لأن الإنسان يجمع الحروف ويجمع الكلمات، وهذا أمر بحمد الله ﷻ بيّن.

"جمّ الفوائد"

قال رحمه الله: فهذا "كتاب جمُ الفوائد"، قوله جم الفوائد يعني أنه كثير الفوائد، كقوله ﷻ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾ [الفجر: ٢٠]، فالجم معناه الكثير.

قال رحمه الله: "جم الفوائد" والفوائد جمع فائدة، والفائدة معناها الزيادة، تقول أفدت فلان فائدة أي أني زدت، والزيادة هذه إما أن تكون زيادة معنوية مثل زيادة العلم، وإما أن تكون زيادة حسية مثله لو أن الإنسان أعطى إنساناً مالاً فإن هذا يسمى فائدة، ولذلك المال الذي يكون هبةً أو إرثاً، هذا يسمى عند الفقهاء المال المستفاد.

قال رحمه الله: "فهذا كتاب جمُ الفوائد"، إذن هو رحمه الله يصف هذا الكتاب الذي صنفه بأنه كثير الفوائد، وهذا فيه تحضيض لمن يقرأه أن يعتني به وأن ينتفع منه.

"بديع الفرايد"

قال "بديع الفرائد"، بديع أصل الإبداع هو الإيجاد على غير مثال سابق، بديع هنا على وزن فعيل، والمراد أنه فريد في بابه، أنه لم يصنف على نهجه وعلى طريقته مثله، فهو يريد تشويقك إلى أن تقرأ هذا الكتاب وأن تنتفع منه

"ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة"

قال رحمه الله: "ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة"، لأن موضوعه التوحيد ومن أراد النجاة في الدنيا والآخرة، فإن أعظم ما يقدم به على الله ﷻ هو أن يقدم عليه بالتوحيد، ولذلك فإنه قال: "ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة"، كما قال الله ﷻ: ﴿فَاعلَم أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

فالنجاة والفوز والفلاح إنما تكون بأن تعلم أن لا إله إلا الله، وأن تعمل بمقتضى 'لا إله إلا الله'.

"سميته تجريد التوحيد المفيد، والله أسأل العون على العمل به بمنه وكرمه"

"سميته تجريد التوحيد المفيد"

قوله رحمه الله: "سميته تجريد التوحيد المفيد"، بين هنا أنه سماه، يعني أنه عنونه (بـتجريد التوحيد المفيد)

"والله أسأل العون على العمل به بمنّه وكرمه"

"والله أسأل"

قال رحمه الله: "والله أسأل" تقدير الكلام أصل الكلام، وأسأل الله، لكنه قدم ما العادة في كلام العرب تأخيره، وعادة العرب أنهم إذا قدموا ما حقه التأخير أنهم يريدون بذلك فائدة فيه.

- الفائدة الأولى: الحصر، يعني أني أسأل الله ﷻ لا أسأل غيره.
- الفائدة الثانية: الإختصاص، يعني هو يقول أن الله ﷻ هو أعظم من اختص بأن يُسأل ﷻ، فلما كان هو الذي يستحق أن يسأل وهو وحده الذي يُسأل فاني لا أسأل إلا هو.

ولهذا قال رحمه الله: "والله أسأل"، مثل قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أصل الكلام: نعبد إياك ونستعين إياك، فلما قدم المفعول على الفعل وفاعله، أراد به الحصر: يعني لا نعبد إلا إياه، ولا نستعين إلا إياه؛ ومثل قوله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ [المائدة: ٢٣]، ولم يقل فتوكلوا على الله ﷻ حتى لا تتوكلوا على غيره فلا يتوكل إلا عَليه.

"العون على العمل به بمنه وكرمه"

قال رحمه الله: "والله أسأل العون على العمل به بمنه وكرمه".

"أعلم أن الله ﷻ هو رب كل شيء ومالكه وإلهه"

"أعلم"

قوله اعلم أي يقينا، أراد بالعلم هنا اليقين لأن العلم هو إدراك الشيء على ما هو به إدراك الناس، أو هو إدراك الشيء على ما هو به، فقوله "اعلم أن الله ﷻ"، هذا الأمر هو أمر إرشاد أراد به أن تعلم أن الله ﷻ رب كل شيء وهو مالكه وإلهه، وهذا كما قال الله ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران:

١٨]، وقال ﷻ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩]، وقال ﷻ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، قال ابن عباس وغيره: "إلا من شهد بالحق: إلا من شهد بلا إله إلا الله" قال وهم يعلمون، ولذلك فالإنسان إذا كان معتقدا للتوحيد فعليه أن يعتقد على علم وعلى بصيرة لا أن يعتقده: أن يقول مثل هذا الذي قال: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، بل يجب عليه أن يعلم التوحيد بأدلته وأن يعلمه قطعا وأن يعلمه جزما، إذا علينا أن نتعلم حقيقة التوحيد فهو أشرف العلوم وأهلها فالعلم بالله ﷻ يتطلب أمورا ثلاثة:

- المرتبة الأولى: العلم بالله ﷻ وصفاته وأفعاله وحقوقه: وهذا أشرف العلوم التي تولجك جنة الدنيا قبل الآخرة، قال إبراهيم بن الأدهم ﷺ: "والله لو يعلم الملوك وأبناء الملوك مانحن فيه لجلدونا بالسيف"انتهى، ويقول آخر" إنه لتمر بالقلب ساعات أقول إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه فهم في عيش طيب"انتهى، ويقول آخر: "إنه لتمر بالقلب ساعات يرقص القلب طربا"انتهى، يعني من تلذذه بالعلم بالله ﷻ وبأسمائه وصفاته وأفعاله.
- المرتبه الثانية من العلم بالله: هي العلم بشرعه وبدينه وبأمره ونهيه والعلم بحلاله وحرامه
- المرتبه الثالثة: هي العلم بالجواب في الدنيا والآخرة، وبهذا يتميز العالم عن غير العالم، العالم يعبد الله ﷻ على بصيرة، فالعلم ماكان به: قال زحدثنا وما سوى ذلك وسوسة شيطان، فالعلم قال الله ﷻ وقال رسوله ﷺ وقال الصحابة وهذا هو العلم الذي ينجي في الدنيا والآخرة.

" أن الله سبحانه هو رب كل شيء ومالكه والهه"

قال: وإلهه، وإلهه يعني الذي يُعبَد، فالرب هو الخالق والرازق والمالك والمدبر والسيد، وإلهه يعني الذي يُعبَد فلا يستحق أن يُعبَد إلا إياه ﷻ، فالمصنف ﷺ أراد تقرير هذا المعنى العظيم حتى إذا استقر عند الإنسان ذلك، شرع ﷺ في بيان أدلته وبراهينه، وما دلت عليه النصوص فيه.

قوله ﷺ"اعلم أن الله سبحانه هو رب كل شيء ومالكه وإلهه":

"اعلم" يعني علماً يقينياً قطعياً وهذا العلم لابد منه، هذا العلم وهو أن يعلم العبد أن الله ربه وخالقه ورازقه وهو الذى يعبده وحده لا شريك له، هذا العلم يجب أن يعلمه علما يقينيا وهو أول واجب على المكلف، لا كما يقول المتكلمون وهو أن أول واجب للمكلف هو النظر أو القصد إلى النظر أو الشك، كل هذه الأقوال أقوال ضعيفة تخالف ما دلت عليه النصوص، بل أول واجب على المكلف أن يعلم أن الله هو المعبود وحده لا شريك له، ولهذا قال المصنف هنا ﷺ "اعلم أن الله سبحانه هو رب كل شيء ومالكه وإلهه"انتهى

هذا هو الذى يجب عليه أن يعلمه وهذا هو الذى دعت إليه الرسل، أخبر الله ﷻ عن الرسل أنهم دعوا أقوامهم إلى هذا، قال الله ﷻ عن نوح وعن هود وعن صالح وعن شعيب أنهم جميعا قالوا لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[هود: ٨٤] هذا الذى دعوهم إليه ابتداءا، وقال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦] وقال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الانبياء: ٢٥]، فهذا الذى أرسل الله ﷻ به الرسل، ولهذا قال ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[محمد: ١٩].

أهمية البدء بالعلم قبل القول والعمل

فبدء بالعلم قبل القول والعمل، وفى صحيح مسلم عن عثمان عن النبي ﷺ قال: (مَن ماتَ وهو يَعْلَمُ أنَّه لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ)[٣] قال ﷺ (من مات وهو يعلم) يعني حال كونه عالماً، الجملة في قوله وهو يعلم: جملة في محل نصب حال، يعني حال كونه عالماً بأنه لا إله إلا الله دخل الجنة، أما لو قال لا إله إلا الله وهو لم يعلم أنه لا إله إلا الله، فإن لا إله إلا الله، لا تنفعه، ولذلك فإنه لابد أن يعلم أنه لا إله إلا الله، لا معبود بحقٍ إلا الله ﷻ، ولهذا قال المصنف ﷺ: "اعلم" يقينًا قاطعًا عن العلم، العلم هو إدراك الشيء على ماهو به، إدراك الشيء إدراكاً جازماً لا شك فيه ولا ريب.

"رب كل شيء"

"هو رب كل شيء" فالله ﷻ هو الرب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

"ومالكه"

قال: "ومالكه" يعني الذي بيده ملكه ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤]، وله الملك ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾[الملك:١]، ﷻ فالله مالك كل شيء، ولذلك فإنه يدبره ويتصرف به لأنه ملكه.

"وإلهه"

قال "وإلهه": إلهه يعني معبوده، مثل ما تقدم أن معنى الألوهية معناها العبادة، من (أَلِهَ،يألَه،إلاهة، فهو مألوه) لذلك فإنه معبود، ولهذا قال **عبدالله بن عباس** ﷺ في تفسير لفظ الجلالة "الله"، قال: "هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل الخلق"انتهى، وقال: "المألوه" أي الذي يألَه كل شيء، فهو رب العالمين، ففسر الألـوهية بأنه ﷻ هو

٣ صحيح مسلم – الراوي: عثمان بن عفان (٢٦)، خلاصة حكم المحدث: صحيح

الذي يُعبَد وحده لا شريك له، فهذا هو معنى "لا إله إلا الله" يعني لا معبود بحقٍّ إلا الله، ليس معنى لا إله إلا الله يعني أنه لا خالق إلا الله، أو لا قادر على الإختراع إلا الله، معنى لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله ﷻ.

"أن الله ﷻ هو رب كل شيء ومالكه و إلهه"

قوله رحمه الله "اعلم أن الله سبحانه هو رب كل شيء ومالكه وإلهه":

"اعلم" يعني علماً يقينياً قطعياً وهذا العلم لابد منه، هذا العلم وهو أن يعلم العبد أن الله ربه وخالقه ورازقه وهو الذى يعبده وحده لا شريك له، هذا العلم يجب أن يعلمه علما يقينيا وهو أول واجب على المكلف، لا كما يقول المتكلمون وهو أن أول واجب للمكلف هو النظر أو القصد إلى النظر أو الشك، كل هذه الأقوال أقوال ضعيفة تخالف ما دلت عليه النصوص، بل أول واجب على المكلف أن يعلم أن الله هو المعبود وحده لا شريك له، ولهذا قال المصنف هنا رحمه الله "اعلم أن الله سبحانه هو رب كل شيء ومالكه وإلهه" انتهى

هذا هو الذى يجب عليه أن يعلمه وهذا هو الذى دعت إليه الرسل، أخبر الله ﷻ عن الرسل أنهم دعوا أقوامهم إلى هذا، قال الله ﷻ عن نوح وعن هود وعن صالح وعن شعيب أنهم جميعا قالوا لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[هود: ٨٤] هذا الذى دعوهم إليه ابتداءا، وقال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦] وقال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥]، فهذا الذى أرسل الله ﷻ به الرسل، ولهذا قال ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[محمد: ١٩].

أهمية البدء بالعلم قبل القول والعمل

فبدء بالعلم قبل القول والعمل، وفى صحيح مسلم عن عثمان عن النبي ﷺ قال: (مَن ماتَ وهو يَعْلَمُ أنَّه لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ)[٤] قال ﷺ (من مات وهو يعلم) يعني حال كونه عالماً، الجملة في قوله وهو يعلم: جملة في محل نصب حال، يعني حال كونه عالماً بأنه لا إله إلا الله دخل الجنة، أما لو قال لا إله إلا الله وهو لم يعلم أنه لا إله إلا الله، فإن لا إله إلا الله، لا تنفعه، ولذلك فإنه لابد أن يعلم أنه لا إله إلا الله، لا معبود بحقٍ إلا الله ﷻ، ولهذا قال المصنف رحمه الله: "اعلم" يقينًا قاطعًا عن العلم، العلم هو إدراك الشيء على ماهو به، إدراك الشيء إدراكاً جازماً لا شك فيه ولا ريب.

---

٤ صحيح مسلم – الراوي: عثمان بن عفان (٢٦)، خلاصة حكم المحدث: صحيح

"رب كل شيء"

"هو رب كل شيء" فالله ﷻ هو الرب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

"ومالكه"

قال: "ومالكه" يعني الذي بيده ملكه ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤]، وله الملك ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾[الملك:١]، ﷻ فالله مالك كل شيء، ولذلك فإنه يدبره ويتصرف به لأنه ملكه.

"وإلهه"

قال "وإلهه": إلهه يعني معبوده، مثل ما تقدم أن معنى الألوهية معناها العبادة، من (أَلِهَ،يألَه،إلاهة، فهو مألوه) لذلك فإنه معبود، ولهذا قال **عبدالله بن عباس** ﵄ في تفسير لفظ الجلالة "الله"، قال: "هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل الخلق"انتهى، وقال: "المألوه" أي الذي يألَه كل شيء، فهو رب العالمين، ففسر الألـوهية بأنه ﷻ هو الذي يُعبَد وحده لا شريك له، فهذا هو معنى "لا إله إلا الله" يعني لا معبود بحقٍّ إلا الله، ليس معنى لا إله إلا الله يعني أنه لا خالق إلا الله، أو لا قادر على الإختراع إلا الله، معنى لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله ﷻ.

"فالرب مصدر رب يربّ ربّا، فهو رابّ، فمعنى رب العالمين راب العالمين"

"فالرب مصدر رب يرب رباً"

يقول المصنف ﵀ "فالرب مصدر رب يرب رباً"انتهى، قوله فالرب مصدر يعني التصريف الثالث للفعل، التصريف الثالث للفعلِ هو المصدر، والبصريون لا يفرقون بين المصدر واسم المصدر، فكلاهما واحد.

وأما الكوفيون فإنهم يفرقون بين المصدر وبين اسم المصدر فإذا قلت مثلا (ربَ يربُ ربً وتربيبًا) سيقولون رباً هذا هو (المصدر) والتربيب هذا هو (اسم المصدر)، وأما البصريون فإنهم لا يفرقون بينهما، وهذا هو الأقرب أنه لا فرق بين المصدر وبين اسمه فكلاهما واحد.

قال ﵀: "فهو رابٌ" يعني بمعنى اسم الفاعل فهو رابٌّ.

"فمعنى رب العالمين راب العالمين"

معنى رابُّ العالمين، أي ربُّ العالمين ﷻ، ومعنى أنه رابُّهم يعني الذي يربيهم بنعمه، فهو الذي يخلقهم وهو الذي يرزقهم وهو الذي يدبر أمرهم وهو الذي يعينهم وهو الذي يغيثهم: هو الذي يتدبر أمرهم ﷻ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ

السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾[السجدة:٥] فهذا هو معنى الربُّ: فالرب معناه السيد المالك المدبرالخالق الرازق، كل هذه المعاني التي هي أفعال الله هي التي تدل على ربوبيته ﷻ: يعني أنه يخلق، يرزق، يدبر، يصرف، يعطي، يمنع، يحيي ويميت، ويعز و يذل، ولهذا قال ﷺ:"فمعناها رب العالمين أي راب العالمين"انتهى

"فإنّ الرب ﷻ هو الخالق الموجد لعباده القائم بتربيتهم وإصلاحهم المتكفّل"

يعني أنه هو الذي يفعل ما يشاء فأفعال الله من خلق ورزق وإحياء وإماتة، هي أفعال الربوبية، فمعنى كونه رباً ﷻ: أنه يخلق ويرزق ويدبر ويعطي ويمنع ويعز ويذل ويفعل مايشاء ﷻ.

في معنى الربوبية

وهذا المعنى وهو أنه هو الخالق الرازق المدبر لم يكن منكرًا في عامة التاريخ البشري: فالبشر يثبتون صفة الصانع ويثبتون صفة الخالق لله، ويثبتون أنه ﷻ على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير وهو الذي يعطي وهو الذي يمنع وهو الذي يجير ولا يجار عليه وهو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو الذي يخلق وهو الذي يرزق وهو الذي يملك وهو الذي يدبر، عامة البشر في جنس ما يعتقدونه يثبتون هذا المعنى لله، ولهذا فإن كفار قريش كما أخبر الله عنهم بقوله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ﴾[الزمر: ٣٨]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ﴾[الزخرف: ٧٨]، يقول الله ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[المؤمنون: ٨٦]، يقول الله ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾[المؤمنون: ٨٧] ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾[المؤمنون:٨٨]، الله ﷻ يقول إخبارًا عنهم أنهم سيقولون ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾ وفي قراءة ﴿سيقولون الله﴾.

فقد كانوا يثبتون ذلك، كانوا يثبتون أن الله هو الخالق وأن الله هو الرازق وأن الله هو المدبر وأن الله هو الذي يعطي وأن الله هو الذي يمنع وهكذا، لكن شركهم إنما كان في كونهم يثبتون هذا لله ثم يعبدون معه غيره، هذا هو شركهم يعني أنهم يعبدونه بيد أنهم يعبدون معه غيره، هذا هو الشرك الذي كان في عامة الأمم، يشركون معه غيره إما من كواكب وإما من شمس وإما من قمر وإما من ملائكة وإما من أنبياء، وإما من أحجار وإما من أشجار، وإما من أُناس صالحين يغلون فيهم، فهذا هو الشرك الذي كان واقع في الأمم.

فيما كان من الشرك الواقع في الأمم

فهذا المعنى الذي هو رب العالمين: أن الله هو رب العالمين، هذا المعنى معلوم في عامة البشر ما زاغ إلا شواذ في التاريخ البشري، حيث أنكروا الصانع مثل فرعون كما قال ﷻ حاكيًا عنه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[النازعات: ٢٤] وقال ﷻ: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾[القصص: ٣٨] وقال ﷻ: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾[غافر: ٣٦- ٣٧]

ومثل النمرود الذي حاج إبراهيم فإنه نازع الله في الربوبية ومثل الوثنية المجوسية، فهم أثبتوا إلهين إله الخير وإله الشر، أو إله النور وإله الظلمة، لكن مع ذلك جعلوا إله النور أفضل من إله الظلمة، فالمقصود أن هذا المعنى كان قليلا في البشر وهم مع ذلك كما أخبر الله أنهم كانوا في قرارة أنفسهم يعلمون بوجود الصانع ويقرون به كما قال ﷻ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾[النمل: ١٤]، وقال الله ﷻ عن موسى عليه السلام أنه قال لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾[الإسراء: ١٠٢].

فقال لقد علمت وحتى هو لما أدركه الغرق قال ﷻ حاكياًعنه: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[يونس:٩٠]، فقد آمن لكنه لم ينفعه إيمانه لما كان منه من السابق، ولأنه آمن عند المعاينة، والنبي ﷺ يقول (إنَّ اللهَ يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ)

فالمقصود أن هذا النوع من التوحيد وهو إثبات ربوبية الله أنه هو الخالق وأنه موجود وأنه هو الرازق وأنه والمدبر وأنه هو المحيي وأنه هو المميت وما أشبه هذه المعاني التي هي أفعال الله ﷻ: هذه المعاني له ﷻ مستقرة عند البشر والزيغ والإنحراف إنما هو في صرف العبادة الذي يكون في الإلهية: أنهم يشركون مع الله غيره بأن يعبدوا معه غيره، ولذلك في قوله ﷻ: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾[النمل: ٦٠] يعني أمعبود مع الله

الآيات التي هي في سورة النمل﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴾[النمل: ٥٩- ٦٠] يعني أمعبود مع الله، لأنهم كانوا يشركون مع الله غيره، ليس السؤال ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ يعني أخالق مع الله؟ إذ هم يقرون بأنه لا خالق مع الله ولا رازق مع الله ولا محيي مع الله ولا مميت مع الله ولكنهم يشركون مع الله غيره فالله ﷻ يحتج عليهم بالربوبية، أنه لا يعبد الله، يعني الله ﷻ استدل بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية وهو أنه لا يعبد الله، فكما أنه هو الذي خلق السموات والأرض وهو الذي أنزل من السماء ماء قال ﷻ: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ﴾[النمل: ٦٠] فالله يقول إذا كان الأمر كذلك فكيف تشركون معه غيره: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾، ولهذا قال بعدها

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾[النمل: ٦١]، أمعبود مع الله، لما كنتم تُقِرون أن الله هو الذي فعل ذلك فكيف تشركون معه غيره؟

فالمقصود إذاً أن هذا النوع من التوحيد الذي هو معنى الربوبية، لم تكن عامة الأمم أشركت فيه، فهي تثبت أن الصانع هو الله، وتثبت الله الخالق والرازق؛ ولهذا قال المصنِّف "اعلم ان الله سبحانه هو رب كل شيء ومالكه و إلهه"انتهى

"والإلهية كون العباد يتخذونه ﷻ محبوبا مألوها، ويفيدونه بالحب"

"الإلهية"

فبين معنى الربوبية والآن هو يبين معنى الإلهية، قال: "والإلهية -لأنها مصدر كذلك الإلهية- كون العباد يتخذونه سبحانه محبوبا مألوها. ويفيدونه بالحب والخوف والرجاء والإخبات والتوبة والنذر والطاعة والطلب والتوكل ونحو هذه الأشياء". إذن هذا هو معنى أنه إله، أيأنه معبود، ولذلك الله ﷻ، الله إله يعني أنه مألوه: والمألوه معناه المحبوب ويعني من تعبده. ولذلك قال رؤبة بن العجاج:"للهِ دَرُّ الغانِيات سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِن تَأَلُّهِي".

"يتخذونه سبحانه محبوبا مألوها ويفيدونه بالحب"

والعبادة مبناها على غاية المحبة مع غاية الذل، ولذلك لبُّ العبادة هي المحبة، لب العبادة محبة الله ولذلك فإنها لاتنقطع، المحبة لا تنقطع حتى في الجنة فهذه العبادة لا تنقطع، لأن معنى المعبود المحبوب ولذلك (أَلِه يألَهُ إلهَةً هو مألوه) يعني أنه معبود، وهو إنما يعبد لأنه يُحَبُّ ﷻ، فالله ﷻ لما كان هو الذي لا يعبد إلا هو، لا يُحَبُّ إلا هو محبة العبادة، صار هو الذي لا يعبد إلا هو، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾[البقرة: ١٦٥].

وأختلف السلف رحمهم الله في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾:

- القول الأول: فمنهم من قال -وهذا مروي عن مجاهد، ويروى كذلك عن سعيد بن جبير ويروى كذلك عن الضحاك بن مزاحم وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وعن غيرهم أنهم فسروا قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ أي أن هؤلاء اتخذوا آلهتهم وأصنامهم وأوثانهم بمنزلة يحبونهم كالمحبة التي لا تنبغي، كالمحبة التي تكون لله، فهم يحبون أصنامهم بمعنى أنهم يعبدونها حيث صرفوا هذه المحبة التي هي محبة العبادة لأصنامهم وكان حق هذه المحبة التي هي محبة العبادة ألاّ تصرف إلاّ لله، فهذا قول.

- القول الثاني: والقول الثاني قالوا إنهم يحبون الله، لكنهم يحبون أصنامهم مع الله، كالمحبة التي لا تكون إلاّ لله فهم يشركون مع الله يعني أنهم يحبون الله ويحبون أصنامهم، بحيث سووا هذه المحبة التي تكون لأصنامهم بالمحبة التي لا تكون إلاّ لله وهذا أقرب، لأن الله ﷻ يخبر عنهم أنهم إذا كبكبوا في النار يوم القيامة. قال ﷻ حاكيا عنهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الشعراء: ٩٧-٩٨]، فهم سووا المحبة التي لا تكون إلاّ لله بمحبة أصنامهم فصاروا يحبون الله ويحبون أصنامهم بنفس المحبة التي يحبون بها الله، هذا هو شركهم.، ولذلك سمى الله ﷻ ذلك أنداداً وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا﴾

هذا شرك في المحبة لأن لب العبادة هو المحبة، زبدة العبادة هي المحبة، فمعنى العبادة أصلًا هو غاية المحبة مع غاية الذل، إذ تقول طريقهم معبد يعني طريق مذلل، ولذلك من أحب شيئا غاية الحب يكون قد عبده يقول ﷺ: (تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة: إن أعطي رضي، وإن منع سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش)[٥]، بمعنى أنه عبد يعني أنه أحبها محبة عظيمة، حتى صارت هي التي تصرفه، فصار ما يفضي إلى الدرهم والدينار، وإلى الخميصة وإلى الخميلة هو الذي يقوده، فيفعل ما يكون موصلا إليها، ويترك ما يكونُ مُبعدا عنها وهذا هو معنى عبادته، لذلك قال الله ﷻ: ﴿أَرَأَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا﴾[الفرقان: ٤٣]، فسمَى إتخاذه هواهُ آلهةً، لأن هذا هو معنى الإلهية: مبناها على غاية أن الإلهية معناها العبادة، والعبادة معناها غاية الحب مع غاية الذُل، ولهذا قال هنا رحمه الله: "والإلهية كون العباد يتخذونه سُبحانه محبوباً"انتهى، هذا هو معنى أنَّهم يألهونهُ، أنهم يعبدونهُ، أنَّهم يُحبُونهُ غاية الحب ﷻ، ولهذا قال المُصنف: "ويفردونهُ بالحب والخوف والرجاء والإخبات والتوبة والنذر والطاعة والتوكل ونحو هذه الأشياء"انتهى

أنواع العبادة

وذكر رحمه الله معنى العبادة، هذا هو معنى العبادة باعتبارِ المُتعبدِ له، العبادة مصدر (عبد يعبُد عبادةً)، ومعنى العبادة التدريب، تقول أن هذا الطريق مُعبَّد أي أن هذا الطريقُ مُذلل، ويقولون جملٌ مُعبَّد أي جملٌ مُذلّل، والعبادة التي دلت عليها النُصوص هي: نوعُ بإعتبارِ المُتعَبد له وهو اللَّهُ، ونوعُ بإعتبارِ المُتعبد به.

٥ مجموع الفتاوي – بن تيميو (٣٥/١). واللفظ في صحيح البخاري - تدقيق البغا (١٠٥٧/٣) (تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش)

العبادة بمعنى المتعبّد له

معناها غاية الحب مع غاية الذُل، ولهذا يقولُ ابن القيم رحمه الله في (النونية):

وعبـــــادة الـــــرحمن غايـــــة حبـــــه .... مـــــع ذلٌ عابـــــده همـــــا قطبـــــان
وعليـــــك فَلَـــــك العبـــــادة دائـــــر .... ومـــــا دار حتـــــى قامـــــت القطبـــــان
ومـــــداره بـــــالأمر أمـــــر رســـــوله .... لا بـــــالهوى والـــــنفس والشـــــيطان

فرُكن العبادة، غاية المحبة مع غاية الذُل، هذا هو معنى العبادة، فمن أحب شيئاً إلى الحد الذي يذِل لهُ هذا يكونُ منهُ عبادة، ومع هذا لا يجوزُ صرفه إلا للهِ، ولهذا النبي ﷺ كان يقول: (ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجَدَ حلاوَةَ الإيمانِ: أنْ يكونَ اللهُ و رسولُهُ أحبُّ إليه مِمَّا سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ المرْءَ لا يُحبُّهُ إلَّا للهِ، و أنْ يَكْرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ بعدَ إذْ أنقذَهُ اللهُ مِنْهُ؛ كَما يَكرَهُ أنْ يُلْقى في النارِ)[1]

في الصحيحين وغيرهما عن شُعبة عن أنس رضي الله عنهما، وعن جاد عن أحمد وغيرهما أن النبي ﷺ قال: (من أحب في اللَّه وأبغض في اللَّه ووالى في اللَّه وعادى في اللَّه، فقد إستكملَ مَراتِبَ الإيمان) إستكملَ مراتِبَ الإيمان، لأن مدار الدين على ذلك.

وروى بن جرير رحمه الله وكذلك بن أبي حاتم وبن أبي شيبة وغيرهم عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنهُ قال: "من والىٰ في اللَّهِ وعادىٰ في اللهِ وأحب في اللَّهِ وأبغضَ في اللَّه فإنما تُنالُ ولايةُ اللَّه بذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدُنيا وذلك لا يُجدي عن أهلهِ شيء"

الغرض أن معنى العبادة أن تُحب اللَّهُ غايةُ المحَبة، ولهذا روىٰ مُحمد بن إسحاق رحمه الله في كتابِه (السيرة)، عن أبي سَلمة بن عبد الرحمٰن (مُرسلاً) عن رسول الله ﷺ أنهُ قال: (أُحبوا اللَّه من كلِ قلوبِكُم).

وقد جاء هذا المعنى كذلِكَ عن عيسىٰ عليه السلام كما في كُتبِ النصارى التي بين أيديهم في إنجيلِ لوقا أنه قال "أحبوا اللَّه من كُلِ قلوبكم"

إن هذا هو معنى العبادة أن نحبُ اللَّه من كل قلوبنا، لذلك لا أحد يُحب من كل القلبِ إلا اللَّه ﷻ لذلك لا يجوز صرف هذه المحبة إلا لله ﷻ كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]، فهذه المحَبة لاتكونُ إلا للَّه، إذاً هذا هو معنى العبادة باعتبارِ المُتعَبدِ لهُ ﷻ.

العبادة باعتبار المتعبّد به

وهي التي ذكرها الشيخ رحمه الله، ولهذا ذكر هذه الأمثلة بإعتبارِ المُتعَبد بِه، لأن العبادة بمعنى المُتعبد به (هي إسم جامع لكل ما يُحبهُ اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فالظاهرة مثل الصلاة، والزكاة، والصيام، والحَج، والنذر، والذبح، و الباطنة:مثل الخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والتوبة، والرغبة، والرهبة.

هذه كلها لاتكونُ إلا للَّه، فالعبد لا يُحب إلا في اللَّه، ولا يوالي إلا في اللَّه، ولا يُعادي إلا في اللَّه، ولا يُبغِض إلا في اللَّه، ولا يذبح إلا للَّه، ولا ينذُر إلا للَّه، ولا يتوَكل إلا على الله، ولايخاف إلا الله ولا يخشى إلا الله، ولايرجوا إلا الله، ولا يدعو إلا الله، فهو للَّه وبالله ومع الله هذا، هو معنى أنه مُحب للَّه، ولهذا ذكر أبو بكر الكتاني رحمه الله قصة، عن أن مشايخ الطائفة (كما يسمونهم)، إجتمعوا أيام المَوسم، وتساءلوا عن معنى محبة الله وماهيتها، وكان معهم أبو القاسم الجُنيد، وكان أصغرهم سِناً، فقالوا له هات ماعندك يا عراق. (أي مامعنى محبة الله)، فقال رحمه اللهبعد أن أطرق برأسهِ ثم ذرفت عيناه، "قال: عبد ذاهب بنفسه، مُتصلُ بذكرِ ربه، قائم بأداء حقوقهِ، قادم إليه بقلبهِ، أحرق قلبه نور شوقهِ، وصفا شِربه من كأس مودتهِ، قال وكُشف له الغِطاء من سِترِ غيبه، إن تكلمَ تكلمَ بِاللَّه، وإن نطق نطقَ عنِ الله، وإن تحركَ تحركَ بأمر الله، وإن سكَنَ سَكَنَ مع الله، فهو بِاللَّه وللَّه ومع الله"انتهى.

فبكى مَن حوله وقالوا مانرى بعد هذا من مزيد، فذلك هو معنى المحبة للَّه، فكل هذه الأعمال، وهي أن العبد يفعل الطاعاتِ والعباداتِ للَّهِ ﷻ إنما حملهُ عليها محبة للَّهِ ﷻ، لأن الله هو المألوه، وهو المعبوُد.

ولذلك ذكر المُصنفُ رحمه الله العبادات القلبية، والعبادات الجارحية، عباداتِ الظاهر وعباداتِ الباطن، ولذلك قال المُصنف: "ويفردونه بِالحُبِ والخوفِ والرجاء"، يفردونهُ بالحُب فلا يُحبونَ محبة عبادة إلا محبتهُ سُبْحَانَهُ، ولذلك هذه العباداتِ التي ذكرها وهي الحبُ، والخوف والرجاء، هذه أمهاتِ عباداتِ القلوب، لأن جِنس عباداتِ القلوب أفضل من جِنسِ عباداتِ الجوارح، وأمهات عبادات القلوب هي محبة الله، والخوف من الله، والرجاء إلى الله، ولهذا يروى عن سهل بن عبد الله التستري، أنه قال: "إن العبد كالطائِر، يطيرُ إلى الله، رأسهُ المحبة، وجناحاهُ الخوفُ والرجاء"؛ هذان هما اللذان يحدونه كما قال الله ﷻ:﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[الإسراء: ٥٧]، يقول الله ﷻ: ﴿يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[الأنبياء: ١١٢] فهم يجمعون بين هذا وبين هذا.

ولهذا ابتدأ المُصنف رحمه الله بهذهِ العباداتِ العظيمة الشريفة، فقال: "ويفردونهُ بالحُبِ والخوفِ والرجاء"، إذاً لايخافونَ خوفُ العبادة إلا الله ولا يرجون رجاء العبادة إلا الله.

"والخوف والرجاء والإخبات والتوبة والنذر والطاعة والطلب والتوكل"

"والخوف"

١. الخوف: معناه توقع حصول محظور، والرجاء هو طلب حصول ما يمكن حصوله، لا أن يكون غير حاصل، فمعنى الخوف هو توقع حصول المحظور، **وهو ثلاثة أنواع:**

١. خوف عبادة؛
٢. خوف السر؛
٣. الخوف الذي يمنع من كمال التوحيد الواجب: كما لو أنه خاف من أحد لا يقدر على أذاه أو منعه هذا الخوف من أن يقوم بعبادة الله هذا.

وهناك خوف كذلك يسمى بالخوف الطبيعي: قال ﷻ: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:١٨]، كما إذا خاف من السبع أو خاف أن يغرق في الماء أو شبه هذا.

لكن المقصود من الخوف هو توقع حصول المحظور سواء علمه أم لم يعلمه، يعني سواء كان هذا الذي يخاف منه قادرًا على أن يوصل إليه هذا أو لا، والخشية تكون مع العلم بهذا الذي يخافه، والخشية كذلك فيها معنى المحبة والرهبة والإجلال والتبجيل والتعظيم ولهذا جعله الله ﷻ للعلماء قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[فاطر: ٢٨]، فخص الخشية بالعلماء وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [التوبة: ١٨] يعني أنه لم يخف أحدا مخافة إجلال وتعظيم وهيبة إلا الله ﷻ.

"والرجاء"

٢. قال ﷺ: "والرجاء": فهو لا يرجو إلا الله، وعليه فإنه إذا خاف من الله ﷻ فلا يحمله خوفه على أن يقنط، وإذا رجا الله لم يحمله رجاءه هذا على أن يأمن من مكر الله، فيجمع بين الخوف والرجاء.

واختلف العلماء هل يقدم الرجاء الخوف أو هل يقدم الخوف على الرجاء ؟

- فمنهم من قال أنه يقدم الخوف على الرجاء، لأن الله ﷻ قال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن:٤٦]

وقال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[النازعات:٤٠] فقالوا يقدم الخوف.

- وقال بعضهم بل عليه أن يقدم الرجاء

- وقال بعضهم بل إنه إذا كان في حال الصحة قدم الخوف حتى لا يحمله ذلك على الأشر والبطر، وإذا كان في حال المرض قدم الرجاء، وإذا كان في حال الغنى فإنه يقدم الخوف، وإذا كانت في حال الفقر قالوا يقدم الرجاء
- وقال بعضهم إذا كان في حال الطاعة قدم الرجاء، وإذا كان عند المعصية فإنه يقدم الخوف حتى لا يواقع المعصية، ثم هو إذا فعل الطاعة عليه أن يقدم الخوف حتى لا يعجب بهذه الطاعة، وإذا وقع في المعصية فعليه أن يقدم الرجاء حتى لا يقنط من رحمة الله ﷻ.

بمعنى أنه يراعي عبودية المقام، فلكل مقام يقدم ما يكون ملائما لهذا المقام، والغرض أن عليه أن يوازن بين الخوف وبين الرجاء، لكن إذا كان في حال يأمن من مكر الله فإنه يقدم الخوف وإذا كان في حال يخشى أن ييأس من رحمة الله ﷻ وأن يقنط من رحمة الله، عليه أن يقدم الرجاء، لأن الله ﷻ يقول: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[الأعراف:٩٩] وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾[الحجر:٥٦]، حكاية عن إبراهيم عليه السلام، وقال الله ﷻ حكاية عن يعقوب عليه السلام أنه قال: ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[يوسف: ٨٧].

ولهذا رُوي عند البزار في كتابه (المسند) عن شبيب بن بشر عن عكرمة عن عبد الله بن عباس: "أن النبي سئل عن أكبر الكبائر فقال الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، واليأس من روح الله" والصحيح أن هذا الخبر موقوف على عبد الله بن عباس، وهو من قوله ، وهو مما لا يقارب الرأي، فإن له حكم الرفع، لأن فيه شبيب بن بشر وقد وثقه يحيي بن معين، لكن الجمهور على تليينه وعلى تضعيفه، والصحيح أنه من قول عبد الله ابن عباس ما رواه عبد الرزاق وغيره عن عبد الله بن مسعود أنه قال: "أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله" هذا ثابت عنه رضي الله عنه، روي عنه من طرق متعددة ثابتة، فعلى الإنسان حينئذ أن يوازن بين خوفه وبين الرجاء، فيكون كالطائر، لو أن جناحا إرتفع على جناح أخر فإن طيرانه يختل فعليه أن يوازن بين الخوف والرجاء، ثم إذا كان في مقام يستدعي تقديم أحدهما على الآخر فعليه أن يفعل ذلك.

"والإخبات"

معنى الإخبات وصفات المخبتين

وقال رحمه الله "والإخبات عبودية": الإخبات لله، والمخبتون أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يبشرهم كما قال الله ﷻ: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ ﴾[الحج: ٣٤-٣٥]، ثم ذكر أربع صفات في سورة الحج قال ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[الحج: ٣٤-٣٥] وجميع هذه الصفات تدل على تواضعهم.

- ولذلك جاء عن عبد الله بن عباس أنه فسر المخبتين بأنهم "المتواضعون"؛
- وجاء عن بعض السلف أنه فسر المخبتين قال: "المخلصون"، لأن من أخلص لله تواضع لله ﷻ

فمعنى الإخبات: (أخبت يعني إطمئن) ولهذا يقال عن الأرض أنها أرض خَبْتٌ يعني مطمئنة، و﴿جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾[الإسراء: ٩٧] يعني كلما همدت وسكنت زدناهم سعيرا.

فالمخبت معناه المتواضع لله ﷻ الذي أطمأنت نفسه بذكر الله ولهذا ذكر صفاتهم ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[الحج: ٣٤-٣٥]، هذه هي صفاتهم -نسأل الله ﷻ أن يجعلنا منهم- قال: "والإخبات" فهذا لا يخبت إلا لله، لا يخبت لأحد غيره، فهو يتواضع لله ويذل لله ويخبت لربه ﷻ.

"والتوبة"

قال ﷺ: "والتوبة": التوبة معناها أنه يرجع الإنسان من المعصية إلى طاعة الله، والله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﷻ، فولتوبة لها شروطها وأحكامها، المهم أنه لا يتوب إلا لله كما قال ﷻ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور: ٣١] فهو لا يتوب إلا لله، ولذلك لو أن العبد أقلع عن ذنبه وندم وعزم على ألا يعود وكانت هذه التوبة في الوقت لكنه ما أخلصها لله، وإنما تاب مراعاة لمجتمعه أو موافقة لأصحابه أو طمعا في أن تيزوج مثلا أو ما شابه ذلك، هذا ما تاب إلى الله ففي قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[الشورى: ٢٥] هذا توبته غير مقبولة لأنها ليست لله والله ﷻ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[التحريم: ٨] ما أطلق الأمر بالتوبة وإنما قيدها بقوله ﷻ: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ وقال " نصُوحًا"

جاء عن عبد الله ابن عباس وعن غيره أنهم قالوا: "نصوحاً أي خالصة"، ولا يتوب إلا إلى الله يرجو ثواب الله ويخشى عقاب الله ﷻ ولهذا فإن التوبة من أجلّ العبادات، بل هي وظيفة العمر،.ولهذا فإن ابن رجب ﷺ كتب في خاتمة كتابه (لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف) بعبودية التوبة، وقال: "هي وظيفة المواسم كلها"، وصدق ﷺ فإن التوبة هي وظيفة العمر نسأله ﷻ أن يتوب علينا لنتوب، كما قال ﷻ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[التوبة: ١١٨]

اللهم إنا نتوب إليك ونستغفرك إنك أنت الغفور الرحيم.

"والنذر"

وهذه عبادة خارجية ذكرها ﷺ مع عبادة الجوارح، و النذر تارة يطلق ويراد به عبادة الله مطلقا، وبها فُسر قوله ﷻ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾[الإنسان: ٧] أي يوفون بعبادة الله.

ومعنى النذر: الإلزام: والمعنى أنهم يلتزمون بعبادة الله، يوفون النذر، أي يلتزمون، و يأتي تارةً أخرى بمعنى أن يلزم المكلف نفسه (من قام بالنذر) طاعة لله غير واجبة، كأن يقول لله عليّ إن كان كذا وكذا سأفعل كذا وكذا.

أنواع النذر

- نذر طاعة: وهذا يجب الوفاء به كما قال النبي ﷺ (من نذر أن يطيع الله، فليطعه)؛
- نذر معصية: وهذا يحرم أن يفي الإنسان به لقول النبي ﷺ (ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه).

أن ينذر: هو أن يلزم الإنسان نفسه طاعة لله غير واجبة وأصل عقده مكروه، وفى رواية عن أحمد ﷺ أنه محرم لأن النبي ﷺ نهى عن النذر وقال (إنما يستخرج به من البخيل).

أقوال العلماء في النذر

من العلماء من كرهه، وكره عقده ابتداءً، و منهم من حرمه، والقول بتحريمه قول وجيه: لأنّ الإنسان يقوم بإلزام نفسه بعبادة لم يُوجبها الله ﷻ عليه، وقول الرسولﷺ (إنما يستخرج به من البخيل)، فهذا يدل على أنه يكره كراهيةً شديدةً، فالقول بتحريمه قول متوجب.

وهو رواية عن أحمد ﷺ و الجمهور على أن عقده ابتداءً مكروه، وهو مثلما تقدم أنواع (إما يكون نذر طاعة، وإما يكون لمعصية، وإما يكون مباحاً، وإما يكون مطلقاً، وإما يكون لجاج وهو ما يسمى بنذر الغضب).

وجميعها لا تجب فيها كفارة إلا في نذر الطاعة على الصحيح، (والمسألة مبسوطة في بابها) و النذر لا يكون إلا لله، فلا ينذر إلا لله ﷻ، فلا يُلزم العبد طاعةً إلا لله، ولا يلتزم عبادة أحد وطاعة أحد طاعة مطلقة إلا الله ﷻ.

"والطاعة"

ثم قال ﷺ: "الطاعة"، و الطاعة يريد بها هنا الطاعة المطلقة وليست الطاعة المقيدة لأن الطاعة المطلقة لا تكون إلا لله ﷻ.

معنى الطاعة

نقول أطاعه أي وافقه في مراده فعلاً للمأمور وتركاً للمحظور، الطاعة المطلقة تعني الطاعة في كل شيء يأمره به أو ينهاه عنه وهذه لا تكون إلا لله ﷻ: و لهذا قال الله ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[التوبة: ٣١].

يقول عدى بن حاتم ﷺ: "قلت يا رسول الله إنما ما عبدوه، وما عبدوا أحبارهم ورهبانهم، قال له النبي ﷺ (أليسوا يحللون الحرام فيحللونه، ويحرمون الحرام فيحرمونه؟) قال: بلى، قال: (فتلك عبادتهم)"، فجعل طاعتهم المطلقة عبادة، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[التوبة: ٣١]، جعل الطاعة المطلقة هذه عبادة، لذلك جعل الله طاعة أولي الأمر تبعاً لطاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[النساء: ٥٩] ولم يقل أطيعوا أولي الأمر منكم، لأن طاعة أولي الأمر تبعاً طاعة الله ورسوله، ولهذا قال النبي ﷺ: (إنما الطاعة في المعروف)، لأن الطاعة المطلقة هي طاعة لله، ولهذا قال النبي ﷺ (السمعُ والطاعةُ حقٌّ على المرْءِ فيما أحَبَّ أوْ كرِهَ ما لمْ يُؤْمَرْ بِمعصيةٍ، فإذا أُمِرَ بمعصيةٍ فلا سمْعَ عليه ولا طاعةَ) الطاعة المطلقة لله ﷻ وللنبي ﷺ، لأنه يأمر بطاعة الله ﷻ؛ أمرنا ﷻ أن نطيعه كما قال في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[النساء: ٥٩]، ولذلك فلما كانت طاعة الرسول ﷺ؛طاعة لله ﷻ، أمرنا الله بطاعة رسوله، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله.

أما الطاعة المطلقة فهذه لا تكون إلا لله لأنها عبادة، فالطاعة هي الموافقة في مراده فعلاً للمأمور وتركاً للمحظور.

"والطلب"

قال "الطاعة" ثم قال "الطلب"، الطلب هو الدعاء، فالدعاء عبادة كما روى الترمذي وغيره بسند صحيح، عن عمر بشير ﷺ أنه قال: (الدعاء هو العبادة)، أما (الدعاء هو مخ العبادة) فهذا ضعيف الإسناد ولا يثبت، وإنما الثابت (الدعاء هو العبادة) وكما قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠]، ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾[مريم: ٤٨]، سمى "تاركاً" ما يدعون من دون الله: عبادة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠]، و الطلب (الدعاء) عبادة وهذه لا تكون إلا لله ﷻ، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾، فالدعاء عبادة لا تصرف إلا لله ﷻ.

"والتوكل"

التوكل

وقال ﵀: "التوكل"، والتوكل كذلك لا يكون إلا لله كما قال ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]،أي توكلوا على الله لا غيره إن كنتم مؤمنين.

فالتوكل هو إعتماد القلب، فأصل التوكل هو الإعتماد، فقولك توكلت عليه أي اعتمدت عليه، وإذا قلت أتوكل على الله أي أنك تعتمد على الله والمعنى أن قلبك يعتمد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع بذل الأسباب.

- والذي يتوكل على الله وعلى غيره فهذا يكون مشركا (معه مال كثيرو يعتمد عليه اعتمادًا مطلقا).
- والذي لا يبذل الأسباب ويزعم أنه يتوكل على الله، هذا قدحٌ في القدر، فالذي يتوكل على الله ولا يبذل الأسباب التي جعلها الله إما شرعاً وإما قدراً هذا قدحٌ في قدر، فالله ربط المسببات بأسبابها.

التواكل

وهو الذي يزعم أنه يعتمد على الله ولا يأخذ بالأسباب، وهو العجز.

الفرق بين التوكل والتواكل والتآكل

لذلك عندنا ثلاثة أنواع هي:

- التوكل هو ما أمرنا به الله ﷻ: اعتماد القلب على الله والأخذ بالأسباب؛
- التواكل وهو الذي يسمى العجز؛
- التّآكل، وهو الذي صورته صورة المتوكل وإنما هو في الواقع معتمدا على غير الله.

ولهذا جاء قول الإمام أحمد ﵀: "وقالوا إننا نحج ولن يكون معنا نفقة، فقال الإمام أحمد هؤلاء المبتدعة إنما توكلوا على جراب الناس" هم يكذبون فلو كانوا حقيقة متوكلين لماذا يذهبون مع حملة، وإنما هم قد توكلوا على جراب الناس متآكلين فهم ليسوا متوكلين، توكلوا على جراب الناس، إذن التوكل الذي أمر الله به ورسوله ﷺ هو حين يعتمد القلب على الله وحده لا شريك له في جلب المنافع ودفع المضار مع عدد الأسباب التي جعلها الله أسباب إما شرعا وإما قدرا، هذا هو التوكل الذي جاءت به النصوص أما ما سواه فإنه ليس التوكل الذي جاءت به

النصوص، الذي لا يتوكل على الله هذا مشرك، والذي يزعم أنه يتوكل على الله ولا يأخذ بالأسباب التي جعلها الله فهو متواكل، وأما الذي تكون صورته صورة المتوكل وإنما هو في الواقع يعتمد على غير الله هذا متآكل.

فالموحد الذي امتثل أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ لقول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] فـهو الذي اعتمد قلبه على الله ﷻ، هم الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[آل عمران: ١٧٣] فهو الذي يعتمد عليه ﷻ.

قال المصنف رحمه الله: "والطلب والتوكل ونحو هذه الأشياء"، يعني ونحو ذلك من العبادات، إما العبادات التي تكون عبادات ظاهرة أو أنها عبادات باطنة، والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ويشمل ذلك كل شيء الذبح، الرجاء، النذر، الصلاة، الصيام، الزكاة والحج، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، طلب العلم، الدعوة Yلى الله، الجهاد في سبيل الله، بر الوالدين، الصدقات... كل هذه لا تكون إلا لله ويصرفها العبد ولا يريد بها إلا وجه الله ﷻ.

"فإن التوحيد حقيقة أن ترى الأمور كلها من الله ﷻ رؤية تقطع الإلتفات للأسباب والوسائط"

هذه هي حقيقة كون الله مألوه: يعني أنه محبوب غاية المحبة، لا تكون إلا لله، ولهذا قال المصنف رحمه الله: "فإن التوحيد حقيقة أن ترى الأمور كلها من الله ﷻ رؤية تقطع الإلتفات للأسباب والوسائط فلا ترى الخير والشر إلا منه ﷻ، فهو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه والذي يطعم ولا يطعم ﷻ، فإذا كان كذلك فلا يدعى إلا هو، ولا يرجى إلاهو ولا يخاف إلا منه ولا يتوكل إلا عليه ولا ينذر إلا له ولا يذبح إلا له، لا يحب إلا فيه ولا يوارى إلا فيه ولا يبغض إلا فيه ولا يعادى إلا فيه ﷻ هذه هي حقيقة التوحيد".انتهى

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: (إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله؛ إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره). وهذا الحديث معناه صحيح وإن كان ضعيفا لأن فيه عطية وهو ضعيف لأنه رحمه الله كان منشغلا بالعبادة فأعرض عن هذا الشأن، وأغلب ما يرويه عن أبي سعيد إنما يروي في هذه المعاني في الزهد والرقائق ويروي عنه محمد بن مروان السعودي وهو ضعيف، وتابعه موسى بن بلال وهو ضعيف، بل واهن أيضا، لكن معنى هذا الخبر صحيح، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٧٥] وقوله ﷻ: ﴿وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾[التوبة: ١٨].

أنت ترى أن الله هو النافع الضار هو الذي يمنع هو الذي بيده أن يعطي وهو الذي بيده أن يمنع وهوالذي ينفع وهو الذي يضر ولا يمنع ذا الجد، منه الجد ﷻ: اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ﷻ، لا ينفع ذا الجد يعني ذا الغنى، منك الجد يعني لا ينفعه جده ولا ينفعه غناه، ولهذا روى النسائي والترمذي وغيرهما من حديث الحسين بن واقد، عن أبي إسحاق السبيعي البراء بن عازب ﷺ أنه قال في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[الحجرات: ٤] قال: "جاء أعراب ينادون رسول الله فقال أحدهم إن مدحي زين وإن ذمي شين فقال النبي ﷺ ذاك الله تبارك وتعالى"

وروى الطبراني ﷺ في كتابه الكبير من حديث موسى بن عقبة يرويه موسى عن أبي سلامة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس أنه هو الذي قال للنبي ﷺ: يا محمد، عندما ناده وراء الحجرات، قال إن مدحي زين وذمي شين وقال رسول الله ﷺ (الله تبارك وتعالى هو الذي مدحه زين وذمه شين) الله، هو الذي بيده كل شيء هو الذي يجير ولا يجار عليه والذي يطعم ولا يطعم ﷻ الله هو الذي يرجع إليه الأمر كله، هو الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه يرجع الأمر كله ﷻ.

ولذلك فإن معناه أنك تستعين بالله وأنك تستغيث بالله لأنك تعلم أنه هو الذي بيده كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه ولذلك فإنك تستعين به وتستغيث به، تذبح له تنذر له، تدعوه وحده لا شريك له.

"وهذا المقام يثمر التوكل وترك الشكاية للخلق وترك لومهم والرضا عن الله والتسليم لحكمه"

ولهذا قال هنا، المصنف ﷺ: "فلا ترى الخير والشر إلا منه ﷻ" ثم قال: "وهذا المقام" وهو هذا المعنى أنك تعلم أن الله هو الذي بيده كل شيء "هذا المقام يثمر التوكل" يعني إعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع بذل الأسباب كما قال ﷻ: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾[الزمر: ٣٦] فالله هو الذي يكفي عبده ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾[الطلاق: ٣] ولهذا قال" هذا المقام يثمر التوكل وترك الشكاية للخلق وترك لومهم والرضا عن الله والتسليم لحكمه" يرضى عن الله ويسلم لحكمه لأنه كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[التغابن: ١١].

يقول الأعمش ﷺ: كما عند ابن جرير وعند غيره: يرويه عن أبي ظبيان عن علقمة: قال: "يقول في قوله ﷻ ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ قال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وقد سلم أمره لله، يعلم أنما ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ما شاء الله كان وإن لم يشأ الناس وأن ما لم يشأ الله لم يكن وإن شاء الناس"

"وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه ﷻ والعبادة والتأله من عباده له ﷻ"

فالله بيده ملكوت كل شيء، ولهذا قال: "واذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه ﷻ" يعني بالربوبية (الخلق والرزق) هذا منه ﷻ (والعبادة والتأله) هذه من عباده له ﷻ، فالعبادة من العباد لله.

توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية

ولذلك قال بعض العلماء معنى توحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله، إفراد الله بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة.

ومعنى توحيد الألوهية يقولون هو توحيد الله بأفعال العباد: إفراد الله بأفعال العباد من الإستعانة والتوكل والذبح والإستغاثة والنذر وما شابه ذلك والخوف الرجاء. وما أشبه ذلك لهذا قال رحمه الله: "والتألّه من عباده له ﷻ"انتهى

"واعلم أنّ أنفَس الأعمال وأجلها قدرًا توحيد الله ﷻ"

"أنفس الأعمال"

قوله رحمه الله: "واعلم أن أنفس الأعمال"، قوله "واعلم" يعني علما يقينياً جازما لا تشك فيه ولا ترتاب، "أن أنفس الأعمال وأجلها قدرا توحيد الله تعالى"انتهى وهذا أمر أجمع عليه المسلمون لا خلاف بينهم، أن أجلَّ الأعمال و أفضلها إنما هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، وألا يُصرَف شيء من حقوقه إلى غيره، كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

فالواجب على كل أحد أن يعبد الله وحده لا شريك له فلا يشرك معه أحد -لا ملَكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا وليا صالحا-، بل يعبد الله وحده لا شريك له، لأن العبادة هي حق الله، فلا يجوز أن تُصرف لغيره.

ثم من أتى بهذا التوحيد فإن الجنة مضمونة له، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، ذكر هذا في موضعين من كتابه، وقال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، لما نزلت هذه الآية كما جاء ذلك في الصحيحين وغيرهما: «حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ

كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾)[٦]، فالذي يأتي بالتوحيد -وهو الإيمان بالله وحده لا شريك له- هؤلاء الذين يؤمنون بالله وحده، يعبدون الله وحده لا شريك له، لهم الأمن، يعني لهم الأمن التام، الذي يكون في الدنيا والآخرة، وهذا لا يعني أنهم لا يُجازون بسيئات أعمالهم، فقد تقع المَجازاة، إذ أنهم يُجازون على أعمالهم، كما قال ﷻ: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

حق العباد على الله ﷻ

ومن الجزاء أنه قد تصيب المؤمن البلوى وغيرها، فهذه المصائب التي تصيب العبد، يُكَفِّرُ الله ﷻ بها من سيئاته، فهذا هو جزاءه، أما الأمن التام -وهو أن يكون من أهل الجنة- فهذا لا يناله العبد إلا إذا كان موحدا عابداً لله وحده لا شريك له ولا يشرك معه أحدا، ولهذا فإن النبي ﷺ أخبر كما في خبر معاذ بن جبل : (كُنْتُ رِدْفَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ علَى حِمارٍ، يُقالُ له: عُفَيْرٌ، قالَ: فقالَ: يا مُعاذُ، تَدْرِي ما حَقُّ اللهِ علَى العِبادِ؟ وما حَقُّ العِبادِ علَى اللهِ؟ قالَ: قُلْتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّ حَقَّ اللهِ علَى العِبادِ أنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، ولا يُشْرِكُوا به شيئًا، وحَقَّ العِبادِ علَى اللهِ عزَّ وجلَّ أنْ لا يُعَذِّبَ مَن لا يُشْرِكُ به شيئًا، قالَ: قُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، أفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ، قالَ: لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا.)[٧]

فكان معاذ رضي الله عنه يخبر بها في آخر حياته، تأثما، أي يخشى أن هذا من كتمان العلم، والمعنى أنّ أجلّ الأعمال و أفضلها هو أن تلقى الله ﷻ ولم تشرك به شيئا، فمن لقيه وقد أشرك به شيئا دخل النار، كما قال النبي ﷺ: (مَن لَقِيَ اللَّهَ لا يُشْرِكُ به شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن لَقِيَهُ يُشْرِكُ به دَخَلَ النَّارَ)

وكذلك الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود ﷺ: (قالَ: النبيُّ ﷺ كَلِمَةً وقُلْتُ أُخْرَى، قالَ النبيُّ ﷺ: مَن مَاتَ وهْوَ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ) والعياذ بالله، وكذلك كما جاء في الصحيح قال: (أيُّ الذنبِ أعظمُ قال : أن تجعلَ للهِ نِدًّا وهو خلقكَ)

فهذا هو أعظم الذنوب: أن تجعل لله ندا وهو الذي خلقك ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧] ﷻ، فمن أراد الأمان التام و أراد التوفيق والنجاة في الدنيا والآخرة الواجب عليه أن يعبد الله وحده لا شريك له، ولهذا قال المصنف ﷺ: "واعلم أن أنفس الأعمال وأجلها قدراً توحيد الله ﷻ"، فأن يُعبد الله وحده لا شريك له هذا هو أجل الأعمال وأفضل الأعمال.

---

٦ «صحيح البخاري» (٦/ ٢٥٤٢ ت البغا)
٧ الراوي : معاذ بن جبل | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم : ٣٠ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]
٣ الراوي : جابر بن عبدالله | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم | 93 : خلاصة حكم المحدث [صحيح]
٤ الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم | 4497 : خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

"غير أن التوحيد له قشران"

قِشرا التوحيد

- "القشر الأول: أن تقول بلسانك (لاإله إلا الله) ويسمى هذا القولُ توحيداً، وهو مناقض للتثليث الذي تعتقده النصارى، وهذا التوحيد يصدر أيضا من المنافق الذي يخالف سره جهره.
- القشر الثاني: أن لا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول"انتهى

يريد المصنف ﷺ أن التوحيد له ظهر و بطن يعني أن له ظاهراً وأن له باطناً، والمعنى أنه عندنا من التوحيد ما يكون يحكم للإنسان بأنه موحد، ومنه ما يكون هو في نفس الأمر كذلك، يكون موحداً في نفس الأمر، يعني عندنا توحيد حكمي وعندنا توحيد حقيقي.

فقوله رحمه الله "التوحيد له قشران" يريد الظاهر والباطن أو الحكمي والحقيقي، فذكر الأول الذي هو الحكمي الذي هو الظاهر يعني أن يكون في ظاهره كذلك وقال "أن تقول بلسانك لا إله إلا الله" يعني أن يقول لا إله إلا الله، إن قال قائل لا إله إلا الله فإننا نحكم بإسلامه، فله الإسلام الحكمي لأنه قال لاإله إلا الله، وهذه يقولها المؤمن في باطنه ويقولها كذلك المنافق كما قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٨-٩] ويقول ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]

فكذبهم مع أنه أخبر أنهم يقولون نشهد إنك لرسول الله، فهم يقولونها بلسانهم ولذلك فالنبي ﷺ يقول: (مَن ماتَ وهو يَعْلَمُ أنَّه لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ)[٨] هذا حديث عثمان ﷺ في صحيح مسلم، حديث عتبان ابن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: (فإنَّ اللَّهَ قدْ حَرَّمَ علَى النَّارِ مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بذلكَ وجْهَ اللَّهِ)[٩]

فالتوحيد الذي يريده هنا ﷺ هو أن العبد يقول لا إله إلا الله بلسانه، فهذه تنطبق على من كانت لا إله إلا الله مطابقة في حقيقتها لما في قلبه، وتنطبق كذلك على من كان منافقاً: لأن المنافق يقول لا إله إلا الله، المنافق يقول لا إله إلا الله والمؤمن يقول لا إله إلا الله، بخلاف الكافر فإنه لا يقول لا إله إلا الله لأن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥﴾ [الصافات: ٣٥] لأنهم عرب أقحاح هم يعلمون معنى لا إله إلا الله يعني أنه لا معبود بحق إلا الله وهم لا يقبلون ذلك، هم يقولون إننا نعبد مع الله غيره، فيجعلونهم شفعاء و وسطاء بينهم وبين الله ﷻ؛ فالمنافقون هم يقولون لا إله إلا الله بألسنتهم، كما أن المؤمنين كذلك يقولون لا إله إلا الله بألسنتهم.

---

٨ الراوي : عثمان بن عفان |المحدث : مسلم |المصدر : صحيح مسلم
الصفحة أو الرقم | 26 :خلاصة حكم المحدث] : صحيح
٩ الراوي : عتبان بن مالك |المحدث : البخاري |المصدر : صحيح البخاري |الصفحة أو الرقم | 425 : خلاصة حكم المحدث] : صحيح

"ويسمى هذا القول توحيدا"

هذا هو القشر الذي يريده المصنف ﷺ، ولو أنه قال ظاهر وباطن لكان أحسن، أو قال حكمي وحقيقي لكان أجود وأحسن، ولهذا يقول ﷺ: "ويسمى هذا القول توحيداً" يعني أنه جاء بالتوحيد في الظاهر، جاء بالتوحيد في الحكم لأنه قال لا إله إلا الله، و الله ﷻ أمر بلا إله إلا الله، وأن يدعوا إلى لا إله إلا الله، كما قال النبي ﷺ في الصحيحين وغيرهما لمعاذ ﷺ: (إِنَّكَ ستأتي قَوْمًا أهلَ كتابٍ ، فإذا جئتَهم فادْعُهم إلى أنْ يشهدُوا أنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وأنَّ محمَّدًا رسولَ اللهِ)[١] أي فيكون أول ما تدعوهم إليه هو شهادة أن لا إله إلا الله، فاذا جاؤوا بها فإنهم يكونوا قد أسلموا وقد وحدوا (في الحكم أو في الظاهر)، فلا إله إلا الله تمنع دماءهم وأموالهم، كما قال النبي ﷺ : (أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فإذا قالوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ، وأَمْوالَهُمْ إلَّا بحَقِّها،...)[٦] يعني أنه يحكم لهم بالإسلام والتوحيد إن قالوها.

"وهو مناقض التثليث الذي يعتقده النصارى"

تناقض النصارى مع التوحيد

ويقول المصنف ﷺ: هذا القول (أي أن تقول لا إله إلا الله) مناقض للحديث الذي يعتقده النصارى، لأن النصارى يقولون إن الله ثالث ثلاثة، وأن المسيح عليه السلام ابن الله، ولهم أقوال كثيرة يجمعها أن مَرَدّ قولهم أن يقولوا إن الله ثالث ثلاثة، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ [النساء: ١٧١] وإطلاق القول حتى يعُم جميع أقوال النصارى (الذين يقولون بالتثليث: trinitarians) فجميعهم اتفقوا على أن الله ثلاثة: "الآب والإبن والروح القدس"، أو أنهم يجعلون مريم إلهة، فهم يختلفون، ولكن الذي يجمعهم أنهم يقولون أن الله ثالث ثلاثة .

فهذا القول (لا إله إلا الله) يعني أنك تنفي أن يُعبَد سوى الله، فتقول أن المعبود واحد والرب واحد، وهذا هو معنى لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣] ، وقال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١]، فالمعبود واحد وهو الله ﷻ.

١٠الراوي : عبدالله بن عباس | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم | 2298 : خلاصة حكم المحدث : صحيح

"وهذا التوحيد يصدر أيضا من المنافق الذي يخالف سرّه جهره"

التوحيد الحكمي الظاهري

يقول المصنف ﷺ: "وهذا التوحيد" (أي التوحيد الحُكمِي الظاهري) يمكن أن يكون من مؤمن أو منافق، إذ يقول أن المعبود واحد بلسانه، ولهذا قال ﷺ: "وهذا التوحيد يصدُر أيضًا من المنافق الذي يخالف سره جهره"، لأنه يأتي به بلسانه، ولذلك فنحن نحكم بإسلامه في الظاهر، ولكنهم وإن ملؤوا الجو بلا إله إلا الله فإنها لا تنفعهم عند الله لأنهم لا يعتقدونها حقيقة، فهم لم يأتوا بتوحيد الباطن الذي هو حقيقة التوحيد، فهم جاؤوا فقط بالتوحيد الحكمي الذي يعصم الدم والمال، لذلك فإن المنافقين يدخلون في عموم قول الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ١٠٤] ، أما أن يكونوا مؤمنين عند الله ﷻ، فالله نفى عنهم الإيمان بقوله ﷻ: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨] ، فالمنافق أيضًا يقول لا إله إلا الله ولكن من غير اعتقاد في قلبه، فلا يواطئ قلبه لسانه، فهو يقولها من غير اعتقاد لحقيقتها.

فلا إله إلا الله التي تكون نافعة: هي التي يقولها العبد بصدق

فمن قال لا إله إلا الله غير شاكٍ بها دخل الجنة: قال رسول الله ﷺ: (أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، و أنِّي رسولُ اللهِ، لا يلْقَى اللهَ بِهِما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فِيهِما إلَّا دخَلَ الجنة)[١١] وقال ﷺ: (مَن ماتَ وهو يَعْلَمُ أنَّه لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ)[١٢] وقال النبي ﷺ: (فإنَّ اللَّهَ قدْ حَرَّمَ علَى النَّارِ مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بذلكَ وجْهَ اللَّهِ)[١٣]، أي من قالها ابتغاء وجه الله لا لكي يدافع عن نفسه وإنما معتقدًا بها، وحديث أبو هريرة ﷺ (اذهبْ بنعلي هاتينِ، فمن لقيتَ من وراءِ هذا الحائطِ يشهدُ أنْ لا إلَه [إلَّا] اللهُ مُسْتَيْقنًا بها قلبُه فبشِّرْه بالجنة)[١٤]

"والقشر الثاني ألا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول"

التوحيد الحقيقي الباطني

والقشر الثاني هو الباطن، يريد به التوحيد الحقيقي، فهو يعتقد معنى لا إله إلا الله في قرارة نفسه ولا يأتي بما يُخالف هذا المعنى، ولا يستكبر عنها، فالله ﷻ قال عن كفار قريش: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ﴾ [ص: ٧]، يعني النصارى الذين هم أهل الكتاب وهي الملة الآخرة لا يقولون إن الله واحد، بل

---

١١ الراوي : أبو هريرة | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم | 1009 : خلاصة حكم المحدث : صحيح
١٢ الراوي : سهيل ابن البيضاء | المحدث : البوصيري | المصدر : إتحاف الخيرة المهرة | الصفحة أو الرقم : ٧٧/١ | خلاصة حكم المحدث : رجاله ثقات
١٣ الراوي : عتبان بن مالك | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم | 1186 :خلاصة حكم المحدث: صحيح
١٤ الراوي : أبو هريرة | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم : ٨٥٧ | خلاصة حكم المحدث : صحيح

يقولون ثالث ثلاثة، فكان النصارى الذين أشركوا مع ربهم غيره فتنة لهؤلاء، لأنهم يقولون أنهم أصحاب ملة وكتاب ومع ذلك فهم لا يقولون بما أنزل محمد ﷺ أن الله المعبود هو إله واحد.

فقوله ألا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول، يعني أنه يقولها بلسانه ويعتقدها بجنانه، أنه لا إله إلا الله فلا يعبد إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا ينذر إلا لله، ولا يذبح إلا لله، ولا يستغيث إلا بالله، ولا يستعين إلا بالله، ولا يوالي إلا في الله، ولا يعادي إلا في الله، ولا يحب إلا في الله، ولا يُبغض إلا في الله، فيكون لله وبالله ومع الله (تحقيق التوحيد)

"بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به"

أي أنه يعتقد في قرارة قلبه أنه لا إله إلا الله ويصدق بذلك، فقالها وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، وهو مستيقنٌ بها قلبه، خالصًا من قلبه، يبتغي بذلك وجه الله (إشارة إلى الألفاظ المذكورة في الأحاديث التي سبق ذكرها)، يعلم أي يعتقد جازما أنه لا معبود بحق إلا الله ﷻ.

"وهذا هو توحيد عامة الناس"

ويقول المصنف رحمه الله: "وهذا هو توحيد عامة الناس"، أي عامة الناس من المؤمنين أتباع الرُسل بخلاف المنافقين، فهذا الذي يعتقده المؤمنون أننا نصدق بأن الله واحد لا إله إلا هو ونعتقد ذلك في قلوبنا، أما من كان من المنافقين الذين هم بين المؤمنين، فهؤلاء يقولون بألسنتهم لا إله إلا الله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون: ١]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] ، فعندهم التوحيد باللسان ولكن ليس عندهم التوحيد الباطن، الذي هو حقيقة التوحيد.

"ولُبَاب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله ﷻ ثم يقطع الالتفات عن الوسائط"

"لباب التوحيد"

ولُباب الشيء هو جوفه وزُبدَته، لباب التوحيد أي -محض التوحيد وحقيقته: أن يرى الأمور كلها لله ﷻ، أي أن الله ﷻ هو الذي بيده الضُّر وهو الذي بيده النفع، هو الذي يعطي وهو الذي يمنع.

كما جاء بالحديث (اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِما أعْطَيْتَ، ولَا مُعْطِيَ لِما مَنَعْتَ، ولَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ)[١٥]، وقال الله ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧]، وقال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨]: إن استقرت هذه المعاني في القلب، وهو أنه لا مانع إلا الله، ولا معطي إلا الله، ولا ضار إلا الله، ولا نافع إلا الله، وأنه هو الذي بيده ملكوت كل شيء و هو الذي يجير ولا يُجَار عليه، إذا استقرت هذه المعاني في القلب تحقق التوحيد.

"أن يرى الأمور كلها لله ﷻ"

ولهذا قال المصنف رحمه الله: "ولُباب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله ﷻ" (أن يرى أي أن يعلم) و المراد بالرؤية هنا هو الرؤية العلمية لأن الرؤية نوعان: رؤية بصرية و رؤية علمية، فقوله هنا أن يرى الأمور أي أن يعلم ويعتقد اعتقاداً جازماً أن الأمور كلها لله ﷻ.

ولهذا جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً أن النبي ﷺ قال: (إن من ضعف اليقين: أن ترضى الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره)[١٦]، فالله هو الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو الذي يجير ولا يجار عليه وإليه يَرجع الأمر كله ﷻ، ولهذا قال: "لُباب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله ﷻ"، هذا هو لُباب التوحيد، فإذا تمكنت هذه المعاني في القلب فإن الموحد هنا لا يلتفت إلى غير الله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يطلب إلا من الله، ولا يسأل إلا الله...

ولهذا قال رحمه الله: "لُباب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله ﷻ ثم يقطع الالتفات عن الوسائط"انتهى (الوسائط التي تكون بينه وبين الله) بل يُدلف (يدخل) مباشرةً على ربه فيسأله ويتضرع بين يديه، ويطلبه ويتذلل بين يديه، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦]، لم يقل ﷻ فقل إني قريب، إشعاراً بأنه ﷻ يُطلب، وإنه ﷻ إذا طُلب فإنه ﷻ يجيب، فلا وسائط بين العبد و بين ربه، ولا وسائط في عبادته، أما وسائط في إبلاغ رسالة الله فنعم.

الوسائط بين الله وبين خلقه هم الأنبياء الذين يوحي الله ﷻ إليهم عبر المَلَك، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى: ٥١]، فهؤلاء وسائطٌ في إبلاغ رسالات الله، أما عبادة الله ﷻ فليس بين العبد وربه وسائط، بل يسأله و يرجوه، ويطلبه ﷻ

---

١٥ الراوي : المغيرة بن شعبة | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم | 7292 :خلاصة حكم المحدث : صحيح

١٦ هذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي ، وأعله بمحمد بن مروان السدى وقال : ضعيف ، وفيه أيضاً عطية العوفي : ذكره الذهبي الضعفاء والمتروكين ، ومعنى الحديث صحيح

"ثم يقطع الالتفات عن الوسائط وأن يعبده ﷻ عبادةً يُفرد بها ولا يعبد غيره"

يعبدوه أي أن يذلوا له وأن يخضعوا له عبادة يُفرد بها ولا يعبد غيره، فلا يذل لله و يذل لغيره بل لا يعبد إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يرجو إلا الله.

"ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى"

أتباع الهوى

قال: "ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى" لذلك فإن العلماء رحمهم الله يقولون "أن كل من عصى الله فقد أشرك"، بمعنى الشرك العام حيث جعل مع الله غيره، حيث قدم غير الله على الله، فيكون بهذا المعنى من هذا الوجه مشركاً، فكل معصية خالف بها العبد مرضاة الله ﷻ من هذا الوجه يكون مشرك حيث قدم هواه ورغبة نفسه على مرضاة الله ﷻ هذا الشرك بالمعنى العام.

أما الشرك الذي هو الشرك الأكبر، أو الشرك الأصغر الذي إما يُخرج من الملة إذا كان شرك أكبر وإما ينقص من التوحيد والإيمان الواجب فإن هذا ينظر فيه إلى ما دلت عليه النصوص.

لكن المعصية من حيث إنها قُدمت على مرضاة الله فإنها تكون شركاً من جهة أنه قدم هوى نفسه ورضا نفسه على مرضاة الله ﷻ، ولهذا جاء في الصحيحين أن الرسول ﷺ قال: (تعِس عبدُ الدينارِ ، تعِس عبدُ الدرهمِ ، تعس عبدُ الخميصةِ ، تعس عبدُ الخميلةِ ، تعِس وانتكَس وإذا شيكَ فلا انتقشَ)[١٧]

سماه "عبدا" لأنه يقدم المال على مرضاة الله، يقدم الفضة على مرضاة الله، يقدم تجارته عن مرضاة الله، فمهما أمره هواه فإنه يطيعه، هذا يكون شركاً من هذه الوجه، أي أنه قدم هوى نفسه ورضى نفسه على مرضاة الله ﷻ.

شرك الهوى الأكبر

فإن كان هواه هذا يجره إلى أن يعبد مع الله غيره بحيث يدعوه و يتوكل عليه توكل عبادة، ويذبح له، و يدعوه من دون الله ﷻ، فإن الهوى قد أفضى به لشركٍ أكبر.

١٧ الراوي : [أبو هريرة] | المحدث : ابن تيمية | المصدر : مجموع الفتاوى | الصفحة أو الرقم : 28/35

شرك الهوى الأصغر

وإن كان هواه يجعله يحلف بغير الله مع الاعتقاد بأن الله هو الخالق والرزاق، المدبر، أو إنه ينذر لغير الله فيكون هواه قد أفضى به إلى شركٍ أصغر، وإذا قاده هواه إل الزنا -والعياذ بالله- أو إلى ربا، أو إلى غيبة فيكون هواه قد أفضى به إلى كبيرة من الكبائر.

وإن كان هواه قاده إلى أن يرى رؤيةً محرمة، أو أن يسمع السلام (أحد يلقي عليه السلام) أو أن يدعى إلى وليمة فلا يرد السلام ولا يجيب الوليمة فيكون هواه قد أفضى إلى أن يقع في ذنب أصغر.

المقصود من هذا أن التوحيد هو أن يخالف الإنسان هواه، وأن يجعل هواه تبعاً لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به).

والمعنى أنه مهما أمره هواه واتبعه، فهذا ينافي هذا الذي وحد إرادته وقصده لله فلا يعبد إلا الله، ولا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا في لله، لا يوالي إلا لله، لا يعادي إلا في لله؛ فهذا هو معنى التوحيد، فإنه يجعل هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ، لهذا قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] وقال أيضا: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، فجعل الأمر إما يكون تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ و إما يكون هوى فجعل الهوى بإيزاء الاتباع، فإما الاتباع وإما الهوى، إما أن يتبع وإما أن يكون الهوى، فالأمر أمران، إما اتباع لما جاء عن الله ورسله وإلا الهوى.

"فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده"

اتخاد الهوى معبودا

قال: "فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده"، جعل هواه معبوده لأنه يُقدم طاعة هواه مهما أمره به على طاعة الله وعلى مرضاة الله فيكون من هذا الوجه عابداً له، (تعِس عبدُ الدينارِ، تعِس عبدُ الدرهمِ، تعس عبدُ الخميصةِ، تعس عبدُ الخميلةِ، تعِس وانتكَس وإذا شيكَ فلا انتقشَ)، يكون عبداً يعبد الدينار فيجعل أمر فعله وتركه مبنيّاً على هذا الدينار، مبنيّاً على هذا الدرهم، مبنيّاً على هذه القطيفة، مبنيّاً على هذه الخميصةِ، فهذا والعياذ بالله يكون عبادةً، ولهذا قالﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣] ، والمعنى: أنه مهما أمره به هواه تبعه، يقول ﷻ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ

أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ [الفرقان: ٤٤] ، ولهذا جاء في سبب نزولها عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، ذكر هذا ابن أبي حاتم في كتابه التفسير وذكره كذلك عبده بن حميد وذكره غيرهما: أن الكفار كانوا يعبدون صنماً حتى إذا مضى على عبادتهم لهذا الصنم دهر مَلُّوه ثم عبدوا إلهاً آخر فأنزل الله ﷻ: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] ، فهؤلاء قد جعلوا إلههم معبودهم، وانظر، سمَّى الله ﷻ الهوىٰ إلهاً لأنه يُشرَّكُ مع الله، لأنه يتخذه معبوداً، لأن (أَلِهَ/يَأْلَهُ/ إِلَهَةً) فهو مألوه يعني أنه معبود

فمن جعل أمره في إقدامه وإحجامه، في فعله وتركه، في ولائه وبرائه، في محبته وبُغضه، من جعل مناطه هذا على هواه، مهما أمره هواه واستحسنه فإنه يكون معه، فهذا يكون قد عبد هواه.

هذه هي عبادة الهوىٰ والعياذ بالله، ولهذا يقول المصنف رحمه الله: "فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده"، قال الله ﷻ: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾ [الجاثية: ٢٣]

قوله ﷻ: (أفرأيت): هذا التعبير في كلام الله وفي كلام العرب يعني أخبرني، إذا استمعت لهذا التعبير فإن معناه أخبرني، مثل قوله ﷻ: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق: ٩-١٠]، (أرأيت): أي أخبرني، فقوله هنا (أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُ): يعني أخبرني عن شأنه وهذا الاستفهام استفهام تقرير مُشرَبٌ بإنكار لمن هذه حاله، وهي أنه اتخذ إلهه هواه فمهما أمره به هواه فإنه يطيعه ويسعى فيه، (وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ) جاء عن السلف فيها معنيين:

- الأول: على علم من الله حيث أضله، فالله أضله على علم حيث أضله، أي أنه مُستحق أن يُضل، بعد أن جاءته الهداية فردها فإن الله ﷻ يُضله، كما قال ﷻ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾ [الأنعام: ١١٠] ، وقال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥﴾ [الصف: ٥] ، وقال الله ﷻ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠]
- الثاني: أن قوله (عَلَىٰ عِلۡمٖ): أي أن هذا الذي اتخذ إلهه هواه أضله الله وهو (أي هذا الضال) على علمٍ بالحق لكنه يأبى أن يتبعه، فهو عالم بالحق لكنه لا يتبعه

وهذان المعنيان متلازمان، يعني لما علم الحق فلم يتبعه فإن الله ﷻ يُضله جزاءاً وفاقاً، حيث رد الحق ودفع ما علمه صدقاً، وهاهنا قاعدة وهي قاعدة شريفة في التفسير، أن هذه الآية وغيرها إذا احتملت معنيين لا منافاة بينهما فإن الآية تُحمل عليهما جميعاً، وهذه قاعدة قد جاءت عن جمع من السلف، جاءت عن الشافعي رحمه الله وعن إسحاق بن راهويه، بل جاءت عمن فوقهما، جاءت عن سفيان بن عُيينة ذكر هذا في أول كتابه في السنة

إذاً القاعدة أن الآية إذا احتملت معنيين لا منافاة بينهما فإن الآية تُحسب عليهما جميعاً، لكن هذا ينبغي تقييده بأمرين:

- القيد الأول: أن ذلك ما لم يكن السياق مُرَجِّحَاً لأحد المعنيين، يعني أن الآية إذا احتملت معنيين لا منافاة بينهما فإن الآية تُحمل عليهما جميعاً ما لم يكن السياق مُرَجِّحَاً لأحدهم

ولهذا روى أبو عبيدة القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه فضائل القرآن من طريق ابن عون عن عبدالرحمن بن مسلم بن يسّار عن أبيه أنه قال: "إذا حَدَّثتَ عن الله فقِف فانظر إلى ما قبله وانظر إلى ما بعده"، فالسياق بالسابق واللاحق، إذا كان يُرجِح أحد المعنيين فإننا نحمل الآية على أحدهما وإن كانت محتملة للمعنى الثاني، لكن إذا كان السياق يُرجِح أحدهما فإننا نجعل السياق حاكماً.

- القيد الثاني: وهو إذا لم يكن أحد المعنيين أفصح وأبلغ، فإذا كانت الآية تحتمل معنيين هو في أحدهما أفصح وأبلغ

فالذي ينبغي لنا أن نحمل كلام الله ﷻ على أفصح المعاني وأجلها وأبلغها، فإذا انتفى هذان القيدان فإننا نحمل الآية على المعنيين، وهنا الآية ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣] تحتمل معنيين، تحتمل (عَلَىٰ عِلْمٍ): أي على علم من الله بهم إذا أضلهم، و(عَلَىٰ عِلْمٍ): يعني أن هذا الضال لما اتبع هواه كان عالماً بما أمر الله ﷻ به، وهما مُتلازمان لذا فإننا لا نحمل الآية على أحد المعنيين فقط، ولهذا قال ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣] هذه هي النتيجة.

وقد يقول قائل: إن قوله (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) هذا يرجح أن قوله (وأضله الله على علم) أن معناه أن الله على علم إذا أضله سبحانه وتعال.

فإن هذه هي لوازم الإضلال ولهذا قال (وختم على سمعه) فصار لا يسمع الحق وإن بلغ أُذُنه لكنه لا يتبعه، فهم يستمعون إليه لكنهم لا يُذعِنون له، قال: (وختم على سمعه وقلبه): لأنه لما ختم على سمعه فلا وارد إلى قلبه ولهذا الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق: ٣٧] ، فهذا لا سمع ولا قلب فإنه قد خُتِم عليهما فلا يصل إليه الحق والعياذ بالله، سُدَّت عليه المنافذ نسأل الله السلامة.

وقال: "وجعل على بصره غشاوة" فهو لا يبصر الحق وإن كان يراه لكنه لا يبصره بعين بصيرته ولهذا قال سبحانه ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣] هذا الإستفهام هو استفهام تقرير أي لا أحد، المعنى أنه لا أحد، لأنّ كل شخص إذا لم يهده الله فإنه لن يهديه أحد، (ومن لا يجعل الله له نوراً فما له من نور) ولهذا قال: ﴿أَفَلَا

تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣] ، والمعنى هو أن هؤلاء لما اتبعوا أهواءهم وصاروا مهما أمرتهم أهواءهم يأتمرون بأمر هواهم صاروا لا ينقادون للحق ولا يذعنون له، لأنهم لم يجعلوا هواهم تبعاً لما جاء من الله وعن أنبيائه

"وإذا تأملت عرفت أنّ عابد الصنم لم يعبده إنما عبد هواه"

أي إذا تأملت -أي في أحوال من أشرك مع الله غيره- عرفت أن عابد الصنم هذا لم يعبده أي أنه لا يعبد هذه الحجارة وإنما لو سألتهم هل هذه الحجارة تنفع أو تضر؟ هل هي تمنع أو تعطي؟ سيقولون لا، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧] إذاً ما الذي يعبدونه، ما الذي حملهم على أن يدعون هذا الصنم؟ قال إنّما عبد هواه، ما هو هواه هذا الذي عبده؟ قال هو ميل نفسه إلى دين آبائهم كما قال الله عز وجل ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ﴾ [المائدة: ١٠٤] فكانوا يحتجون بأنهم لا يتبعون أهواءهم بل يتبعون آباءهم مع أنّ آبائهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون، وهم يعلمون ذلك ولكنهم يتبعونهم وما الذي حملهم على أن يتبعوهم إنما هي أهواءهم وهي أن نفوسهم تميل بهم إلى أن يتبعوا دين آبائهم هذا الذي حملهم على أن يشركوا مع الله غيره، وأن يعبدوا هذه الأصنام وهذه الأوثان ولهذا قال إنما عبد هواه وهو ميل نفسه إلى دين آبائهم فيتبعوا ذلك الميل وهذا الميل هو الهوى، وهو حقيقة الهوى.

"وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها باتباع الهوى"

ميل النفس إلى المألوفات

ويقول رحمه الله: "وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها باتباع الهوى" أي أنه يريد الهوى الذي يعني أنّه مهما أمره هواه فإنه يتبعه، أما الهوى وهو الذي يعني أنّ النفس تميل لما يلائمها من ملذات ولأنه يوافق طبعها، فإنّ هذا لا حرج فيه ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها (...ما أرى ربَّكَ إلَّا يسارعُ لَكَ في هواكَ)[١٨] لما قال الله عز وجل (ترجي من تشاء منهن وتأوي إليك من تشاء ...) قالت "يا رسول الله ما أرى ربك إلّا يسرع في هواك" أي ما تميل إليه نفسك مما يكون ملتذّاً له وليس المعنى أن الهوى هنا يعني أنّه مهما أمره في هواه فإنه يتبعه وعليه فإنّ الهوى نوعان:

أقسام الهوى

- الهوى المباح: وهو أنّ الإنسان يفعل ما تميل إليه نفسه من حيث كون نفسه ملائمة له أي تلتذه نفسه من مأكول أو مشروب أو منكوح، فإنّ هذا يكون هوى مباحاً أي ما مالت إليه النفس وتوافقه وملائماً لها،

١٨ الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح النسائي | الصفحة أو الرقم | 3199 : خلاصة حكم المحدث : صحيح

ولدينا عبارة في السعودية نقول إذا أضفت إنسان (قدمت إليه قهوة مثلاً) ثمّ تقول له تفضل، وقال لا جزاك الله خيراً لا أريد، فإنّك ترجع إليه مرة أخرى وهذا يسمى في السعوية **التلزيم** وإذا أبى نقول خلوه إكرام النفس هواه أي نقصد ما مالت إليه نفسه وما ترتاح إليها نفسه هذا النوع من الهوى هو هوى مباح.

- الهوى المذموم: النوع الثاني من الهوى هو الذي نتكلم عنه، هو أنه مهما أمرته نفسه وهواه فإنه يتبعه، هذا ال**هوى المذموم** الذي قال الله تعالى فيه ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] وقال أيضاً ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣] وقال (كيف إن لم يستجبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم ...) أي مهما أمرته نفسه وهواه فإنه يتبعها هذا الهوى المذموم والذي يعبد من دون الله.

"ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق والإلتفاف إليه"

قال: "ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق والالتفاف إليه فإن من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره أو يأمل سواه" أي يقول رحمه الله أن من تحقق فيه هذا التوحيد أي أنه علم أن الأمر كله بيد الله كما قال النبي ﷺ (عن حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من حديث حارث بن الصنعان عن عبد الله بن عباس وتخريجه عند أحمد والترمذي وعند غيرهما أن النبي ﷺ قال له: يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك ولو اجتمعوا على يضروك لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)[١٩]

هذا المعنى إذا تحقق في القلب وعلم العبد أن كل شيء بيد الله عز وجل فإنه لا يسخط على شيء وقع من الناس لأن الأمر إنما هو بيد الله فالكل من الله عز وجل ما شاء الله كان وإن لم يشاء الناس وما لم يشاء الله لم يكن وإن شاء الناس وكما قال تعالى وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله رب العالمين تعالى، ولهذا قال ويخرج عن هذا التوحيد السخط عن الخلق والالتفات إليه فلا يلتفت بقلبه إلى الله فإن هذا من ضعف اليقين

ومن ضعف اليقين أن تذم الناس على ما لم يؤتك الله وأن تحمدهم على رزق الله أي تحمدهم وتنسبه إليهم فالله عز وجل هو الذي بيده ملكوت كل شيء هو الذي خزائنه لا تنفذ عز وجل أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لن يغب ما في يمينه عز وجل.

ولهذا جاء حديث بن أبي ذر في حديثه الشريف العظيم أخرجه مسلم في كتابه الصحيح رحمه الله (أنّ الله تعالى قال يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما

---

١٩ الراوي : عبدالله بن عباس | المحدث : الوادعي | المصدر : الصحيح المسند | الصفحة أو الرقم | 699 : خلاصة حكم المحدث : صحيح لغيره

نقص ذلك مما عندي إلّا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك مما عندي شيء)[٢٠]

فالله عز وجل هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو الذي إليه يرجع الأمر كله تعالى قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله تعالى قال فإن من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره أو يأمل سواه إذا علم أنّ الله بيده النفع وبيده الضر هو الذي يعطي وهو الذي يمنع هو الذي يحيي وهو الذي يميت هو الذي يعز وهو الذي يذل إذا علم ذلك واستقر في قلبه فكيف يسخط على الناس؟ وكيف يأمن الناس؟ كيف يرجوا الناس؟ لأن الأمر كله بيد الله.

"وهذا التوحيد مقام الصدّيقين"

يقول رحمه الله: "وهذا التوحيد مقام الصديقين، لأن هذا هو حقيقة التوحيد ولذلك هؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب"، كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما النبي ﷺ قال: (ورُفع لي سوادٌ عظيم، فقيل هذه أمتك، وفيهم ثمانون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم قال لما أخبر بهم ﷺ قال هم الذين لا يسترقون ولا يكتَوون ولايتطيّرون وعلى ربهم يتوكلون)[٢١]

هذه الصفات التي ذكرها النبي ﷺ فيهم، أنهم قد حققوا التوحيد، فعلقوا قلوبهم بالله لا يسترقون لا يطلبون من أحدٍ أن يعطيهم، لاعتمادهم على الله وتوكلهم عليه، ولا يكتَوون لا يسألون أحداً أن يكويه لتوكلهم على الله واعتمادهم عليه، ولا يتطيّرون لا يتشائمون، لاعتمادهم على الله وثقتهم بالله، وعلى ربهم يتوكلون، فلا يعتمدون بقلوبهم إلا على الله في جلب المنافع ودفع المرض، ويبذلون الأسباب التي جعلها الله تعالى أسباباً.

لذلك فإن هؤلاء قد حققوا التوحيد، فقلوبهم معلقةٌ بالله لا يريدون إلا من الله ولا يعتمدون إلا على الله، لأنه هو الذي بيده ملكوت كل شيء كما قال الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦]، ﷻ هو الحي، الله ﷻ يقول: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨﴾ [الفرقان: ٥٨] ﷻ تبارك وتقدس.

---

٢٠ الراوي : أبو ذر الغفاري | المحدث : أبو نعيم | المصدر : حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم | 5/144 : خلاصة حكم المحدث : صحيح ثابت
٢١ الراوي : عبدالله بن عباس | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم : ٢٢٠ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

المقامات والأحوال عند الصوفية

ولهذا قال المصنف رحمه الله: "وهذا التوحيد مقام الصديقين" هذا هو المقام، هذا هو أعظم المقامات، وهذا المقام هو اصطلاح مشهور عند الصوفية، الصوفية عندهم مقامات وعندهم أحوال يسمونها أحوال.

الحال

معناه الوارد وهو الذي يرد على القلب ثم يزول ما يبقى ولا يأتي من طريق المجاهدة عندهم، وإنما هو وارد يكاشف به القلب من غير مجاهدة.

المقام

أما المقام عندهم فهو الذي إذا ورد على القلب استقر فيه، هذا عندهم يسمى مقام أقام فيه استقر فيه ويأتي من طريق المجاهدة عندهم.

مرتبة الصديقية

وأعلى المقامات عندهم وأعلى الرتب هي مرتبة الصدِّيقية، أما مرتبة النّبوة فهذه لا تُنال بالمُجاهدة، وإنما أعلى المراتب عندهم هي مرتبة الصدِّيقية، لأن ما بعدها النّبوة وهذه لا تُنال، وإنما هي اصطفاء واختيار، فأعلى المراتب وأعلى المقامات إنما هو مقام الصدِّيقية للسالك والسائر إلى الله والسائر إلى الله معناه عندهم هو الذي انقطعت علائق قلبه بغير الله، فلم يعلق قلبه إلا بالله، وهو الذي يجاهد نفسه في مخالفة شهواتها، هذا يسمونه السائر، ثم إذا ترقّى في هذه الرُتب يسمونه السالك وهو ينتقل عبر هذه المقامات .

والمقام عندهم يختلفون فيه، بعضهم يجعله تسع مقامات وآخرون يجعله عشر مقامات وبعضهم يجعله مئَة مقام.

المقصود من هذا أيها الأخوة هو أن المراد هنا -وهو مقام الصديقين- أن أعظم ما حققه الصديقون أنهم يحققون التوحيد، فأنهم لا يسألون إلا الله لا يتوكلون إلا على الله لا يطلبون إلا من الله تعالى

فهذا هو أعظم المقامات وهو أجل المقامات، الصديق لا يكون صدّيقاً حتى يكون محققاً للتوحيد هذا هو توحيد الرسل، ولذلك الرسل يتوكلون على الله بطلب مرضات الله تعالى، كثيرٌ من الناس يتوكلون على الله عز وجل في جلب منافعه الدنيوية وهذا حسن، لكن أعظم منه أن يتوكل على الله لتحقيق مراضيه ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ١٢﴾ [إبراهيم: ١٢]

فتوكل الأنبياء والرسل إنما هو اعتماد على الله في جلب المنافع الدينية ودفع المضار الدينية، فهذا هو توكلهم، فهؤلاء هم الذين حققوا التوحيد، هذا هو أعظم المقامات وهو مقام الصديقين، لأنهم صدقوا الله فخلصت قلوبهم لله، نسأل تعالى أن يبلغنا ذلك.

"ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل أقروا بأنه ﷻ وحده خالقهم"

إقرار المشركين لتوحيد الربوبية

يقول ﷺ: "ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السماوات والأرض والقائم بمصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة" كما قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥]

هنا المصنف رحمه الله شرع في بيان أن هذا التوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، هذا هو توحيد الإلهية، وهو ألا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، الذي هو معنى لا إله إلا الله، هذا التوحيد هو الذي وقع فيه شرك المشركين، المشركون الذين جاءت إليهم الرُسل وقالوا لهم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، كانوا يشركون مع الله غيره حيث يعبدون الله ويعبدون معه غيره، أما أنهم يقولون أن مع الله خالقاً رازقاً مدبراً محي مميتاً، هذا لم يكن فيهم أو لم يكن فيه هذا النزاع الكبير

النزاع الشديد بين الأنبياء وبين من أُرسل إليهم، وإنما كانوا يقرُّون أن الله هو الخالق الرّازق المدبر مثل ما تقدم لنا تقرير هذا، وهذا كثيرٌ في القرآن بيان أن من أُرسلت إليهم الرُّسل يقولون أن الله هو الخالق أن الله هو الرازق أن الله هو المدبّر أن الله هو المُحيي والمُميت، ولكن ما كانوا يصرفون عبادة الله يصرفونها إلى غيره، فبذلك كانوا مشركين

ولذلك رحمه الله يقول: "ولا ريب -أي لا شك- ولا ترددا -أي أن هذا الأمر مقطوع به- أن توحيد الربوبية (توحيد الله) بأفعاله أنه هو الخالق الرازق المدبر إلى آخره لم ينكره المشركون" (ما نازعوا فيه وإنما كانوا يقرُّون به كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧] وقال ﷻ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩] وقال أيضا ﷻ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٥] وقال ﷻ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [المؤمنون: ٨٦] وقال ﷻ ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٨]

كل هذا سيقولون لله لا ينازعون في هذا، هم يقبلون بهذا، وإنما النزاع أنهم كانوا يخالفون في أن الله يُعبد وحده لا شريك له، أما أن الله خالق رازق مدبر مُحيي مميت معز مذل، هذا كانوا يقرُّون به لا ينازعون فيه، ولهذا قال المصنف: "بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السماوات والارض والقائم بمصالح العالم كله ومن يدبر الأمر" ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] كما ذكر الله عز وجل ذلك عنهم فهم يقرُّون بأن الله هو خالقهم وهو رازقهم هم لا ينازعون فيها بل هم يقبلون هذا ويقرون بذلك: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] فهم لا ينازعون في ذلك ولا يخالفون فيه، إذا أين مورد النزاع ؟

وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة"

إنكار المشركين لتوحيد الألوهية والمحبة

قال المصنف رحمه الله: "إنما أنكروا توحيد الألوهية والمحبة" يعني توحيد الله بأفعال العباد: يعني أنهم لا يسألون إلا هو، ولا يدعون إلا هو، ولا يتوكلون إلا عليه، ولا يرجون إلا هو، ولا يخافون إلا منه، ولا ينذرون إلا له، ولا يذبحون إلا له، لا يستغيثون إلا به، ولا يستعيذون إلا به، ولا يستعينون إلا به، ولا يتحاكمون إلا إليه.

هذا الذي كانوا يشركون به مع الله ﷻ، ولذلك قال المصنف: "كما قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

"ومن الناس" أي بعضهم، "من يتخذ من دون الله أندادا" أي نظراء، لذلك الله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]، فلا تجعلوا لله أندادا أي نظراء أي لا تجعل لله ندا وهو خلقك، والسلف في قوله ﷻ: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة: ١٦٥] لهم فيها قولان، وقد جاء عن مجاهد عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم قالوا: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة: ١٦٥] "أي أن هؤلاء يحبون أصنامهم كما يجب أن يحبوا الله"، يعني كالمحبة التي لا تكون إلا لله، وهنا يكونوا قد أشركوا في المحبة وهذا القول الأقرب: لأن الله ﷻ أخبر أنهم كانوا يسوون بالله كما في قوله ﷻ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨]، فهم يحبون الله ولكنهم يحبون أصنامهم وأوثانهم ومعبوداتهم كحب الله، فساووا بين محبة الله وبين محبة أصنام الله، لذلك هم كانوا بذلك مشركين لأنهم ما أفردوا الله ﷻ بمحبة العبادة عدلوا مع الله عدلوا الله عز وجل بغيره من خلقه ولهذا قال الله ﷻ: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾

[البقرة: ١٦٥] يعني أنهم يحبون الله وحده لا شريك الله أشد حبا لله من محبة هؤلاء المشكرين لأصنامهم لأن المؤمنين لما حبو الله أفردوه بالمحبة، وما جعلوا مع الله غيره كما فعل هؤلاء المشركون، ساووا الله ﷻ بغيره، ساووا الله ﷻ بأصنامهم فأحبوا الله ﷻ وأحبوا أصنامهم كما يحبون الله ﷻ فكانوا بذلك مشركين.

ولذلك قال المصنف ﷺ: "فلما سووا غيره به في هذا التوحيد كانوا بهذا مشركين" يعني أنهم عبدوا غير الله كما يعبدون الله فصاروا بذلك مشركين هذا هو الشرك

ولذلك فإن من أجمع ما يعرف به التوحيد هو أن يفرد الله ﷻ بكل ما يختص به؛ كل ما لا يكون إلا مختصا بالله ولا يجوز أن يكون إلا لله من الأسماء والصفات والأفعال، فإن هذا لا يجوز أن يكون إلا لله فحينئذ صرفه لغير الله تعالى أو نسبته لغير الله ﷻ يكون شركا، نقول إفراد الله ﷻ وحده لا شريك له بكل ما يختص به هذا هو حقيقة التوحيد وهو الذي يقابله الشرك: أن يجعل لله ندا في أسمائه أو صفاته أو أفعاله أو ربوبيته ﷻ أو ألوهيته ﷻ، فإفراد الله بما يختص به ﷻ هذا هو التوحيد.

تسوية غير الله بالله فيما يختص بالله، هذا هو الشرك الذي جاءت الرسل لمنابذته ومعاداته: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، لذلك فإن أكثر الناس ممن يؤمنون بالله أنه هو الخالق الرازق المدبر يشركون مع الله أيضا، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] يعني في أنهم يعبدون مع الله غيره، هم يقولون أن الله هو الذي خلقنا ورزقنا لكنهم يجعلون مع الله غيره، لذلك فهم لما سووا غير الله بالله فيما لا يكون إلا لله يعني في المحبة التي لا تكون إلا لله صاروا بذلك مشركين.

لذلك قال المصنف: "كما قال ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]" قوله الحمد لله: الألف واللام هذه للإستغراق أي أن جميع المحامد لله ﷻ فإن الله ﷻ يحمد وغيره يحمد، أما إستغراق المحامد بل جميع المحامد على وجه التمام والكمال فهذه لا تكون إلا لله ولذلك فإن الله ﷻ صدر هذه الآية في صدر هذه السورة وهي سورة الأنعام؛ بقوله (الحمد لله) فهذا فيه إثبات صفات الكمال له ﷻ الذي خلق السماوات والأرض، يعني الذي أوجدهما من العدم، كما قال الله ﷻ: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٦]، يعني لا يخلقهما إلا هو ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ﴾ [الأنعام: ١] فجعل هنا بمعنى خلق، فجعل الظلمات والنور يعني خلقهما

"جعل" إذا جاءت كفعل ينصب مفعول واحد تكون بمعنى خلق، وإذا جاءت كفعل متعدي ينصب مفعولين، تكون بمعنى صير، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣] ، يعني صيرناه وليس خلقناه،

فجعل هنا بمعنى التصيير المفعول الأول وهو ضمير الهاء في جعلناه والمفعول الثاني وهو قرآنا لفعل جعلناه، أما إذا لم تتعدى إلا لمفعول واحد فإن جعل تكون بمعنى خلق.

وتأمل قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: ١] جمع ﷻ الظلمات أما النور فأفردها، لأن الظلمات كثيرة أما النور فإنه واحد، لذلك قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣] جاء بالسبل جمعا وأفرد كلمة (سبيله)، وقال ﷻ: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النحل: ٤٨] فقال اليمين وأفردها أما عند الشمائل فإنه ﷻ جمعها، لذلك قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

فلما ذكر النور ﷻ أفردها لأن السبيل إلى الله واحد ونوره واحد وهداه واحد، أما عندما ذكر الظلمات فجمعها لأنها كثيرة، لذلك روى أبو بكر بن عياش كما عند الترميذي وغيره من حديث عبد الله بن مسعود: (خطَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خطًّا بيدِه ثم قال : هذا سبيلُ اللهِ مستقيمًا، وخطَّ خطوطًا عن يمينِه وشمالِه، ثم قال : هذه السبلُ ليس منها سبيلٌ إلا عليه شيطانٌ يدعو إليه، ثم قرأ : وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكم عَنْ سَبِيلِهِ)[٢٢]

الله ﷻ قال (وجعل الظلمات والنور)، ويقول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [الأنعام: ١] ثم: أي مع ذلك، يعني أن الله الذي له الحمد، خلق السموات والأرض أي أوجدهما من العدم، وهو الذي جعل الظلمات والنور أي هو الذي خلقهما، ومع ذلك الذين كفروا بربهم يعدلون أي يسوّون معه غيره، يعدلون أي أنهم يجعلون غيره عدلا له مساويا له، يسوّونهم برب العالمين: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨]' فسوّوا غير الله ﷻ بالله، وبذلك جعلوا لله أندادا، ولهذا في الصحيح عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: (قلت يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك)[٢٣] ولهذا ذكر الله ﷻ أصول الذنوب الكبائر، التي هي أعظم الذنوب بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ [الفرقان: ٦٨] هذه هي أصول الذنوب الكبائر، ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٨] ، ولهذا فإن حديث ابن مسعود جاء عن معنى آية الفرقان، فهو كآية الفرقان ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] هو قوله: (أن تجعل لله ندا وهو خلقك)، ﴿وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ [الفرقان: ٦٨]هو معنى قوله: (أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك)، ﴿وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ هو معنى قوله: (أن تزاني حليلة جارك)، فهذه هي أعظم الذنوب، والمقصود من هذا أن أعظم الذنب أن تجعل لله ندا وهو خلقك، نظيرا أو شريكا، أن تسويه برب العالمين، ولهذا

---

٢٢ الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : ابن باز | المصدر : مجموع فتاوى ابن باز | الصفحة أو الرقم | 239/1 : خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح
٢٣ صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث رقم ٥٦٥٥

قال: "أن يسوون به غيره"، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون أي يسوّون به غيره، فيجعلون ما هو مختص بالله يجعلونه لغير الله، فهذه هي حقيقة الشرك نعوذ بالله من الخذلان، قال: "وقال ﷻ: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠] أي أنهم يسوون غير الله بالله ﷻ"، يقول: "وقد علَّم الله ﷻ كيفية مباينة الشرك في توحيد الألوهية، وأنه حقيق بإفراده ﷻ وليا وحكما و ربا"انتهى

"وقد علّم الله ﷻ كيفية مباينة الشرك في توحيد الإلهية"

يقول المصنف رحمه الله، "وقد علّم الله ﷻ كيفية مباينة الشرك في توحيد الإلهية، وأنه حقيق بإفراده ﷻ وليا وحكما وربا"[٢٤]انتهى، فقوله رحمه الله، "وقد علم الله ﷻ كيفية مباينة الشرك في توحيد الإلهية" بل إن القرآن من أوله إلى آخره بيان في حقيقة التوحيد، فإن الله ﷻ في كتابه العظيم قد بين حقيقة التوحيد، وبين كيف يُبايَن الشرك:

فإن أكثر الناس كما أخبر الله ﷻ، يؤمنون بالله لكنهم يشركون معه غيره، فقد قال ﷻ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، ولذلك فإن القرآن العظيم قد بيّن غاية البيان حقيقة الإيمان بالله ﷻ وتوحيده، وبيّن أيضا كيف تكون مباينة الشرك، وأن الله ﷻ، هو أحق من عُبد ﷻ، وأنَ من أشرك معه غيره فيما يستحقه، وصرف شيئا مما يستحقُّ الله ﷻ إلى غيره، فإن هذا يكون شركا.

قال رحمه الله "وأنه حقيق بإفراده ﷻ وليا وحكما وربا" انتهى، وقوله حقيق أي جدير، كما قال الله ﷻ عن موسى عليه السلام، أنه قال لفرعون: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٠٥]، فقوله هنا حقيق يعني أن الله ﷻ جدير ومستحق بإفراده بكونه وليا أي محبوبا وناصرا، وبكونه حكما، وبكونه ربًا، وقوله: "وحكما" يعني أنه ﷻ، هو الذي يفصل بين عباده في حكمه القدري، وفي حكمه الشرعي، وذلك لأن أحكام الله ﷻ أحكام قدرية وأحكام شرعية، ثم هذه الأحكام الشرعية منها أحكام وضعية، ومنها أحكام تكليفية، ومنها أحكام جزائية (والتي تتعلق بالثواب والعقاب).

وأيضا من أسمائه ﷻ الحكم، كما جاء عند أبي داوود من حديث يزيد بن المقدام بن شريح: «عنْ هاني أنَّهُ لما وفَد إلى رسولِ اللهِ ﷺ مع قومِه سمِعهم يُكنُّونَه بأبي الحَكَمِ فدعاه رسولُ اللهِ ﷺ فقال إنَّ اللهَ هو الحَكَمُ وإليه الحُكْمُ فلِمَ تُكَنَّى أبا الحَكَمِ قال إنَّ قومي إذا اختلفوا في شيءٍ أنزلوني فحكمتُ بينَهم فرضيَ كِلَا الفريقين فقال عليه السلام ما أحسَنَ هذا ثم كنَّاه بأبي شُريح»[٢٥]

---

٢٤ [تجريد التوحيد للمقريزي]
٢٥ تحفة المحتاج، (2/570)

قال رحمه الله "وربّا"، والرب كما تقدم لنا هو الخالق، الرازق، المدبر، المالك، السيد، فقد كان فيما جاء عن جمع من السلف أنهم فسروا الرَب بأنه هو السيد، وأيضا يذكر رحمه الله قول الله ﷻ ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]، وهذا دليل على أنه لا يُتخذ ولي أي محبوب تُطلب نصرته إلا الله ﷻ، والله ﷻ يَنْصُر ويُنْصَر

معنى نُصْرة العبد لله ﷻ، أي أنه ينصر دينه، ويدافع عن شريعتِه، كما قال الله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، فإذا نصر العبد دين الله فإن الله ينصره كما وعد الله ومعنى ينْصركم أي يؤيدكم ويعينكم ويدافع عنكم، وكما قال الله ﷻ في كتابه الكريم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]

ثم استشهد رحمه الله بقوله ﷻ ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وهذا دليل عل أنه لا يُتَخذ غير الله ربا، لأنه قال بإفراده ﷻ، وليا وحكما وربا، فهذه الآية تعني أتريدون مني أن أتخذ غير الله معبودا لي، مالكا لي، متصرفا في؟!

الربوبية والألوهية

وهنا مسألة هامة، وهي أنَ مسألة الربوبية والألوهية تجري عليهما قاعدة عند العلماء تسمى بقاعدة "الإقتران والإفتراق"، والمعنى أن عندنا ألفاظ في الشريعة إذا إجتمعا إفترقا، و إذا افترقا اجتمعا (في المعنى)

يعني إذا جاءا في سياق واحد افترقا، أي صار لكل واحد منهما معنى، بينما إذا افترقا وجاء هذا في سياق وهذا في سياق آخر، فإن كل واحد منهم يكون بمعنى الآخر.

مثال[١] الفقير والمسكين، إذا افترقا وجاء هذا في سياق وهذا في سياق، فإن الفقير هو المسكين والمسكين هو الفقير، مثل قوله ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٦]، فالمسكين هنا يشمل الفقير، وأيضا في قوله ﷻ ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، فقوله ﷻ الفقراء يشمل المساكين

مثال[٢] الإسلام والإيمان، الإسلام إذا جاء في سياق وجاء الإيمان في سياق آخر، فالإسلام هو الإيمان والإيمان هو الإسلام فيكونان مترادفين كقوله ﷻ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، يشمل كذلك الإيمان وقوله ﷻ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، يشمل الإيمان وفي قوله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٩]، يعني وأسلموا وفي قوله ﷻ ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، يعني كذلك يكون مسلمًا

وأيضا مثل قوله ﷺ «بُنِيَ الْإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ»[٢٦]، هذا كذلك يشمل الإيمان، وأيضا في قوله ﷺ «المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ، والمُهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى اللَّهُ عنْه»[٢٧]، هذا كذلك يشمل المؤمن، فالإسلام والإيمان إذا جاء كل واحد منهما في موضع دخل هذا في هذا وهذا في هذا، ومثلها كذلك الرحمة والمغفرة، ومثلها كذلك التوبة والعمل الصالح وقِس على هذا

- الإله والرب أو الربوبية والألوهية:

إذا جاءا مقترنيين إذا كانا في سياق واحد صار هذا له معنى وهذا له معنى، أما إذا جاءا مفترقَيْن فإن هذا له معنى هذا وهذا له معنى هذا

مثال:

- إذا قال الله ﷻ ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]، أي خالقي ورازقي وهَو كذلك معبودي
- "من ربك وما دينك ومن هذا الرجل الذي بُعث فيكم" من ربك يعني يشمل كذلك من معبودك
- وأيضا في قوله ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، يعني وكذلك وربكم ربٌّ واحد.

فإذا افترقا اجتمعا في المعنى، لكن إذا كانا في سياق واحد صار معنى الربوبية مختصًّا بالرزق والملك والتدبير وما أشبه ذلك، والإلهية بمعنى المعبود هو الذي يُتوكل عليه هو الذي يُذبح له هو الذي يُنذر له، هو الذي يُصَلى له، هو الذي يُدْعَى له، وهو الذي يُستغاث به، هو الذي يُستعان به وهكذا، ففي قوله هنا ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، هذه الآية جاءت الربوبية ولم يقرن معها الإلهية فتكون حين إذا الربوبية بمعنى الإلهية، والإلهية بمعنى الربوبية ففي الآية السابقة يعني خالقًا ومدبرًا وهو كذلك يعني إلهًا يعني أنه المعبود لكن إذا جاءا في سياق واحد صار هذا له معنى وهذا له معنى مثل قوله ﷻ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦]

فالرب يعني الخالق المالك الرازق المدبر وهكذا والإله يعني المعبود الذي يُتوكل عليه ويُستغاث به ويُصلى له وهكذا، ففي قوله هنا ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، يشمل كذلك الإله يعني الذي يُعبد ﷻ، يعني هم، لو لم يكن معنى الإلهية داخليًّا لقالوا لا تبغي ربًّا إلا الله؛ ونحن كذلك لا نبغي ربًّا إلا الله لأنهم ما يبغون

---

٢٦ [نسخة الزبير بن عدي]
٢٧ [صحيح البخاري]

ربًّا إلا الله يعني لا يقولون إن غير الله هو الخالق الرازق المدبر وهكذا، فلما كانوا هم يبغون غير الله حينما يتوكلون، حينما يُصلون، حينما ينذرون، حينما يستغيثون، حينما يذبحون، يعني أنتم لا تبغون الله بل تبغون غير الله ربًّا يعني أنه معبود متوكل عليه وهكذا

توحيد الحاكمية

والمصنف ﵀، ذكر أنه حكَم ﷻ، والله ﷻ قال في نفس السورة: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾[الأنعام: ١١٤]، ولذلك لا حاكم إلا الله كما قال ﷻ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، فالذي يقول هذا حلال وهذا حرام يعني في الأحكام الشرعية والذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، والذي يُثيب ويعاقب: يعني يثيب بجنة يثيب بالحسنات ويعاقب بالسيئات هذا لا يفعله إلا لله، ولذلك فإن كون الله حاكمًا هذا داخلٌ في الربوبية لأنه داخل في كونه هو الملك السيد المدبر فإن الملك هو الذي يُثيب ويعاقب، هو الذي يقضي، هو الذي يحكم، ولذلك فإن بعض الناس الذي جاء بنوع من أنواع التوحيد يُسميه توحيد الحاكمية: هذا التوحيد داخلٌ في الربوبية هو داخلٌ في معنى قولنا إن الله هو الرب الرازق المدبر عز وجل أن الله هو الملك فلا حاكم إلا الله كما قال الله ﷻ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]، فلا يحل ولا يحرم إلا الله، فمن اتخذ غير الله يُحلل ويحرم فإن هذا قد أشرك مع الله ﷻ في ربوبيته وفي ألوهيته، ولهذا روى الترمذي ﵀ في كتابه الجامع وغيره من حديث عدى بن حاتم أنه جاء النبي ﷺ وتلا عليه قوله ﷻ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وأيضا في قوله ﷺ «فقال عدي وكان يعرف أحوال النصارى: يا رسول الله! إنهم لا يعبدونهم يعني لا يعبدون الأحبار والرهبان، فلا يسجدون لهم ولا يركعون- فقال الرسول ﷺ: (أليسوا يحلون الحرام فيحلونه، ويحرمون الحلال فيحرمونه؟ قال: بلى.قال:فتلك عبادتهم)»[٢٨]

ولذلك فإن من يتحاكم إلى غير الله فإنه يتحاكم إلى الطاغوت لا يتحاكم إلى الله كما قال الله ﷻ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، وأيضا كما قال ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] ، وأيضا في قوله ﷻ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠] ، فالحكم لله ﷻ هو الذي يُحل وهو الذي يُحرم وهو الذي يوجب وهو الذي يمنع ﷻ فإن هذا داخلٌ في كونه ربًّا ﷻ

ويقول المصنف ﵀ "فلا ولي ولا حكم ولا رب إلا الله"، كما تقدم بيانه، قال: "الذي من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيته ولو وحد ربوبيته" يعني أنه لو عدل به غيره، يعني أنه سوَّى غيره به فإنه يكون قد أشرك به،

---

٢٨ [دروس للشيخ عبد الرحمن المحمود]

كما قال الله ﷻ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] وقد قال الله ﷻ عنهم إذا كبكبوا في النار ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨]، وأيضا كما قال الله ﷻ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، أندادًا يعني نظراء، وقال عبد الله بن مسعود ﷺ يا رسول الله "أيُ الذنب أعظم" كما «سُئل رسول الله ﷺ أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك»[٢٩]

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، أي: يسوون غير الله بالله، ولهذا قال الشيخ "من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيته ولو وحد ربوبيته"[٣٠]، فإنه وإن اعترف بأن الله هو الخالق والرازق فإذا صرف ما لا يكون إلا لله من العبادة والذبح والنذر والإستغاثة والصيام، اذا صرف هذا لغير الله يكون قد عدل بالله غيره، وهذا هو معنى الشرك.

"توحيد الربوبية هوالذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها"

اجتمعت عليه الخلائق أي ممن أثبت الصانع، فمن أثبت وجود الصانع أثبت أنه هو من يرزق ويعطي ويمنع ويدبر ويملك وهو الذي ينفع ويضر، ويمكن أن يوجد من بعض الضلال من الفلاسفة من يعتقد بأن الصانع خلق الخلق وأودعه قوانينه ثم تركه! مثل "صانع الساعة" الذي يصنع الساعة ثم يتركها، كما يسمونه (إله الفيزياء الكلاسيكية)، وهذا لا يليق بالربوبية بل هو منافٍ لتمام الربوبية.

قال الله ﷻ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، يؤمنون بالله أي أنه هو الذي خلقهم ورزقهم، وهو الذي يعطيهم ويمنعهم وينفعهم ويضرهم؛ لكنهم يشركون معه غيره فيعدلون به غيره، ولا يصرفون له العبادة التي هى محض حقه، وإنما يصرفونها له ولغيره.

" توحيد الإلهية مَفرَق الطرق بين المؤمنين والكافرين والمشركين"

وهذا هو الذي اختلف فيه المشركون عن الموحدين:

- الموحدون يقولون أن الله هو الخالق الرازق المدبر ﷻ ولذلك فإننا لا نعبد إلا هو، فلا يتوكلون إلا عليه، ولا يصلون إلا له، ولا يستغيثون إلا به، ولا ينذرون إلا له، ولا يدعون إلا هو.

---

٢٩ [الصحيحين البخاري ومسلم]
٣٠ [رسائل المقريزي]

- أما المشركون فهم يوافقون الموحدين في أن الله هو الخالق الرازق المدبر، لكنهم يتوكلون على غيره، أو يتوكلون عليه وعلى غيره (توكل العبادة)، فيعبدونه ويعبدون غيره، ويصلون له ويصلون لغيره، يسجدون له ويسجدون لغيره، ينذرون له وينذرون لغيره، يستغيثون به ويستغيثون بغيره، يستعينون به ويستعينون بغيره (إستعانة العبادة)...

"كلمة الإسلام: لا إله إلا الله"

معنى: لا إله إلا الله

ولهذا كانت كلمة الإسلام أي التي يدخل بها الإسلام، فيكون بها مسلمًا، أي يعتقد بجنانِه وينطق بلسانه أن لا إله إلا الله أي لا معبود حق إلا الله، فلا هذه نافية للجنس، وإله اسمها، أي لا مألوه، وخبرها مُقَدَّر أي لا إله حقٌ إلا الله فليس هناك من يعبد عبادة بحق إلا الله ﷻ، كما قال الله ﷻ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقد ذُكر هذا في موضعين والموضع الأول قد سبق ذكره، والثاني هو ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [لقمان: ٣٠]، وقال الله ﷻ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]

وعليه فإن معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله وليس كما يقول بعضهم أن لا إله إلا الله هو نفي النفي للوجود، فيقولون لا إله أي لا إله موجود، بل الصواب لا إله "حق"، ولكن هناك آلهة موجودة غير الله أي أن هناك معبودات سوى الله كما قال الله ﷻ ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ [مريم: ٨١]، [سورة يس : ٧٤]، وقال ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فهناك من عبد غير الله وسُمّيت آلهة، ولكن تسميتها آلهة لا تجعلها آلهة حقًا، حتى وإن سماها عابدوها آلهة فهي لا تكون آلهة حقًا بل هى باطلة، ولهذا فمعنى لا إله: أي لا إله "حقٌ" إلا الله.

فهذه هي كلمة الإسلام، ولهذا يقول النبي ﷺ «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رمضان»[٣١]، وقال النبي ﷺ «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه علي الله»[٣٢]، وأيضا ذكر عن النبي ﷺ أنه قال «مَن شهِد أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ مخلصًا مِن قلبِه دخَل الجنَّةَ»[٣٣]، وقال النبي ﷺ «فإنَّ اللَّهَ حَرَّمَ علَى النَّارِ مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بذلكَ

٣١ [صحيح البخاري]
٣٢ [صحيح مسلم]
٣٣ [صحيح حبّان]

وجْهَ اللَّهِ»[٣٤]، وقال ﷺ «مَن ماتَ وهو يَعْلَمُ أنَّه لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ»[٣٥]، ومن حديث عبادة بن الصامت أن رسول ﷺ قال «مَن شَهِدَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وَأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأنَّ عِيسَى عبدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ منه، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ علَى ما كانَ مِنَ العَمَلِ»[٣٥]، ولما بعث رسول الله ﷺ معاذ ﷺ إلى اليمن وكان أهل اليمن نصارى، قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إلى اليَمَنِ «إنَّكَ سَتَأْتي قَوْمًا أهْلَ كِتَابٍ، فَإذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إلى أنْ يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ»[٣٦]

فهذه هي كلمة الإسلام، ولذلك كان كفار قريش وهم عرب أقحاح يفهمون هذا المعنى من لا إله إلا الله، فالله يقول عنهم أنهم قالوا ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] ، وقال ﷻ عنهم أيضًا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥]، وقال ﷻ ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧]، فهو لم يخالف ما جاء به المرسلون وهو أن الله يُعبد وحده لا شريك له ﷻ

"فلو قال لا رب لما أجزأه عند المحققين"

والمقصود من هذا أن الشيخ رحمه الله يقول ولهذا كانت "كلمة الإسلام لا إله إلا الله، لو قال لا رب إلا الله لما أجزأه ذلك عند المُحَقِّقين، كما هو قول أهل السنة" انتهى.

فهو لو قال "لا رب إلا الله" فإنه ما جاء بكلمة التوحيد، لأن أبا جهل وأبا لهب والوليد بن المغيرة كانوا يقولون لا رب إلا الله، أي لا رازق ولا خالق ولا مدبر إلا الله، فالله يقول مُخبرًا عنهم ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]، فكل ردودهم "سيقولون لله" وفي قراءة أخرى "سيقولون الله"، فالذي يقول لا رب إلا الله ما زاد على ما جاء به أبو جهل! ولا زاد على ما جاء به أبو لهب والوليد بن المغيرة والأخنس بن شريق والعاص بن وائل السهمي؛ الذين كفرهم القرآن ولم يعتبر قولهم أنه لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله، لا رب إلا الله، ما اعتبر قولهم هذا صائناً لدمائهم وأموالهم، بل بإقرارهم بأن الله خالقهم ورازقهم غير أنهم مشركون معه غيره كانوا بذلك مشركين كفار، فهذا أمر لا خلاف فيه بين أهل الإسلام الذين هم أهل السنة والجماعة، لا خلاف بينهم في ذلك.

---

٣٤ [صحيح البخاري]
٣٥ [صحيح مسلم]
٣٦ [صحيح البخاري]

لا يجاوز حناجرهم

والقرآن أصرح ما يكون في هذا، هذا أمر لا لبس فيه، بل هذا أظهر في القرآن من أن المتوفّى عنها زوجها تَعْتَد أربعة أشهر وعشرة أيام وأن الحائض لا تُصلي وأنه لا يجوز وطؤها مثلاً، كل هذا من أظهر ما يكون هذا لكنَّ بعض الناس بسبب التقليد والتعصب فاتت عليه هذا حتى أنه يقرأ القرآن كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ "كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه"[٣٧] انتهى، لأنه لا ينتفع به

وكما قال الله ﷻ عن اليهود ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨]، إلا أماني يعني إلا تلاوة، تجدُه يقرأ القرآن بالقراءات العشر ولا يفقه القرآن، بل النبي ﷺ أخبر أن المنافق يقرأ القرآن، بل النبي ﷺ يقول: «أَكْثَرَ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا»[٣٨]، فليس كون الإنسان قارئاً للقرآن يعني أنه قد فهم القرآن، وفي الصحيحين وغيرهما من حديث قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القرآن كَمَثَلِ الأترُجَّة، رِيحُهَا طيّب وَطَعْمُهَا طيّب. وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ القرآن كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيّب وطعمها مُرٌّ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ القرآن كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»[٣٩]، فالمنافق قد يقرأ القرآن

لذلك هذا في القرآن أظهر ما يكون وهو أن معنى لا إله إلا الله أي: لا معبود بحق إلا الله وليس معناها أن لا خالق إلا الله أو لا قادر على الإختراع إلا الله، هذا يقوله أبو جهل وأبو لهب ويقوله العاص بن وائل السهمي ويقوله الأخنس بن شريق، كل هؤلاء يقولون أن لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله، لا مدبر إلا الله هذا صريح في القرآن، بل القرآن من أوله لآخره يُقرر هذا، ولذلك لو قال لا رب إلا الله ما أجزأه بل يجب عليه أن يقول لا إله إلا الله، شهادة أن لا إله إلا الله، قال النبي ﷺ «أُمِرْتُ أَن أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إِلهَ إِلاَّ اللَّه وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ، فَإِذا فَعَلوا ذلكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهم إِلاَّ بحَقِّ الإِسلامِ، وحِسابُهُمْ عَلى اللَّهِ»[٤٠]، فلابد أن يشهد أنه لا معبود حق إلا الله، أن يقول لا إله إلا الله، أن يعتقد بجنانه وأن ينطق بلسانه أنه لا معبود حق إلا الله.

---

٣٧ [شعاع من المحراب]
٣٨ [مسند أحمد]
٣٩ [مسند أحمد]
٤٠ [متفق عليه]

"توحيد الألوهية هو المطلوب من العباد"

في بيان اسم الله: "الله"

يقول المصنّف رحمه الله "فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد ولهذا كان أصله (الإله) كما هو قول سيبويه، وهو الصحيح وهو قول جمهور أصحابه إلا من شذَّ منهم"، لأنه مشتق، لأننا قُلنا أن جميع أسماء الرب مشتقة ومعنى أنها مشتقة يعني أنها فرع، يعني أن اللفظ يكون مشتقاً من أصل، و الإشتقاق على الصحيح يكون من المصادر

ولذلك فهو (إله، يأله، إلهه فهو مألوه)، ومألوه أي: معبود، وهذا هو تفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو تفسير مجاهد وتفسير جمع من السلف أنهم فسروا الإله يعني المعبود، وذكره هذا عبد الله بن عباس وكذلك ذكره محمد بن جرير الطبري في كتابه (التفسير) وذكره عبد بن حُميد رحمه الله في كتابه (التفسير) وابن أبي حاتم في كتابه (التفسير) بأسانيد صحيحه أنهم فسروا الإله يعني المعبود، وليس معنى الإله أي الخالق والرازق، الإله يعني المعبود الذي لا يعبد إلا هو سبحانه وتعالى، ولهذا قال المصنّف "ولهذا كان أصل الإله كما هو قول سيبويه وهو الصحيح وهو قول جمهور أصحابه إلا من شذَّ منهم"، وبهذا الاعتبار "وأن اسم الله عز وجل هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فقد تضمنت هذه الأسماء الثلاثة جميع معاني أسمائه الحسنى، فكان المستعيذ بها جديرًا بأن يعاذ ويحفظ، ويمنع من الوسواس الخناس، ولا يسلط عليه، وأنه المحبوب باجتماع صفات الكمال فيه كان الله هو الإسم الجامع لجميع المعاني للأسماء الحُسنى والصفات العليا"[٤١] انتهى.

يعني يقول الشيخ رحمه الله الإله هو المعبود فهو لا يكون معبوداً إلا لأنه هو الكامل، أي اجتمعت فيه صفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فالله عز وجل له القدرة الكاملة، له السمع الكامل، له القوة الكاملة، له الملك الكامل، له القُدّوسيّة الكاملة، له العزة الكاملة، له الرحمة الكاملة، وصفاته عز وجل هي صفات الكمال سبحانه وتعالى التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه

هي الصفات التي تكون ملازمة بالذات بحيث يكون خلافها يُنافي كمال الوجود بالذات، هذه الصفات التي هي صفات الكمال لله عز وجل تجعله جل جلاله هو الذي لا يُعبد إلا هو، لأن معنى العبادة مثل ما تقدم أنها غاية المحبة مع غاية الذل، فأنت لا يمكن أنك تُحب أحداً حباً مُطْلَقا الذي هو محبة العبادة حتى تُسوّي غير الله به في المحبة ومعناها أنك تُحبه غاية المحبة

---

٤١ [بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية]

كما روى محمد بن إسحاق ﷬ في كتابه (السيرة) عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «أَحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ»[٤٢] " يرويه مُرسلاً، فهذه المحبة أن تحب الله من كل قلبك، هذا المعبود أن تحبه من كل قلبك لأنه قد اجتمعت فيه صفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فلما كان هو الكامل من كل وجه ﷻ، له المثل الأعلى، له الأسماء الحُسنى، لم يَقُل له الأسماء الحَسَنة بل له الأسماء الحُسنى: على وزن فُعلى أي: بلغت في الحُسْنِ غايته، فلذلك كان هو الذي يستحق أن يُعبد وحده لا شريك له.

إسم جامع للأسماء الحسنى وللصفات العلى

يقول الشيخ: "لما قررنا أنه هو المألوه، يعني أنه هو المعبود وهو الذي يُحَب غاية الحب ولذلك فهو الذي يُذَلُّ له غاية الذل ﷻ"انتهى، لما كان كذلك "كان الله الذي هو لفظ الجلالة اسمه الله، هو الإسم الجامع لجميع المعاني للأسماء الحُسنى والصفات العُلى، ولذلك فإنك إذا قُلت الله ﷻ فالله معناه المألوه، لأنه هو الذي يُحب غاية المحبة، هذا هو معنى التألُّه أصلاً مثل ما يقول رؤبة بن العجاج:

لِلَّهِ دَرُّ الغانِيـــــــــــاتِ المُــــــــــــدَّهِ .... سَبَّحنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِن تَأَلُّهِي سرى

فتَّألُّه معناه التَّعبد لشدة المحبة، حتى بالإنجليزية إذا جاؤوا إلى شخص يُعظّم جداً يُسمُّونه (idol) ولذلك فإن هذا الـ idol يكون معبوداً وهو معناه الوثن، و"The idol" تعني المعبود

هذا هو المعنى ولذلك فلما كان الله له الصفات العليا والأسماء الحُسنى فإنه ﷻ هو الذي يُعبد، اجتمعت هذه الأسماء الحُسنى في اسمه (الله) ﷻ، لأن الله معناه المعبود من تمام صفاته فهذا يشمل كل صفاته ﷻ ويشمل جميع أسمائه الحُسنى ﷻ لأن أهل السنة يعتقدون أن كُل اسم من أسماء الله يتضمن صفةً، فأسماء الله ﷻ أعلامٌ عليه وأوصاف متضمنة لصفاته ولذلك كان الصواب أن:

لفظ الجلالة الله ﷻهو اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى -والله ﷻ أعلم-، لأن الناس اختلفوا في اسم الله الأعظم عند من أثبت لله إسما أعظم، لأن الناس قد اختلفوا على قولين: هل لله ﷻ إسم أعظم أم لا؟ وأصوب القولين أن لله إسمًا أعظم، فهؤلاء الذين أثبتوا لله إسما أعظم اختلفوا فيه:

وأصوب الأقوال فيه هو الله ﷻ، ولنا على ذلك جملة من الأدلة. منها أن جميع الأحاديث التي جاء فيها ذكر اسم الله الأعظم يرد فيها لفظ الجلالة الله: مثل ما أخرجه الترمذي ﷬ في كتابه (الجامع) عن أنس لما سمِع رجلًا يقولُ: «اللهمَّ إني أسألُك بأني أشهدُ أنك أنت اللهُ لا إلهَ إلا أنت الأحدُ الصمدُ الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفوًا

٤٢ [سيرة ابن هشام ت السقا]

أحدٌ، فقال ﷺ: لقد سأل اللهَ باسمِه الذي إذا سئل به أعطى وإذا دُعِي به أجاب»[٤٣]، كذلك من الأدلة عليه أن اسم الله ﷻ الذي هو لفظ الجلالة لا يطلق إلا عليه ﷻولا يطلق على غيره لفظ الله ﷻ.

كذلك من الأدلة عليه أن ميم الجمع في اللهم هذه لأن ياء النداء أصل اللهم: يعني يا الله، فتحذف ياء النداء ويعوض عنها بميم الجمع، وميم الجمع هذه ما تدخل إلا على لفظ الجلالة الله، لأنها تدل على جميع أسماء الله الحسنى، فأنت إذا قلت: اللهم: فأنت دعوت الله ﷻ بجميع أسمائه الحسنى ﷻ: اللهم لكن ميم الجمع لا تدخل على غير لفظ الجلالة "الله" فلا تدخل لا على الرحمن ولا على الرحيم ولا السميع والبصير والقدوس والجبار، وهكذا... فدلل ذلك على أنه اسم الله الأعظم ﷻ، ومن الأدلة كذلك أن الله ﷻ يعرف بالله، فأنت إذا أردت أن تعرف الرحمن تقول أنه الله، وإذا أردت أن تعرف السميع تقول هو الله، وإذا أردت أن تعرف الجبار تقول هو الله، والسلام تقول هو الله، والرحيم تقول هو الله، ما تقول السميع هو البصير، السميع هو الرحمن، السميع هو القدوس، بل تقول هو الله

فدل ذلك –والله أعلم- على أنه هو اسم الله الأعظم ﷻ، ولهذا فإن الله ﷻ تعرف إلى عباده ﷻ بقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]

مما سبق يتضح أن الله ﷻ تعرف إلى عباده باسمه "الله" وعليه فإن اسم الله الأعظم هو الله ﷻ -والله أعلم-، كما نقول أن لفظ الجلالة "الله" معناه المألوف المعبود، فإنه تضمن جميع أسماء الله الحسنى وصفاته العليا.

يقول الشيخ رحمه الله: "وهو الذي ينكره المشركون" يعني توحيد الإلهية؛ أي أن الله هو المألوه وحده المعبود وحده لا شريك له، هو الذي لا يُحَب محبة العبادة إلا هو، ولا يُخاف خوف العبادة وخوف السر إلا منه، و لا يُتوكل إلا عليه، ولا يُنذر إلا لله؛ هذا هو الذي كانوا يخالفون فيه، ولهذا قال: "وهو الذي ينكره المشركون"

يقول الشيخ: "يحتج الرب ﷻ عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد ألوهيته"، ولهذا كان القرآن يحتج عليهم بإثباتهم الربوبية على أنه لا يُعبد إلا هو: يعني لما كنتم تقولون أنه لا خالق إلا هو ولا رازق إلا هو ولا مدبر إلا هو: فيلزمكم حينئذ أن لا تعبدوا إلا هو وألا تتوكلوا إلا عليه.

٤٣- [فتاوى نور على الدرب لابن باز]

قال الشيخ: "كما قال ﷻ ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ۝٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٩-٦١]"، يعني أمعبود مع الله؟ حينئذ الله يقول لهم مستدلا عليهم بكونهم يقرون لأن هذا الإستفهام هو إستفهام إنكاري تقريري مشرب بنوع إنكار

الله يقول: أن خلق السماوات والأرض؟ الجواب عندهم: الله ﷻ، وأنزل لكم من السماء، أنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم من تنبت شجرها، من فعل هذا؟ جوابهم: هو الله ﷻ؛ فالله ﷻ يستفهم إستفهاما تقريريا إنكاريا عليهم: حينئذ أإلهٌ مع الله؟ يعني كيف تعبدون مع الله غيره؟ يعني أمعبود مع الله لما كان هو الذي يفعل ذلك؟ كيف تصرفون العبادة إلى غيره؟ كيف تدعون هذه الأحجار التي لا تنفعكم ولا تضركم؟ كيف تتخذونها وسائل؟ كيف تتخذونهم شفعاء؟ عليكم أن تعبدوا الله وحده لا شريك له؛ وفي الآيات السابقة إقرار بربوبيتة ﷻ أنه هو الخالق الرازق المدبر ﷻ

يقول الشيخ ﷺ: "فأظهر ﷻ بذلك أن المشركين إنما كانوا يتوقفون في إثبات توحيد الألوهية لا توحيد الربوبية"

بالرغم من ذلك هناك من أشرك في الربوبية، يعني أن هناك من المشركين من كان يجمع بين الإشراك في الربوبية وبين الإشراك في الألوهية لكن الشأن الآن في جنس ما كانوا عليه، في جنس ما كان وهو أنهم كانوا يثبتون أن الله خالق رازق مدبر مالك سيد، بالرغم من أنهم كانوا يشركون معه غير.

"فهو ﷻ يحتج على منكري الإلهية بإثباتهم الربوبية"

يقول الشيخ "ويحتج الرب ﷻ عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد ألوهيته"[٤٤] انتهى، وهذا كثير جداً في القرآن، حيث قال ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]، ووردت مثل هذه الآيات كثيرا في القرآن، لذا فان الله ﷻ يستدل بإثباتهم ربوبيته أنه هو خالقهم وأنه رازقهم وأنه مدبرهم، أنه لا يعبد إلا الله ولا يتوكل إلا عليه، فكيف تعبدون معه غيره؟

يقول ﷺ "والملك هو الآمر الناهي لا يخلق خلقا بمقتضى ربوبيته و يتركهم سدا معطلين لا يُؤمرون ولا يُنهون ولا يثابون ولا يعاقبون. فإن الملك هو الآمر الناهي المعطي المانع الضار النافع المثيب المعاقب"[٤٥] انتهى، لأن هذا

٤٤ [تجريد التوحيد المفيد]
٤٥ [تجريد التوحيد المفيد]

هو معنى كونه ملكا لأنه إذا كان ملكا فإنه هو الذي يحكم لا البشر، لأن عندهم تقييد السلطات: ابتكروا شيئا يسمى بالملكية الدستورية:فيكون المَلك يملك لكنه لا يَحكم، لكن هذا بين البشر، أما الملك الذي له الملك التام هذا هو الذي يَحكم ولا مُلك كاملا إلا لله ﷻ، فإذا كان كذلك فإنه هو الذي يحكم، وإذا كان هو الذي يحكم ﷻ فإنه يأمر

وقد قال الله ﷻ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]، وهذا يعني أنه لم يخلقكم عبثا أي لم يفعل ذلك، وأيضا في قوله ﷻ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦]، كما في قوله ﷻ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، يعلق الشهبي رحمه الله على ذلك قائلاً "لا يؤمر ولا ينهى"[٤٦]انتهى، وعلى هذا الظن لم يتركه سدا بل يأمره بالخير وينهاه عن الشر فهو يأمره وينهاه لأنه هو الذي يحكمه ثم هو إذا أمر ونهى فمن أطاعه جزاه ومن عصاه فإنه يعاقبه ولذلك فإنه ﷻ يأمر وينهى وهو ﷻ يثيب ويعاقب وهذه كلها من صفات الربوبية له ﷻ، ولو لم يفعل ذلك لكان هذا نقصا في ربوبيته –حاشاه ﷻ-

والله ﷻ له صفات الكمال المطلق فيمتنع شرعا وعقلا أن يخلق الله خلقا ثم لا يأمرهم ولا ينهاهم، وإذا أمرهم ونهاهم فإنه لا يثيبهم ولا يعاقبهم: هذا لا يكون منه ﷻ كما قال الله ﷻ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، بلى هو أحكم الحاكمين، فلا يفعل ﷻ إلا لحكمة

لذا وجب التنبيه على أن أفعال الله ليست لمجرد المشيئة، كما قال الأشاعرة بأنه ﷻ يفعل أفعالا لمجرد المشيئة وأننا لا نعلم حسن الشيء وقبحة إلا بدلالة الشرع، وكذلك عندهم الرجيع مثل المسك؛ مافرق بينهم إلا الشرع وأن إبراهيم مثل النمرود ما فرق بينهما إلا الشرع، وذلك لأن الشرع هو الذي فرق بين هذا وبين ذاك.

الإستعاذة بالرب

ولذا جاءت الإستعاذة في سورة الناس وسورة الفلق بأسماء الله الحسنى الثلاثة (الرب – الملك – الإله)، فإنه لما قال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، ومعنى العوذ أي اللجوء والإعتصام: يقال (عذت به أي لجئت)، وكان في هذا إثبات أنه هو خالقهم وهو فاطرهم، يعني أنه خلقهم ورزقهم، وأنه إذا خلقهم ورزقهم فإنه يأمرهم وينهاهم، فبقي أن يقال لما خلقهم هل كلفهم وأمرهم ونهاهم: قيل؛ نعم فهذا اسم: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٢]، لأن الملك هو الذي يأمر وينهى هو الذي يُحَب غاية الحب هو الذي يُذَل له غاية الذل وهو الذي يثيب ويعاقب وهو الذي يعطي ويمنع فأثبت الخلق والأمر لأنه ملك الناس ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فلما قيل أنه ملك الناس يعني أنه يأمر وينهى ويثيب ويعاقب قيل فإذا كان ربا موجدا وملكا مُكَلِّفا، فهذا يُحب ويرغب إليه ويكون التودد إليه غاية

٤٦ [تفسير الإمام الشافعي]

الخلق والأمر: قيل ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٣]، قال الشيخ: "يعني أنه مألوههم ومحبوبهم الذي لا يتوجه العبد المخلوق المكلف العابد إلا إليه"قال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]

فجاءت الألوهية خاتمة وغاية وما قبلها تمهيد لها: فما قبلها من رب الناس ملك الناس هذا ممهد لكونه إله الناس يعني أنه هو المعبود ﷻ الذي لا يعبد إلا هو ﷻ فليس للناس معبود إلا هو ﷻ، يقول الشيخ: "وهاتان السورتان أعظم عوذا في القرآن" يعني أعظم ما يستعاذ به في القرآن: وهذا جاء عند الإمام أحمد ﷺ من حديث بن عابسٍ الجهني عن النبي ﷺ أنه قال (ألا أخبرك بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون) قال بلى يا رسول الله فقال النبي ﷺ: (قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس)

ولهذا قال النبي ﷺ في الدجال: «سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ»[٤٧]، يعني فليلتجأ وليعتصم به، هذا هو معنى الإستعاذة، فما تعوذ المتعوذون بمثل قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس

وحين سُحِرَ النبي ﷺ وخُيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله وقام على ذلك أربعين يوما كما جاء في الصحيحين كانت عقد السحر«وكانت عقد السّحر إحدى عشرة عقدة، فأنزل الله المعوّذتين إحدى عشرة آية، فانحلّت بكلّ آيةٍ عقدةٍ. وتعلقت الاستعاذة في أوائل القرآن»[٤٨]، يعني أن النبي ﷺ سُحِر ونحن نعتقد أنه ﷺ سُحِر، لكن هذا لم يؤثر على الوحي، قال مخرج أن هذا الحديث مخرج في الصحيح أنه ﷺ سحر وقيل هنا أنه لما سحر وخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لم يفعله كما قالت عائشة ﵂ كأن يخيل إليه أنه جاء أهله وهو لم يفعل قال وأقام على ذلك أربعين يوما كما جاء في الصحيح وجاء أنه ﷺ مكث على ذلك ستة أشهر

لكن الراجح والله أعلم أنه ﷺ مكث ستة أشهر، الشديد منها كان أربعين يوما، (يعني أنه بدأ يتغيرعليه، بداية المرض الذي أصابه بسبب السحر: كان ستة أشهر ثم استمر حتى آخر أربعين يوما الذي بلغ به الشدة)، وبهذا نجمع بين الأخبار أنه جاء أربعين يوما وجاء ستة أشهر، والمسألة حديثية منهم من يعل لفظة الستة أشهر ويثبت الأربعين كما أُخرجَ في الصحيح أنه ﷺ لما سحر كانت عقد السحر إحدى عشر عقدة، كما جاء ذلك عند البيهقي وإن كان إسناده منقطعا في حديث، عبد الله بن عباس جاء بإسناد ضعيف وجاء بإسناد منقطع، أنه ﷺ أرسل عليا وعمار بن ياسر فإنه لما بعثهم لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها إحديْ عشرة عقدة لكن هذا حديث ضعيف وأخرجه البهيقي ﵀ في كتابه (دلائل النبوة) لكنه ضعيف من حديث عبد الله بن عباس رواه بن سعد بإسناد

---

٤٧ [مسند الإمام أحمد]
٤٨ [تجريد التوحيد المفيد]

منقطع ورُويَا في كتاب (الطبقات) بإسناد منقطع، ورُويَا في (دلائل النبوة) بإسناد ضعيف وعليه فإن هذا الخبر لا يجوز

قال: "وتعلقت الإستعاذة في أوائل القرآن باسم الإله الكامل ذي الأسماء الحسنى والصفات العلى المرغوب إليه"، فإن يعذ عبده الذي يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين منجاته بكلام ربه، كما يقول المصنف أن "الإنسان إذا أراد أن يقرأ القرآن فإنه يمتثل إلى أمر ربه في قوله ﷻ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]" فالله ﷻ أمرنا إذا أردنا أن نقرأ القرآن أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فقال ﷻ ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، فحينئذ الإستعاذة تكون بسم الله ﷻ يعني الإستعاذة بالله بلفظ الجلالة، فحين نقول بالله هذا الإسم نقصد المسمى: فإنك تستعيذ بالله يعني: الإسم الذي هو "الله" ﷻ

كما تعلقت الإستعاذة فى أوائل القرآن باسم الإله الكامل الذي هو الله في أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وإختلف فى حكم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم على قولين وأفضل القولين أن الإستعاذة مستحبة استحبابا شديدا، وهذا إذا أراد أن يقرأ القرآن لا أن يستشهد بالقرآن، ومنهم من قال بوجوب الإستعاذة ومنهم من قال باستحبابها، ومن ترك الإستعاذة بأول القراءة لا نقول آثم، بل نقول أنه ترك ما ينبغي فعله، وأنه يستعيذ قبل القراءة لا بعدها مثل ما قال بعضهم "بل يستعيذ بالله قبل قراءة القرآن لا بعدها"

ولا يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إذا أراد أن يستشهد بشيء، في خطبته أو محاضرته يقول" "كما قال الله ﷻ بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" هذا خطأ لم يكن الرسول ﷺ أو الصحابة يفعل ذلك عند الإستشهاد.

عندما أراد الرسول ﷺ في حديث أبي هريرة قول: "(أعد الله لعباده الصالحين ما لا أذن سمعت ولا عين رأت ولا خطر على قلب بشر)[٤٩]، فإقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]"، هل قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؟ وقال رسول الله ﷺ «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين»[٥٠]، فقال ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وأيضا في قوله ﷻ ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧]، ما قال النبي ﷺ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم زما أعلم أن النبي ﷺ إذا أراد أن يستشهد أحد بالآية يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولا الصحابة ولا السلف ولا التابعين ولا أتباع التابعين، ما كانوا إذا أرادوا أن يكتبوا أو فى مصنفاتهم إذا أرادوا أن يستشهدوا أن يقولوا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فى بداية الآية وإنما يقولون قال الله ﷻ.

---

٤٩ [النبوات]
٥٠ [أحلي الكلام في مناجاة ذى الجلال والإكرام]

قال: "المرغوب إليه؛ في أن يعيذ عبده الذي يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربّه"[٥١]انتهى. فيقولها حتى لا يحيل الشيطان بينه وبين قراءة كلام ربه فلا يعقله ولا يتدبره: ولذلك ترى كثير من الناس إذا قُرأ عليه القرآن لا ينتفع بكلام ربه، فهذا قد حال الشيطان بينه وبين أن ينتفع بكلام الله، فنحن نقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم حتى لا يحول الشيطان بينك وبين كلام ربك فننتفع به، وتتدبر كلام الله، فتعقل عن الله مراده.

ثم قال "ثم استحب التعلق باسم الإله في جميع المواطن التى يقال فيها: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"[٥٢]انتهى، فإن إسم الله ﷻ هو الغاية للأسماء، وإن كل إسم بعده لا يتعرف إلا به: السلام، المؤمن، المهيمن، ذو الجلال، فالجلالة لا تتعرف إلا به وغيرها لا يعرفها، وهذا بحمد الله قد تقدم لنا الكلام عليه، ثم قال الشيخ "والذين أشركوا به ﷻ فى ربوبيته، منهم من أثبت معه خالقا آخر وإن لم يقولوا أنه مكافئ له، وهم المشركون ومن ضاهئهم من القدرية"انتهى

الإشراك في الربوبية

القدرية

يكمل الشيخ فيقول أن منهم من أشرك مع الله إلها غيره في ربوبيته (أي جعل غير الله ربا، خالقا، رازقا، مدبرا) فيقول: "وإن لم يقولوا أنه إله مكافئ له"، وهذه مثل المجوسية وذكر مثالا عن القدرية: وهي من الفرق التي وُجِدت بعد الإسلام؛ يعني وجدت هذه التسمية، لكن هذه المجوسية الذين يقولون أن هناك إلهين، إله للخير وإله للشر أو إله النور وإله الظلام، يقولون أن إله الخير أكمل من إله الشر؛ والدليل الذي أبطل الله به وجود إلهين اثنين في قوله ﷻ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وأيضا في قوله ﷻ ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١]

فالدليل المعروف عند علماء الكلام كالأشاعرة مثلاً: أنهم إن أرادوا أن ينفوا وجود إلاهين أي خالقين وهو دليل التمانع: أي إذا قدرنا وجود إلهين وأراد أحدهما سكون شيء وأراد الآخر تحريكه، أو أراد أحدهما إيجاده وأراد الآخر إعدامه، أو أراد هذا إحياءه وأراد الآخر إماتته، فحينئذ لا يخلوا الأمر من شيئين: إما أن تجتمع إرادتهما وهذا ممتنع لأنه جمع بين النقيضين، وإنما ألا تقع إرادة أحدهما فهذا ممتنع لأنه يستلزم رفع النقيضين؛ فحينئذ لابد أن تعلو إرادة أحدهما على الآخر وهذا الذي يجعله ربا؛ ويسمى هذا دليل التمانع وهو دليل حسن؛ لكن هذا يكون عندما اختلفا، فماذا لو إتفقا مثلا: كلاهما قال أريده ساكناً أو كلاهما قال أريده حيا: فدليل القرآن أتم وأكمل أما دليلهم فلا يصح إلا إذا خاتلفا أما إذا اتفقوا فدليل التمانع لا يصح؛ فدليل القرآن أتم وأشمل.

---

٥١ [تجريد التوحيد المفيد]
٥٢ -[رسائل المقريزي]

هؤلاء القدرية وغيرهم ممن يثبتون وجود إلهين، وغيرهم ممن ولدوا فى الإسلام؛ يقولون أن العبد يخلق فعل نفسه والقدرية عندنا مرتبتان، قدرية غالية وهؤلاء هم الذين ينفون علم الله وكتابته؛ يقولون إن الله ﷻ لا يعلم ما يفعله العبد إلا بعد فعله، وينفون كذلك أنه ﷻ قد كتب معلومة في اللوح المحفوظ، يقولون أنه أمرٌ أُنُف أي مستأنف، فالله ﷻ ما يعلم إلا بعد وقوع الأمر -حاشاه ﷻ تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا-، هذه الفرقة الأن شبه منقرضة بين المسلمين، الذين ينفون أن الله يعلم، وأن الله ﷻ يكتب، التي هي مرتبة العلم، ومرتبة الكتابة

مراتب الإيمان بالقدر

- أن يؤمن أن الله يعلم كل شيء، يعلم الذوات، ويعلم الصفات، ويعلم الأفعال، ويعلم ذاته وصفاته ﷻ، أنّ الله عليم بكل شيء، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، وما لو كان كيف سيكون؛
- أنه يؤمن بأن الله ﷻ قد كتب مقادير الخلائق، وكما قال الله ﷻ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠] وقال الله ﷻ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، يؤمن أن الله ﷻ كتب معلومه في اللوح المحفوظ كما قال رسول الله ﷺ في صحيح مسلم في حديث عبد الله بن عمر بن العاص «إنَّ اللَّهَ قدَّرَ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أن يخلقَ السَّمواتِ والأرض بخمسينَ ألفَ سنةٍ وَكانَ عرشُهُ على الماءِ»[٥٣]
- أن الله ﷻ شاء كل شيء وُجد، أنه ما من شيء وُجد إلا والله شاءه ﷻ، ما لم يشأ الله فإنه لا يكون. وما شاء الله كان ﷻ وما لم يشأ لم يكن
- أن الله خالق كل شيء.

غلوّ القدرية

ينفون المرتبتين الأولتين في مراتب الإيمان، فهم يقولون أن الله لا يعلم ولا يكتب تَعالى الله علوا كبيرا- وهذه الفرقة مضمحلة ولا وجود لها، بقى لدينا فرقة من القدرية التي تنفى أن الله ﷻ شاء كل شيء، وأن الله يخلق كل شيء، لأنهم يقولون أن العبد يخلق فعل نفسه، وهؤلاء الآن مثل المعتزلة، ومثل من وافقهم من الشيعة، من بعض اليزيدية أو الجارودية، فهؤلاء تقلدوا عنهم هذه العقائد؛ فقال بعضهم: إن العبد يخلق فعل نفسه؛ هؤلاء قدرية، إذ إنهم أثبتوا خالقين، أثبتوا أن الله خالق، وأثبتوا أن العبد كذلك إذ إنه يخلق فعل نفسه.

لذلك فإن القدرية شبههم السلف بالمجوسية لأنهم يثبتون إلهين، يثبتون خالقًا غير ﷻ، لأن العبد يخلق فعله في اعتقادهم، ولهذا قال هنا الشيخ هم المشركون ومنْ طاطاهم أي من شابههم، (شابه المجوسية، والثانوية،

٥٣ [مجموع الفتاوي]

والمصدقية) من القدرية، وهذا يعني أن هؤلاء الذين أثبتوا خالقًا غير الله ﷻ لإنهم يثبتون أن العبد يخلق فعل نفسه، وربوبيته ﷻ للعالمين الكاملة المطلقة تبطل أقوالهم لأنه رب كل شيء، فهو خالق كل شيء.

الله خالق العباد، وخالق أفعالهم ﷻ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، قال بأن تقتضي ربوبيته بجميع ما في العالم من الذوات، و الصفات، والحركات، والأفعال وربوبية الله ﷻ مطلقة تشمل هذا كله فقوله ﷻ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦]، وأيضا في قوله ﷻ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وكذلك في قول الله ﷻ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، هذا يبطل قولهم، لا يوجد شيء لم يخلقه الله، أن الله خالق كل شيء وهو رب كل شيء ﷻ، ولذلك فإن ربوبيته لكل شيء تمنع وجود ما لم يخلقه ﷻ

يقول الشيخ: "وحقيقة قول القدرية المجوسية مثل ما تقدم أنه قد جاء عن السلف و جاء به أحاديث مرفوعة"انتهى، لكن كل حديث مرفوع فيه أن القدرية هم مجوس هذه الأمة، كل هذه الأحاديث، أحاديث ضعيفة، والذي جاء عن جمع من الصحابة ﷺ، أي جاء موقوفًا،عن عبد الله بن عمر ﷺ عند الترمذي وغيره أنه قال: "القدرية مجوس الأمة"[٥٤]انتهى، وجاء عن عبد الله بن العباس، وجاء عن على بن أبي طالب.

فهؤلاء القدرية مجوس هذه الأمة، لأنهم أثبتوا خالقَين، أثبتوا أنّ العبد يخلق فعل نفسه، مثل ما أثبت المجوسية، ومثل ما أثبت الخارقون؛ولهذا قالوا بحقيقة قول القدرية المجوسية أنه ﷻ ليس ربًا لأفعال الحيوان –حاشاه ﷻ- ولذلك تنازع المعتزلة -الذين هم القدرية-، تنازعوا بعد أن اتفقوا على أن الله ﷻ لا يقدر على أن يخلق مفعول العبد -تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا-، ولكنهم تنازعوا، هل يقدر على أن يخلق نظيره، اتفقوا على أن العبد يخلق فعل نفسه، وأن الله لا يقدر على خلق مفعول العبد

كما قال المصف: "إنه ﷻ ليس ربًا لأفعال الحيوان، ولا تتناوله ربوبيته" أي لا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه، مثل ما تقدم ينكرون قدرة الله ومشيئته وينكرون خلقه ﷻ.

"وشرك الأمم نوعان: شرك في الإلهية وشرك في الربوبية"

أنواع الشرك

شرك الإلهية

وإما أن يكون شركًا في القصد والطلب، فيقول الشيخ أنه "يعني أن تصرف العبادة لغير الله"انتهى، أن تسوي غيرَ الله بالله فيما لا يستحقه إلا اللهُ؛ لأن العبادة حقُّ الله وحده لا شريك له، قال الله ﷻ على لسان عيسى ﷺ ﴿مَا

٥٤ [قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر]

قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]، وقال ﷻ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: ١-٣]، وهذا هو معنى قوله ﷻ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، أي معبودُكم معبودٌ واحد، وهو معنى قول الأنبياء لأقوامهم كقول شعيب ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]، كما أن الشيخ يقول فالشرك في العبادة والألوهية هو الغالب على أهل الإشراك، كشرك عُبَّادِ الأصنام، وعباد الملائكة، وعُبَّاد الجن وعباد المشايخ، وعباد الصالحين الأحياء منهم والأموات، مثلما قال إبراهيمُ لقومه ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]، مثلَما كانوا يعبدون هُبَلَ، يقولون(أُعْلُ هُبَلَ)، قال وعُبّاد الملائكة وكذلك في قوله ﷻ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٠]، كانوا يعبدونها كانوا يعبدون هذه الأصنام مع الله ﷻ

قال وهو الشرك، وهو كشرك من جعل مع الله خالقًا آخر، كالمجوس وغيرهم، الذين يقولون بأن للعالم ربين أحدهما خالق الخير ويسمونه بالفارسية "يزدان"، والآخر خالق الشر ويقول له المجوس بلسانهم "أهرُمَن" (وأحيانًا يقولون قُهرُمَن) وهي لغة بني الحارث وهي لغة فصيحة على لغة "أكلوني البراغيث"

شرك فى الربوبية

إما أن يكون شركًا في المعرفة و الإثبات، وهذا يشمل الأسماء والصفات

فبالنظر لأنواع التوحيد نجد أن الشرك إما أن يكون في هذا أو إما أن يكون في هذا وإما أن يكون فيهما، فالشرك لا يخرج عن هذين النوعين من أنواع التوحيد

- إما أن تكون في المعرفة والإثبات: وهذا مثل توحيد الربوبية والأسماء والصفات
- وإما أن يكون توحيدًا فى القصد والطلب: وهذا حقيقة توحيد الألوهية

المعبودات الشِّرْكِيَّة

الأصنام

والصنم معناه هو ما نُحِتَ من حجر أو شجر و نحوه، سواء كان معبودًا أم لم يكن معبودًا ، فإنه يسمى صنمًا فكل منحوت على هيئة ذات الروح من حجر أو خشب أو حديد أو الماس أو ما أشبه ذلك، هذا كله يُسمى صنمًا عُبِدَ أَمْ

لَمْ يُعْبَدْ، فإن عُبد هذا الصَّنَمُ دُعِيَ من دون الله، ذُبِحَ له، تُوُكِّلَ عليه، نُذِرَ له، إذا فُعل به ذلك سُمي وَثَنًا، إذًا الصنم المعبود هو الوثن، وينبني على ذلك أن كل وثن فهو صنم و لكن ليس كل صنم يكون وثنًا

عبادة الجن

ولهذا قال الشيخ رحمه الله وعباد الجن فإن من الناس من يعبد الجنَ وذكر ذلك في قوله ﷻ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، وقال هنا ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١]

عبادة الملائكة

وعباد الملائكة فمن الناس مَنْ عَبَدَ الملائكةَ ولهذا قال الله ﷻ ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠]، وقال ﷻ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]،

وكذلك من كان يَعبُدُ الملائكةَ كانوا يقولون إنهم بنات الله كما يزعمون، كما قال الله ﷻ ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨]

يعني أن قوما من المشركين قالوا أنّ اللهَ ﷻ تزوج امرأةً مِن الجن، فَوَلَدَتْ له الملائكةَ، تعالى الله عما يقولون، كما قال الله ﷻ ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فَمِنَ الناس مَن عَبَدَ الملائكةَ، ومن الناس من عَبَدَ الأصنام، ومنهم من عَبَدَ الجنَّ.

عبادة المشايخ

يعني الذين يَغْلُونَ في متبوعيهم، وهذا ظاهر في الطرقية من غلاة الصوفية، فإنهم كانوا يفعلون هذا، ولا يزالون، وذلك بتعظيمهم لمشايخهم، حتى أنهم لَيَعبدونهم من دون الله ﷻ، وإذا أردتَ أن ترى ذلك فاقرأ في مثل (طبقات الشعراني)، تجدْ الغُلوَّ العظيم، حتى أنّهم ينزلون هؤلاء منزلةً فيها غلو،فتجدهم يغلون فيهم، حتى يصرفون لهم ما لا يجوزُ صرفُه إلا لله ﷻ، كما قال الله ﷻ ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨]

عبادة الصالحين

فإنّ قوم نوح كان أولُّ شركِهم أنهم غلوا في الصالحين، ولذلك فإن الله ﷻ لما قال عن نوح ﷺ أنه قال: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح: ٢٢-٢٣]، يقول ابن عباس رضي الله عنهما"هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هَلَكوا أَوحى الشَّيطان إلى قَومِهم أنِ انْصِبُوا إلى مَجَالِسِهم الَّتي كانوا يَجْلِسون فيها أنصَابًا، وسَمُّوها بأسمَائِهِم، فَفَعَلُوا، ولم تُعْبَد، حتَّى إذَا هَلَك أُولئك ونُسِيَ العلم عُبِدت[٥٥]" انتهى، وأضاف البخاري في صحيحه "حتَّى إذَا هَلَكَ أُولَئِكَ ونسي العِلْمُ عُبِدَتْ[٥٦]" انتهى، أي ثم جاءت الأجيال التي من بعد ذلك فعبدَتْهم من دون الله ﷻ، فَهُم ما عبدوهم من دون الله (منذ البداية)، بل غلوا في هؤلاء الرجال الصالحين، فيَغوث ويَعُوق ونَسْر هي أسماءٌ لرجالٍ وَ أقوامٍ صالحينَ مُوَحِّدينَ عابدينَ لله ﷻ، لكنّ مَن جاء بعدهم بَنَىٰ لهم هذه الأصنامَ، وزعموا أن ذلك حتى يَحُضُّوهُمْ على العبادة، فلما كان ذلك، جاءت الأجيالُ التي بعدَهم، فعبدتْهم من دون الله، فمن الناس من عَبَدَ الصالحين.

"إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى"

يقول: "الأحياء منهم والأموات"انتهى، أي منهم من عبد المشايخَ وعبد الصالحين وعبد الأولياء، من كان منهم حيّا ومن كان منهم ميتا، و من الناس من عبدَ الأنبياء، و لهذا قال النبي ﷺ «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»[٥٧]،وقالﷺ في حديثه لأم حبيبة «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عند الله» [٥٨]، فهؤلاء عبدوهم، سواء كانوا أحياء أو كانوا أموات، سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو أولياء أو من أصحاب الكرامات من الأقطاب، من الأبدال...إلخ، فهذا كله من الشرك الذي حرّمه الله ﷻ ورسوله ﷺ، بل إنّ جميع الأنبياء عليهم السلام جاؤوا لمحاربة هذا الشّرك.

يقول الله ﷻ ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، هذه حجّة المشركين، الأولين والآخرين، فهم يقولون ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى، يعني أننا نعبدهم فقط لكن لأجل أن يقربونا إلى الله، حتى يشفعوا لنا، لأنهم لهم جاه عند الله ﷻ، ولهم منزلة عنده، ونحن مذنبون وعصاة ومقصّرون، كما قال ﷻ ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، وقالوا ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، يعني أنهم يقولون نحن لا نقول إنهم يخلُقُون من دون الله، ويرزقون من دونه، أو يُدبّرون ويُحيون ويميتون من دونه، ولكن لتقصيرنا، فإننا

---

٥٥ [صحيح البخاري]
٥٦ [الراوي : عطاء بن أبي رباح | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم : ٤٩٢٠ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]
٥٧ [موطأ مالك - رواية يحيى]
٥٨ [صحيح البخاري]

نتخذهم وسائط تقربنا إلى الله، هذا هو عيش أبي جهل، والوليد بن المغيرة، و الأخنس بن شريق الثقفي، والعاص بن وائل السهمي، فهذا هو عيش الكافرين.

ويقول أيضا "إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ويشفعون لنا عنده وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته"[٥٩] انتهى، يعني أنهم شبهوا الله ﷻ بخلقه، فهم لما رأوا أنّ الملوك، والوجهاء، وأصحاب النفوذ والسلطان يُتَقَرَّبُ إليهم بشفاعة المقربين منهم، يعني لما رأوا أنه إذا أردت أن تتقرب إلى المَلِك فإنك لن تصل إليه مباشرة، وإنما تصل إليه إذا كلّمت من كان قريبًا منه ومن كان هو معظِّما له، أي من كان له وجاهة عنده، وما شابه ذلك، فشبَّهوا الله ﷻ بخلقِه، فقالوا إذا كان هذا في حقِّ المخلوق، فهو كذلك في حق الخالق، وهم ما علموا أنّ الله ﷻ بيده ملكوت كل شيء، وهو الذي يرجع إليه الأمر كله، فحتى الشافع لا يَشْفع عند الله ﷻ حتى يأذنَ له اللهُ ﷻ، ويكون قد رضِي عنهُ وعن المشفوعِ له، فكله لله كما قال الله ﷻ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤]، وقال الله ﷻ ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فلا أحد يشفع عند الله ﷻ إلا بإذنه، فهم شبّهوا الخالق بالمخلوق تحت مسمي التقرب لله

حجج باطلة

ولنتأمل في آية سبأ، هذه الآية البديعة التي تجتثُّ حُجَج الشِّرك من أصولها، حيث يقول الله ﷻ ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]

هذه الآية الشريفة الكريمة، أبطلت كل حجة من الحجج التي يتذرع بها أهل الشرك، ليُشركوا مع الله غيرَه، هذا الذي يشرك إما أن يشرك مع الله غيره؛ لأنه يعتقد أن له ملكًا مع الله ﷻ، أي أنه يشارك الله في الملك، وهو لما اعتقد أن الله ﷻ يشركه غيره في المُلك فيجوز حين إذٍ أن يُدعى مع الله.

لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، فَهُم لا يملكون لكن لهم مشاركة هم لا يملكون ملكا مستقلا لكن له مشاركة، وقوله ومالهم فيهما من شرك، أي أن هذه المعبودات من دون الله ليس لها الملك وليس لها ملك مستقل ولا لها كذلك ملك مشاركة.

٥٩ [رسائل المقريزي]

طيب هل لها إذًا نوع إعانة؟ هل هي معينة على هذا الذكر؟ معينة على وجوده على تحققه. قال ﷻ ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]، فلا أحد يعينه ﷻ، الله هو الذي يدبر كل شيء والذي يصرف كل شيء

الشفاعة بغير الله

بقي أننا نستشفع بغير الله ﷻ إلى الله، فقال ﷻ ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، حتى الشفاعة وهي التوسط للغير في جلب المنفعة أو في دفع مضرة حتى هذه الشفاعة لا تكون إلا لله

فمن أذن الله له أن يشفع وهو لا يأذن إلا لمن رضي عنه ورضي عن من يشفع له فإذا كان ذلك فإنه ﷻ يأذن له أن يشفع فعاد الأمر كله إلى الله ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، وأيضا في قوله ﷻ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق: ٨]، فهذه الأية البديعة العظيمة محت كل حجج من حجاج الشرك فلم يبقَ لأهل الشرك إلا أن يتركوا شركهم وأن ينجوا بأنفسهم وأن يعبدوا الله وحده لا شريك له

يقول الشيخ رحمه الله والكتب الألوهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبحه وتنص على أنهم أعداء الله وهذا بحمد الله أمر بيّن ظاهر، الكتب الإلهية الكتب التي نزلت من عند الله ﷻ جميعها مطبقة على أنه لا يعبد إلا الله ﷻ، كما القرآن المعصوم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وكما أُخبِرنا بهذا فكذلك ما بقي مما لم يلحقه التحريف إما اللفظي أو المعنوي من الكتب المتقدمة فيها إثبات ذلك، وهو أنه ﷻ لا يُعبد إلا هو ﷻ، وهذا أمر بحمد الله بَيِّنٌ كما يقول الشيخ وجميع الرسل عليهم السلام متفقون على ذلك من أولهم لآخرهم، وما أهلك اللهُ أمةً من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله وهذا بحمد الله تقدم الكلام عليه، قال وأصله الشرك في محبة ﷻ، قال الله ﷻ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة: ١٦٥]

وهذا بحمد الله كل ذلك قد تقدم الكلام عليه كله تقدم تفصيله وبيانه وقد أخبرﷻ أنه من أحب مع الله شيء غيره كما يحبه فقد اتخذه ندا من دونه أقول هذا على أصح القولين في الآية أنهم يحبونهم كما يحبون الله هذا قد تقدم لنا قوله ﷻ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة: ١٦٥]، من المفسرين من قال يحبونهم كحب الله يعني أنه[يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله، ومنهم من قال أنهم يحبون أندادهم وأنهم يجعلون محبة أندادهم كمحبة الله يشاركون الله ﷻ وغيره في المحبة

قال ﷻ ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٩]، وقال ﷻ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، يقول أصح القولين في الآية أنهم يحبون كما يحبون الله

وهذا هو العدل المذكور في قوله ﷻ ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، يعدلون يعني يسوون العدل يعني التسوية لان الله ﷻ يقول ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، يعني يسوون غير الله ﷻ بالله، ثم يكمل فيقول ومعنى أصح القولين هو أنهم يعدلون به غيره في العبادة فيسوون بينه وبين غيره في الحب والعبادة. كله بحمد الله تقدم الكلام عليه. يقول وكذلك قول المشركين في النار ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨]، ثم قال ومعلوم قطعا أن هذه التسوية لم تكن بينه وبين الله في كونه ربهم وخالقهم إلى آخره، قال وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله ﷻ في المحبة والعبادة، وهذا بحمد الله كله قد تقدم الكلام عليه فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله فكيف بمن كان غير الله أتم عنده وأحب إليه وأخوف عنده وهو في مرضاته أشد سعيا منه في مرضاة الله، وكما ذكر البخاري في صحيحه حديث «حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: (أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ). قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ»[٦٠]، وهذا كله بحمد الله قد تم الكلام عليه أنواع الشرك

الشرك نوعان

الشرك الأكبر

الشرك الأكبر: هو الذي ينقل صاحبه من الملة كالكفر، أي إخراج الإنسان من الملة، يعني دلت النصوص أن هذا القول أو الفعل أو هذا الإعتقاد أنه شرك ودلت النصوص أنه يخرج من الإسلام

مثال من استغاث بغير الله من استغاث بميت لا يسمع ولا يبصر من استغاث به طلب الغوث طلب المدد يكون قد وقع في الشرك الأكبر لأن مطبقة على وصف هذا الفعل وهذا القول أنه شرك ودلت النصوص أن من فعل ذلك

مشرك شركًا أكبر ولو دعا النبي ﷺ ولو دعا الصالحين فهذا أعظم الشرك هذا الذي كانت تأتي الأنبياء لمحاربته.

الشرك الأصغر

الشرك الأصغر: هو شرك لا ينقل صاحبه من الملة، كيف نعرفه؟ نقول ما جاء في النصوص الدلالة على أنه شرك، إذا جاءت النصوص ودلتنا على أن هذا القول أو هذا الفعل أو هذا الإعتقاد أنه شرك غير أنها ما دلت على أنه يخرج من الملة قلنا هذا شرك أصغر

---

٦٠ [صحيح البخاري]

لكن لو أن إنسانًا حلف بغير الله، وهو لا يعتقد أن المحلوف به مساوٍ لله ﷻ، فمثلًا حلف بالنبي ﷺ أو بعثمان أو أبي بكر أو علي، أو بولي صالح أو الرفاعي أو الشاذلي أو السنوسي، وهو لا يعتقد أنه مساو لله فهذا الفعل دلت الأقوال على أنه شرك، لقول النبي ﷺ «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»[٦١]

- وهناك عدة أحاديث توضح هذه المسألة :

قال النبي ﷺ «أَلا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، وَإِلا فَلْيَصْمُتْ»[٦٢]، وقال ﷺ «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ»[٦٣]

قال فإذا كان المُسَوّي بين الله وغيره في ذلك مشركًا، فما الظن بهذا أي فما الظن بمن يعظم غير الله أكثر من الله، فإذا كان من سَوَّى الله بغيره جعله الشارع مشركًا فما الظن بمن جعل غير الله أعظم من الله، فلا شك بأن هذا أفظع، ولهذا تجد بعض الناس لو أن أحدًا تكلم في الله واستهزأ بالله تجد حتى وجهه لا يتغير ولا يتَمَعّر،

لكن لو أن أحدًا استهزأ بعليّ ﷺ أو بأحد الأئمة عندهم مثل الحسن والحسين وجعفر تجده يقيم الدنيا ولا يُقعدها، وهذا يدل على أنه ما سوى هؤلاء بالله بل يعظمهم أكثر من تعظيمه لله، وهذا مشرك شركًا أكبر وهو متوغل فيه والعياذ بالله، واستكمل الشيخ قوله "وشرك الأمم كله نوعان (الإلهية والربوبية) انتهى"

ولهذا قال الشيخ: "عياذًا بالله من أن ينسلخ القلب من التوحيد والإسلام كانسلاخ الحية من قشرها وهو يظن أنه مسلم موحد"[٦٤] انتهى، فهذا أحد أنواع الشرك (أي الشرك في الألوهية)

دلائل وجوب التوحيد

قال الشيخ "وكل ما خلقه الله ﷻ فهو آية شهدت بتوحيده، وكذلك كل ما أمر به فخلقه وأمره، وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من العقول شاهد بأن الله الذى لا إله إلا هو، وأن كل شيء معبود سواه باطل، وأنه هو الحق المبين تقدس وتعالى"[٦٥] انتهى، يعني أن أدلة أنه ﷻ لا يُعبَد إلا هو في كلام الله وكلام الرسول ﷺ، وما بثه الله في الآفاق، وما أودعه في الفِطَر، فهذا من الأدلة المتوافرة التي لا تُحصَى، وقد تقدم لنا بيان شيء من ذلك ولهذا قيل:

ووا عَجَبـــاً كَيـــف يُعصـــى الإلـــه .... أَم كَيـــفَ يَجحَـــدُهُ الجاحِـــدُ
ولله فـــي كـــل تحريكـــة .... وتســـكينة أبـــدا شـــاهد

٦١ مسند أبي داود الطيالسي
٦٢ [شرح صحيح البخارى لابن بطال]
٦٣ [تفسير ابن كثير - ت السلامة]
٦٤ [جامع البيان في تفسير القرآن]
٦٥ [رسائل المقريزي]

وفـــــي كـــــل شـــــيء آيـــــة تـــــدلّ علـــــى أنـــــه واحـــــد

هذه الأبيات ينسبونها إلى ابن المعتز، وبعضهم ينسبها إلى أبي العتاهية، وبعضهم ينسبها لأبي نواس، ويذكرون أن هذه الأبيات لها قصة، مثلما ذكر ذلك الخطيب البغدادي ~ في كتابه "تاريخ بغداد"، وهي أن الرشيد قال لأبا العتاهية الناس يزعمون أنك زنديق، فقال له: يا سيدي كيف أكون زنديقًا وأنا القائل، ثم ذكر هذه الأبيات، والمشهور أنها تعود لأبي العتاهية

شرك من جعل مع الله آلهة أخرى

شرك الفلاسفة

والفلاسفة يريد بهم الفلاسفة المشَّائين، الفلاسفة من قول أرسطو، لأن الفلاسفة اليونانيين قبل أرسطو كان جمهورهم يقولون بالصانع ولم يكونوا يقولون بقِدَم العالم، حتى جاء أرسطو وشَهَر هذا القول، فهو قال بمتحرك لا يتحرك وبمعلول لعلة، فقال بقدم العالم، وأن الخلق معلول لعلة وعليه فيكون قديمًا؛ لأن العلة إذا كانت تامة لزم عنها معلولها، ولذلك قال بقدم العالم أي أن العالم لا أول له، فهو وإن أثبت صانعًا فإنه يقوله بقِدَمه؛ لأنه يثبت العلة، المتحرك الذي لا يتحرك، لكنه مقارنٌ لعلته، وأرسطو تبعه على هذا جمع من الفلاسفة الإسلاميين، أو الذين ينتسبون إلى الإسلام كابن سينا والفارابي وكأصحاب رسائل إخوان الصفا، يقول الشيخ "فهؤلاء الذين يقولون أنه لم يصدر عنه إلا واحد بسيط"

وذلك أن كل واحد لا يصدر عنه إلا واحد، فيقولون أن العلة لا يصدر عنها إلا معلول واحد ولذلك قالوا لم يصدر عنه إلا واحد. وقولهم بسيط يريدون به أنه ليس مركبا. وما على المركب مثل من عَبر عنه ابن سينا في رسالته المعروفة برسالة الأضحوية يقول "إن الوجود إما أن يكون بسيطا وإما أن يكون مركبا"[٦٦]انتهى، ومعنى الوجود البسيط أي ما لا يكون مركبا وحينئذ، نحتاج أن نعرف المركب وإذا عرفنا المركب عرفنا المعنى البسيط

- المركب عند الفلاسفة:هو ما كان مجموعاً من جزئين، بحيث يفتقر جزأه إلى غيره أي الجزء وإذا كان جزءا مفتقرين إلى بعضهما فإن جزئي حينئذ يكونان غيره. وما كان محتاجا أو بتعبيره هو ما كان مفتقرا إلى غيره. فإنه يكون محدثا، حينئذ ما لم يكن مركبا من جزئين يسمي بسيطًا،يقول إنه ليس مركبا وبسط، لكن هذا هو معنى قولهم لم يصدر عنه إلا واحد بسيط، لأنهم يقولون بالتولد الذاتي، على كل حال فهؤلاء الضُّلال لولا أنهم سودوا الصحائف بهذه الأقوال لما تطرقنا إليها

٦٦ [شرح المقاصد في علم الكلام]

يقول وإن مصدر المخلوقات يعني الذين يقولون أن مصدر المخلوقات كلهم عن العقول والنفوس ما يسمونه بالمجردات، فيقولون عندنا عقول وعندهم عقول عشرة على خلاف بينهم لكن مشهور أنهم يقولون بعقول عشرة آخرها هو العقل الفعال يسمونه العقل الفعال الذي هو فلك القب، ومنه يحصل الفيض، المهم أنهم يقولون إن مصدر المخلوقات إنما يعني عن العقول

مثال عن النفوس وأن الكون يتحرك أي هذه الكواكب تتحرك سواء السياره أو الثابته ،وحركة الأفلاك بعضها وبعض كحركة العاشق والمعشوق، ومثل حركة العاشق والمعشوق ولذلك عندهم عشق وعاشق معشوق أي لذة ولاذ وملتذ، وهكذا على كل حال يعني كلامهم طويل لا نريد أن نبسط فيه هنا لكنهم أشركوا في الربوبية، وأيضا هناك طوائف أخري أن مصدر هذا العالم عن العقل الفعال فهو رب كل شيء فهو رب كل ما تحته ومدبره، هذا

- الفلسفة المشائية: ما يعتقده ابن سينا وكذلك الفارابي وهو الذي يعتقد أرسطو وما عليه عامة الفلاسفة المشائين
- الفلسفة الرواقية: وتسمي أيضًا الأفلاطونية الجديدة أو الغنوصية فهؤلاء لهم فلسفة أخرى، يقول وهذا أشر من شرك عباد الأصنام والمجوس والنصارى لأن عباد الأصنام فهذا ظاهر لأنهم هم يثبتون الله خالقا رازقا مدبرا. لكنهم يصرفون العبادة لغيره

قال والمجوس، المجوس الذين يقولون بإلهين، بخالقين، جَعْل المجوسِ الوجودَ واحدًا، أما هؤلاء فإنهم يقولون بواحد ويجعلون الوجود واحد ثم إذا جعلوا الوجود واحدا عطلوه من كل الصفات فهو ليس مريد ولا عالما

ولذلك فإن الفلاسفة هم ما يثبتون علم الله ﷻ وبعض منهم يثبتون علما لله ﷻ لكنهم يقولون يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات،كقول ابن سينا، فهؤلاء يعطلونه ﷻ عن صفات كماله قال والنصارى لم؟ لأن النصارى قالوا إن الله حال في بعض خلقه، أي في اللاهوت أو اللاهوت في الروح القدس، أما هؤلاء فجعلوا الوجود كله صفة للخالق، يعني ما يفرقون بين الخالق والمخلوق،ولذلك فإن الإله عند الفلاسفة الرب الخالق الصانع الإله عندهم هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق

- معنى الوجود المطلق: يعني أننا نثبت وجودا لا يوصف مطلق بشرط الإطلاق يعني الخالي عن أي قيد، وهذا معلوم أنه لا يوجد إلا في الأذهان، لا يوجد في الأعيان لا يوجد في الخارج، هو موجود في ذهنك، وذهنك يثبت وجود العدم

لذا يمكن لك في ذهنك أن تثبت العدم، لكنه وجود ذهني لا تحقق له في الخارج، فهو موجود لأنه إثبات محض، وهذا معنى الوجود يعني الإثبات المحض، ومعنى العدم يعني النفي المحض،العدم موجود يعني أنه يثبت إثباتا

محضا لكنه ذهني ولا تحقق له في الخارج، والمقصود أن هؤلاء إذا اثبتوا الصانع إنما يثبتونه موجودا في الذهن لا وجود له في الخارج، ولذلك صار قولهم أخبث من قول المجوس وأخبث من قول النصارى؛ لأن هؤلاء لا يثبتون موجودا في الخارج.

إذًا قولهم أشرُّ من قول المجوس والنصارى من وجهين:

الأول:

- الفلاسفة:هم أن الوجود كله وجود واحد هذا هو لازم قولهم، أي أن هؤلاء يقولون بأن بعض الخلق حل فيه الخالق
- المجوس: وهؤلاء يقولون أن الخلق كله هو الخالق ولذلك من العبارات التي تقلدها عنهم غلاة المتصوفه (كابن العربي والحلاج والسهروردي المقتول) هؤلاء تقلدوا عنهم مقالتهم هذه، فقالوا:

الرب عبد والعبد رب .... يا ليت شعري من المكلَّف
إن قلت عبد فذاك حق وإن قلت رب فأنى يكلف

الثاني:

أن هؤلاء يثبتون صانع في الخارج يعني يثبتون وجودا وضعيا أي وجودا حقيقيا، أما الفلاسفة فهم لا يثبتون وجودا في الخارج يثبتون وجودا في الذهن، ومعلومًا أن الوجود الذهني لا يدل على وجود الشيء في الخارج بدليل أنّ الذهن يثبت العدم فلما اجتمع هذان الأمران علمنا أنّ كفر الفلاسفة أشد من كفر المجوس والنصارى ولهذا قال الشيخ أخبث شرك في الربوبية إذ يتضمن من التعظيم الإلهية والربوبية واستناد الخلق إلى غيره ﷻ ما لم يتضمنه شرك أمة من الأمم

شرك القدرية

يقولون أنّ العبد يخلق بنفسه، وهي طائفة ظهرت آخر زمن الصحابة وأدركهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وأدركهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعبد الله بن يزيد الخطمي أدركوا هؤلاء الذين قالوا بالقدر، وأول من قال في أمة الإسلام بالقدر معبد الجهني كان بالبصرة حيث قال "إنّ الأمر أُنُف والله ﷻ لم يخلق، ولم يعلم، ولم يكتب"[٦٧]،

٦٧ [صحيح مسلم]

والمقصود إذا وقع الأمر علم به الله، حجتهم أنّ الله لو علم بفعل المعصية ثمّ عاقب العبد عليها كان ظالماً، ثمّ بعد ذلك اندثرت القدرية الأولى التي كانت تنفي قدر الله ﷻ وكتابته

وبقيت القدرية التي هي القدرية الاعتزالية، كقول المعتزلة قول واصل بن عطاء وقول كذلك من جاء بعدهم من المعتزلة البغدادية والمعتزلة البصرية والمعتزلة الكوفية وهذا هو قولهم وتجده منقولاً عنهم في كتبهم مثل كتاب شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي، ثمّ هم كذلك انفصلوا فرقاً مثلاً عندنا الشيشانية أو البهشمية أتباع أبي هاشم الجبائي وعندنا كذلك الجبائية وكذلك الصالحية والضرارية أتباع ضرار بن عمرو والنظّامية وغيرهم، ثمّ قلّد عنهم كثيراً من طوائف الشيعة وكثير من طوائف الخوارج وفرقها كالإباضية وكالزيدية وهؤلاء قالوا كقول المعتزلة :أن العبد يخلق فعل نفسه وكلهم يسمون قدرية لأنهم ينفون خلق الله ومشيئته ﷻ

إذا أردت أن تعرف عقائد المعتزلة تجدها في كتاب (شرح الأصول الخمسة) لعبد الجبار المعتزلي وهذا يمثل العقائد للمعتزلة البصريين، وكتاب المقالات الإسلامية لأبي قاسم الكعبي حيق يمثل عقائد الإعتزالية الكوفيين هؤلاء القدريين

يقول الشيخ "شرك القدرية مختصر هذا الباب، وهي باب يدخل منه إليه" انتهى، يعني أنهم فقط أخرجوا فعل الحيوان من خلق الله ﷻ، حيث قالوا أن العبد يخلق فعل نفسه أما بقية أفعال غير الإنسان هذه مخلوقة لله، كما أنها أول خطوات إنكار عن صفاته وتعطيل عن صفات كماله ﷻ، ولهذا شبههم الصحابة ﷺ بالمجوس لأنهم أثبتوا خالقيه، كما ثبت عن ابن عمر وابن العباس وقد روى أهل السنن منهم ذلك مرفوعاً أنهم مجوس هذه الأمة هذه قاعدة أنّ كل حديث مرفوع إلى النبي ﷺ أنّ «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ»[٦٨] لكن كله حديث ضعيف، لكن الصحيح ما هو موقوفات على الصحابة وأحسن الموقوف ما هو موقوف على عبد الله بن عمر ﷺ أي هو الذي يقول وهو من قوله في هؤلاء القدرية أنهم مجوس هذه الأمة ووجه تشبيه الصحابة لهم بأنهم مجوس هذه الأمة لأنهم أثبتوا خالقاً غير الله ﷻ

يقول الشيخ ﷺ: "وكثيرا ما يجتمع الشركان في العبد، وينفرد احدهما عن الآخر (شرك الألوهية، وشرك الربوبية) انتهى، يقول "والقرآن الكريم بل الكتب المنزلة من عند الله ﷻ كلها مصرحة بالرد على أهل الإشراك"انتهى، فبالنظر إلي قوله ﷻ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

٦٨ [مسند أبي حنيفة رواية الحصكفي]

الشرك في الأفعال

يُكمل الشيخ قوله "إياك نعبد فإنه ينفي شرك الألوهية والمحبة فتضمنت هذه الآيتين تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة وأنه لا يجوز إشراك أحد معه لا في الأفعال ولا في الألفاظ ولا في الإرادات (أي في الاعتقادات)"[٦٩] انتهى، قال رحمه الله في ذكر بعض الأمثلة في الشرك في الأفعال فقال "إنّ الشرك إما أن يكون في الفعل أو في اللفظ أو في الإرادة في النية والقصد أو في الاعتقاد"انتهى

"السجود لغيره ﷻ"

قال الشرك فيه في الأفعال قال كالسجود لغيره ﷻ، واعلم أنّ السجود لغير الله ﷻ ينقسم إلى قسمين:

- النوع الأول أن يسجد لغير الله سجود عبادة وخضوع وتذلل فهذا شرك لأنّ السجود لله حق لله ﷻ، وهو شرك أكبر وإذا سجد لغير الله سواء سجد سجود لحيّ أو ميت فهذا شرك أكبر لأن السجود عبادة لا تصرف إلا لله ومن صرفها لغير الله فقد أشرك ولهذا قال ﷻ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، وأيضا في قوله ﷻ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ﴾ [الحج: ١٨]، وعن قوله وكثير حق عليه العذاب والسبب أنه لم يسجد

وكذلك أيضا الركوع مثله حيث قال الله ﷻ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]، ويقول ﷻ ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝٣٧ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۝٣٨﴾ [القلم: ٣٧-٣٨]، وكذلك أيضا في قوله ﷻ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، يعني حيث لم يكونوا يقبلون أن يسجدوا حينها

- النوع الثاني أن يسجد لغير الله على جهة التحية والتشريف والتكريم والتعظيم، لا على جهة التذلل والخضوع والتعبد إنما على جهة التكريم والتشريف والتعظيم، وهذا كان جائزًا من لدن شريعة آدم إلى شريعة عيسي عليه السلام إنما في شريعتنا فهي كبيرة من الكبائر فلا يكون شركاً وإنما يكون محرماً لا يجوز ويكون كبيرة من الكبائر

فالسجود على جهة التعظيم والتكريم فهذا محرم، وإن كان جائزاً في شِرعة من كان قبلنا ولهذا أمر الله ﷻ الملائكة أن تسجد لآدم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]

---

٦٩ [كتاب توحيد الربوبية]

فجعل عدم إمتثاله إباءً واستكبارًا قال ﷻ ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [ص: ٧٤]، لأنه لم يمتثل لأمر الله ﷻ فهذا سجود تشريف وتكريم ولهذا لو أن الله أمرنا أن نسجد لغيره وكان هذا جائزاً فإننا نسجد لغير الله -ﷻ طاعة لله، كذلك أخبر الله ﷻ أن يعقوب عليه السلام وبنيه الذين هم أخوة يوسف سجدوا ليوسف فكان ذلك جائزاً في شريعتهم فإنه على جهة التعظيم والتكريم هذا كان جائزاً في شريعتهم أما في شريعتنا فهو مذموم

ولهذا روى أبو داود وابن ماجة وغيرهما من حديث معاذ بن جبل لمَّا قدِمَ معاذٌ منَ الشَّامِ سجدَ للنَّبيِّ ﷺ «قالَ ما هذا يا مُعاذُ قالَ أتيتُ الشَّامَ فوافقتُهُم يسجُدونَ لأساقفتِهِم وبطارقتِهِم فوَدِدْتُ في نَفسي أن نفعلَ ذلِكَ بِكَ فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فلا تفعَلوا فإنِّي لو كُنتُ آمرًا أحدًا أن يسجُدَ لغيرِ اللَّهِ لأمَرتُ المرأةَ أن تسجُدَ لزوجِها والَّذي نَفسُ محمَّدٍ بيدِهِ لا تؤدِّي المرأةُ حقَّ ربِّها حتَّى تؤدِّيَ حقَّ زوجِها ولو سألَها نفسَها وَهيَ علَى قتَبٍ لم تمنعْهُ»[٧٠]

أي على صفة التشريف والتكريم ومعلوم لو كان هذا شرك لا يمكن أن يأمر المرأة أن تسجد لزوجها، ولو كان شركاً لما أمر الله ﷻ الملائكة أن تسجد لأدم، ولم يأذن ليوسف أن يسجد له أخوته، لو كان هذا شركاً الذي هو سجود التشريف والتكريم لأن الشرك شركاً في شريعة جميع الأنبياء لكن التشريف والتكريم هذا كان مباحاً ثم نُسخ في شريعتنا فلا يجوز لأحد أن يسجد لأحد إلا الله ﷻ

فالانحناء والركوع والسجود لا يكون إلا لله وإن كان لغير الله على جهة التشريف والتعظيم يكون هذا محرماً وهو كبيرة من الكبائر وإن كان على جهة العبادة والتذلل والخضوع فإنه يكون شركاً.

" بغير بيته المحرم"

يقول الشيخ رحمه الله " قال كالسجود لغيره سبحانه والطواف بغير بيته المحرم "[٧١] انتهى، يعني لو أنه طاف بغير بيت الله سواء كان هذا الطواف بقبر النبي ﷺ أو بقبر أو بمشهد أو بحجر أو بشجر، فإن كان يعتقد بهذا المطوف به أنه ينفعه أو يضره وأنه يُجيب دعاءه فهذا شرك فيكون الطواف بقبره شرك؛ لأنها عبادة لغير الله ﷻ فهو صرف هذه العبادة لغير الله

فالطواف بالبيت هذا عبادة كما قال الله ﷻ ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، وركن من أركان الحج والعمرة الطواف، حيث لا يصح الحج ولا تصح العمرة إلا بالطواف فلا يجوز للإنسان أن يطوف إلا بالبيت العتيق، وكما قال النبي ﷺ «خذوا عني مناسككم»[٧٢]، وهو ﷺ لم يطف إلا بالبيت العتيق

٧٠ [صحيح ابن ماجه]
٧١ [رسائل المقريزي]
٧٢ [مسند الشافعي - ترتيب السندي]

فحينئذ الطواف ببيت الله الحرام (أي الكعبة) هذا طواف عبادة فإذا طاف أحد بغير البيت،العتيق فهذا الطواف نفسه بدعة محرمة، فالطواف عبادة والله ﷻ شرعه أن يكون للبيت العتيق فقط، مثل الصلاة الله ﷻ شرعها إلا في أماكن معينة فنحن لا نصلي بالمقبرة أو بالخلاء ولا بمكان به صور وما أشبه ذلك، فحينئذ الطواف هذا نفسه عبادة ولا يكون الطواف إلا بالبيت العتيق

فمن طاف بغير البيت العتيق فإنه مبتدع وإن طاف لله ثم إذا كان يعتقد بهذا الذي يطوف عليه يعتقد بأنه ينفعه أو يضره هذا القبر أو الشجرة أو الولي هذا ينفعه ويضره هذا يكون مشركاً شركاً أكبر، وإن لم يكن معتقداً ذلك وإنما فعل ذلك على جهة التعظيم فيكون قد فعل بدعة عظيمة وهو على شفا شركاً أصغر لأن هذا ذريعة إلى أن يعبده من دون الله إلى أن يدعوه إلى أن يستغيث به إلى أن يستعين به

"وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره"

ثم قال الشيخ رحمه الله"وَحَلْقِ الرَّأْسِ عُبُودِيَّةً وَخُضُوعًا لِغَيْرِهِ"انتهى، يعني هذا الذي يحلق رأسه مثل ما نقول نحن الآن (يحلقه بالموس صفرا لغير الله)، فالحلق نفسه تارة يكون مباحاً وتارة يكون مكروهاً وتارة يكون محرماً ويكون واجباً يعني على جهة العبادة أي يكون واجباً

فالذي يحلق رأسه على جهة العبادة كما الله ﷻ ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٧-٢٨]، فالحلق هذا عبادة من العبادات في الحج في العمرة ويدلك على أنه عبادة إذا وُلد الصبيُ فإنه يُحلق رأسُه تأسيًا بالنبي ﷺ فالحلق هذا عبادة

وهذا الذي يأتي يتعبد بحلق رأسه عند مشايخه وعند من يسميهم الأندال وعند الأقطاب يحلق رأسه، فهذا الحلق فيه خضوع وعبادة، ذلك لأن الحلق نفسه يخرج مخرج العبادة. فيكون من حلق لغير الله فأشرك مع الله غيره، أما إذا حلق لشيخه لا على جهة التعظيم وإنما لأجل إظهار يعني لكي يظهر تواضعه عنده وحتى يظهر أنه بين يديه وأنه مُقبل عليه وما أشبه ذلك نقول هذا بدعة، لا نقول أنه شرك، أما إذا فعل ذلك على جهة العبادة يعني أنه يتعبد بأن يحلق رأسه له هذا يكون مشركا صَرَفَ هذه العبادة لغير الله؛ لأن الحلق من حيث هو عبادة أما إذا فعله بنية التواضع يريد أن يتواضع و يتقرب من الله هذا يكون بدعة ويكون محرما، كذلك إذا كان يحلق رأسه بنية الزهد والتقلل من الدنيا وما شابه ذلك هذا كذلك من سمات الخوارج هم الذين كانوا يفعلون ذلك

ولذلك أخبر عنهم النبي ﷺ أن «قَوْمًا يَكُونُونَ فِي أُمَّتِهِ، يَخْرُجُونَ فِي فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ»[٧٣] في الصحيحين؛ فإذا كان يريد الزهد، والاعتزال وإظهار التقشف فكل هذا مكروه لأنه من التشبه بأهل البدع، وكذلك أيضا الذين يتشبهون باللاعبين وبالمغنين الذين يحلقون رؤوسهم فهذا كله مكروه لأن ﷺ قال «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[٧٤]،هذا أقل أحواله التحريم

أما إن كان الحلق لحاجة فهذا لا حرج فيه، فبعض العلماء يقولون يستحب للكافر إذا أسلم أن يحلق رأسه ويستدلون بحديث «أَلْقِ عَنْكَ شَعْرَ الْكُفْرِ وَاخْتَتِنْ»[٧٥]، لكن هذا حديث ضعيف لا يشرع للكافر إذا أسلم أن يحلق شعر رأسه لا يشرع له ذلك

"وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود "

يقول الشيخ "وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود"[٧٦]انتهى، كذلك لا يجوز لأحد أن يقبل حجرًا، إلا الحجر الأسود ولولا أن النبي ﷺ قبله ما قبلناه، ونحن لا نقبل الحجر الأسود لأنه ينفع أو أنه يضر ولكن تأسيا بالنبي ﷺ، ولهذا في الصحيح أن عمر ﷺ لما قبل الحجر الأسود كان «يُقَبِّلُ الْحَجَرَ وَيَقُولُ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ. يُرِيدُ الرُّكْنَ»[٧٧]

فمن قبل حجرا غير الحجر الأسود فهو مبتدع. هذا يكون مبتدع ثم إن كان يعتقد أن هذا الحجر الذي يقبله يضره أو أنه ينفعه فإنه يكون مشركا، ويكون مبتدعًا ضالًا مرتكبا لكبيرة من الكبائر،مع العلم أن البدعة أعظم من الكبيرة، كما أنه إذا اعتُقِد بالحجر الأسود أنه ينفع ويضر فهو مشرك، فكيف بغيره؟

يقول الشيخ رحمه الله "الذي هو يمينه في الأرض" [٧٨]انتهى، الذي هو يمينه ﷻ في الأرض أي هذا فيه حديث، الحجر الأسود يمين الله في الأرض، «الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ، يُصَافِحُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ»[٧٩]، رواه الخطيب البغدادي رحمه الله في كتابه تاريخ بغداد، وكذلك ابن الجوزي رحمه الله في كتاب العلل المتناهية، وكذلك السيوطي في الجامع الصغير، وكذبه أبو بكر ابن شيبة رحمه الله والدارقطني رحمه الله يقول "هو فى عداد من يضع الحديث" [٨٠]انتهى، وابو معشر المدني هذا ضعيف، وكذلك أورَده اسحاق بن بشر أي أن أبا معشر ما قاله أصلا.

---

٧٣ [مسند أحمد]
٧٤ [الجامع - معمر بن راشد]
٧٥ [المعجم الكبير للطبراني]
٧٦ [منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس]
٧٧ [أخبار مكة للأزرقي]
٧٨ [المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد]
٧٩ [تأويل مختلف الحديث]
٨٠ [قبول الأخبار ومعرفة الرجال]

"غير الحجر الأسود الذي هو يمينه ﷻ في الأرض"

تقبيل الحجر الأسود

فكنا قد إنتهينا إلى مسألة تقبيل الحجر الأسود، وقلنا إن التقبيلَ يكون عبادةً بدليل أن النبي ﷺ قبَّلَ الحجر الأسود وهذا يدل على أنَّ التقبيل قد خرج مخرج العبادة، وإذا كان قد خرج مخرَجَ العِبادة، فإن العبادة لا يجوز أن تصرف إلا لله ﷻ: نقول ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] يعني لا أحد سواك ونقول: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [يوسف: ٣٨] ، وهي نكرة منفية وهذا يدل على العموم والشمول لأنه لا يجوز أن يصرف ما هو حقٌّ لله ﷻ إلا لله وجميع صنوف العبادة لا تكون إلا لله ﷻ

وقد قال المصنف رحمه الله "وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينهُ ﷻ في الأرض"

بيان أثر "يمين الله في الأرض"

وهذا الخبر لا يثبت إلا من قول عبد الله بن عباس موقوفاً عليه، فإن الخطيب البغدادي رحمه الله في كتابه **تاريخ بغداد** وكذلك ابن الجوزي في كتابه **العلل المتناهية** وغيرهما، قد رووه من طريق إسحاق بن بشر الكاهني عن أبي معشر المدني عن محمد بن كدر عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (إنّ الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها عباده)[٨١]

ولكن هذا الخبر لا يصح فإسحاق بن بشر هذا قد كذَّبَهُ غيْرُ واحدٍ منهم أبو بكر بن ابي شيبة رحمه الله والدارقطني رحمه الله يقول هو في عداد من يضع الحديث، ثم إن أبا معشر المدني الذي هو نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني هذا كذلك ضعيف، فإذاً هذا الوجه يكون موضوعاً، لأن فيه إسحاق بن بشر.

والأزرقي رحمه الله أخرجه في كتاب **أخبار مكة** وكذلك الفاكهي رحمه الله في كتاب **أخبار مكة**، يروونه من طريق يحيى ابن سليم المكي عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج والأزرقي رحمه الله في كتاب أخبار مكة يرويه عن عيسى بن يونس السبيعي عن عبد الله بن مسلم بن هرمز المكي، وكذلك عبد الرزَّاق رحمه الله في كتابه (المُصَنَّف)، جميع هؤلاء الثلاثة يروونه عن محمد بن عبَّاد بن جعفر عن عبد الله بن عبَّاس من قوله رضي الله عنه أنه قال: (إن هذا الركن الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها عباده مصافحة الرجل أخاه)

---

٨١ حديث موضوع

والديلمي ﵀ في كتابه مسند الفردوس أخرجه كذلك عن أنس يرفعه إلى النبي ﷺ، لكن فيه علي بن عمر العسكري وهو ضعيف جداً، وكذلك فيه العلم محمد الرَوَّاس وهو كذلك وضَّاع

ابن الجوزي ﵀ في كتابه **العلل المتناهية** يرويه عن عبد الله بن مُأمل عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عمرو يرفعه إلى النبي ﷺ لكن هذا لا يثبت لأن فيه عبد الله بن مُأمَّل يقول فيه الإمام أحمد ﵀ (حديثه مناكير)، ويقول علي ابن جنيد (هو شِبْهُ المتروك) ولذلك ذكره بن الجوزي ﵀ في كتاب **العلل المتناهية** وأخرجه كذلك الأزرقي في كتابه أخبار مكة من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عِكرمة من قوله هو يعني أنه يكون مقطوعاً عليه (قال إن الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن لم يدرك بيعة الله ورسوله، فمسح الركن، فقد بايع الله ورسوله)

فأنا أقول يحيى بن سليم الذي هو في رواية عبد الله بن عباس هذا ملخص كلام العلماء فيه أنه صدوق إلا أنه إذا روى عن عبيد الله بن عمر المدني فإنه يكون ضعيفاً، وعبد الله بن مسلم الذي يتابعه ضعيف وقد أطبق الأئمة على ضعفه.

محمد بن عبَّاد بن جعفر الذي هو المكِّي المخزومي هو على قلة حديثه إلا أنه ثقة، فيحيى بن معين ﵀ وثقهم وأبو حاتم وأبو زُرعةْ، وجماعة وثقوه.

فأنا أقول إن هذا الحديث لا يصح مرفوعاً للنبي ﷺ ولا هو كذلك صحيحٌ عن عِكرمة، وإنما هو موقوف على عبد الله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ووجه ترجيح الرواية عن عبد الله ابن عباس موقوفا.

عبد الله بن عبد الله بن مسلم بن هرمز ما تفرد به، ولذلك تابعه عليه ابن جريج وكذلك عبد الرزاق ثم إن يحيى بن سليم لم يتفرد به عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج لأنه قد تابعه عليه عيسى ابن يوسف السبيل، وهو ثقة مأمون يرويه عن عبد الله ابن هرمز وعلى ذلك فان الحديث بهذه الطرق يكون صحيحا من جهة وقفه على عبد الله بن عباس﵄.

حينئذ إذا أثبتنا الخبر عن عبد الله ابن عباس من قوله فهذا مما لا مجال للرأي فيه كما هو معلوم **مما لا يقال بالرأي**، وإذا قلنا أنه مما لا يقال بالرأي فإنه حينئذ يكون له حكم الرفع فينبغي لنا أن نفهمه

ما معنى أن الركن الأسود يكون يمين الله في الأرض؟ قال يصافح بها عباده مصافحة الرجل أخاه، الذي هو اللفظ عن عبد الله ابن عباس، هو يريد به ﵄ التشبيه وليس المراد التحقيق فقوله أن هذا الركن الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها عباده هو يريد بها التشبيه، وإلا فإنه معلوم قطعا أن الله ﷻ لا يصافح.

نحن نثبت لله ﷻ يدين كما تليق بجلاله لأنه هو ﷻ أخبر بذلك فقال ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وقال ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] إلى غير ذلك من الأخبار المتظافرة في السنة عن النبي ﷺ أن لله يدين لكننا نخبر بما له ﷻ على الوجه الذي يليق به، كما أننا نثبت له سمعا يليق به، وبصرا يليق به، وإرادة تليق به، قدرة تليق به، وكلاما يليق به ﷻ .

فإننا نثبت له ﷻ يدين يليقان به ﷻ فمعنى قوله "يصافح بها عباده مصافحة الرجل" هو يريد تشبيه هذا المعنى وتقريره لا أنه كذلك، ولذلك جاء في بعض ألفاظه فكأنما صافح الله، فكأنما ومعلوم أنه لا يشترط في المشبه أن يكون للمشبه به من كل وجه، وإنما تكفي أدنى ما يحصل به حصول المعنى الذي يريد المتكلم أن يفهمه عنه المخاطب.

فالغرض إذن أن التقبيل هذا عبادة فلا يجوز أن يقبل على جهة العبادة إلا الحجر الأسود، ونحن لا نقبل الحجر الأسود لأنه يضر ولا لأنه ينفع، ولكننا نقبله تأسيا بالنبي ﷺ كما قال عمر ﷺ لما قبل الحجر الأسود قال: (وإنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، وَأَنَّكَ لا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قَبَّلَكَ ما قَبَّلْتُكَ)[٨٢]

اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد

ثم قال المصنف رحمه الله: "ولقد لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء الصالحين مساجد يصلى فيها، فكيف من اتخذ القبور أوثانا تعبد من دون الله؟ فهذا لم يعلم معنى قوله ﷻ (إياك نعبد) وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياء المساجد)[٨٣]"

المصنف رحمه الله لما ذكر أن الإشراك بالله أن يشرك مع الله غيره فيما لا يجوز إلا أن يكون مصروفا له، قال هو في الأفعال وفي الألفاظ وفي الإرادات، فذكر جملة من الأمثلة التي تكون بالأفعال تقدم منها السجود قال كالسجود والطواف وحلق الرأس عبودية وخضوعا، وتقبيل الأحجار.

ثم الآن كذلك من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى فيها، هذا كذلك من الأفعال التي هي ذريعة إلى الشرك، هذا قد أتى بدعة في الدين وكبيرة من الكبائر، ولهذا قال "لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى فيها" يقول "فكيف من اتخذ القبور أوثانا تعبد من دون الله؟" يعني أنه والعياذ بالله إذا عبد القبر أو أنه عبد من في القبر، أي إذا كان النبي ﷺ قد حذر غاية التحذير بما هو متواتر عنه ﷺ بل لم يزل ﷺ

٨٢ الراوي : عمر بن الخطاب | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم | 1270 : خلاصة حكم المحدث: صحيح
٨٣ رواه البخاري (١٣٩٠) ومسلم (٥٢٩)

يحذر عن ذلك قبل وفاته، فإذا كان هذا حرمه النبي ﷺ وبينه غاية البيان، أنه لا يجوز أن تُتَّخذ القبور مساجد، فكيف بمن اتخذها مسجدًا؟ كيف بمن عبد المسجد والعياذُ بالله؟

لهذا قال النبي ﷺ، كما في كتاب **الموطأ للإمام مالك** من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار مرسلًا، ورواه كذلك ابن أبي شيبة رحمه الله من حديث زيد بن أسلم عن أبيه مرسلاً، ورواه غيره حديث زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخضري مرفوعًا عن النبي ﷺ قال: (اللَّهمَّ لا تَـجْعَلْ قَبْري وَثَنًا)[٨٤]

إذن حتى قبر النبي ﷺ، إذا عُبد فإنه يكون بهذا المعنى وثنًا، لأن معنى الوثن هو ما عُبد من دون الله، فالصنم إذا عُبد صار وثنًا، وعليه فكل وثن يكون صنمًا، لكن ليس كل صنم يكون وثنا، فما عبد من دون الله يكون وثنا، ولهذا فإذا كان النبي ﷺ نهى عن أن تُتَخذ القبور مساجد لأن هذا ذريعةٌ لأن تعبد من دون الله، إما أن يُعبد القبر، وإما يعبد ما فيه، فكيف بمن عبد القبر؟ أو بمن عبد من في القبر؟_هذا من أشد المصادمة لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، و لهذا قال "لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى فيها"

العلة في تحريم اتخاذ القبور مساجد

والعلة في نهي النبي ﷺ كونه يُتَخذ ذريعة للشرك وقد نص على هذه العلة جماعة من الأئمة مثل الشافعي رحمه الله، و الإمام أحمد، وأبو بكر ابن أصرم، و كذلك الإمام مالك رحمه الله، وممن نص على هذه العلة من أصحاب المذاهب الإمام المقدسي رحمه الله وجماعة أنهم نصوا على هذه العلة في كوننا منهيين عن أن تتخذ القبور مساجد؛ هذا علته أنه ذريعة للشرك، ووسيلة إليه.

ولهذا نهى النبي ﷺ عن الصلاة في مقبرة، ونهى عن بناء القبور(أي أن تُعلى) لأنه ذريعة لأن تعبد من دون الله عز وجل، وبهذا فإنه من الخطأ الكبير من أتباع المذاهب والفقهاء الذين عللوا النهي عن الصلاة في المقبرة ذريعة لأن يُخشى من الوصول إلى الصديد الذي يكون نجسًا، ولخشية وصول النجاسة نُهي عن الصلاة في المقبرة، هذه العلة باطلة، بل العلة التي من أجلها نُهوا هي كونها ذريعة للشرك (يوصل للشرك لذا فهو حرام ولا يجوز).

وأما قولنا العلة هي كون ذلك المحل يكون نجسًا، أو يخشى من وجود النجاسة فهو قول باطل، لإن النبي ﷺ قال: (اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد)، وقالوا إذا مات الرجل الصالح فينا، ومن المعلوم إن الأنبياء والشهداء والصالحين (الشهداء يدخلون في جملة الصالحين) هؤلاء لا تكون دماؤهم نجسة على الصحيح ودماء الأنبياء ليست نجسة أيضا، ومع ذلك نُهوا.

---

٨٤ الراوي : أبو هريرة | المحدث : شعيب الأرناؤوط | المصدر : تخريج المسند | الصفحة أو الرقم | 7358 : خلاصة حكم المحدث : إسناده قوي|

الشاهد من هذا أنه لا يجوز لنا أن نتخذ قبور الأنبياء، والصالحين مساجد، ونص عليه النبي ﷺ لأن الشبهة تكون معظمة، و تعلق القلوب به أشد، من أجل ذلك نهى النبي ﷺ عن هذا.

ثم ذكر المصنف ﷺ جملة من الأدلة والأخبار المتزاجرة و المتواترة عن النبي ﷺ أنه نهى عن اتخاذ القبور مساجد قال في الصحيحين عنه ﷺ أنه لعن الله اليهود و النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

فهذا الخبر ثابت عنه ﷺ، لذلك عن عائشة ﷺ قالت(ولَوْلا ذلكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ)[٨٥]، أي إنها تقول ﷺ لولا ذلك لكنا قد أظهرنا قبره (بيناه، أظهرناه) مثل قبور الصحابة، لكن الله ﷻ حماه وجعله محميًا غير بارز لئلا يكون ذلك ذريعة ليُعبد، ولهذا كان النبي ﷺ يدعو فيقول (اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد)، وقد اشتد غضب الله على أقوامٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ولهذا لعن الله اليهود و النصارى، دعا عليهم النبي ﷺ باللعنة والطرد والإبعاد من رحمة الله ﷻ، وقال فيه عنه أيضًا (إنَّ مِن شِرَارِ النَّاسِ مَن تُدرِكُهُمُ السَّاعَةُ وهُمْ أَحياءٌ والَّذين يتَّخِذونَ القُبورَ مَساجِدَ)[٨٦]

هذا الحديث يقول فيه المصنف ﷺ **وفيه** هو لا يرد أنه في الصحيحين، إنما يقصد بها **في هذا المعنى، في النهي عن اتخاذ القبور مساجد** أنه ﷺ قال: (إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء) لأنها تقوم على شرار الخلق حين لا يقول أحد الله الله، كما جاء ذلك في الصحيح.، قال (والذين يتخذون القبور مساجد) هذا هو الشاهد، وقوله والذين يتخذون القبور مساجد هذا معطوف على خبر: أن بمعنى قوله إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، وأن من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد، فهو معطوف على خبر 'إن' مع حذف عامل المعلوم من سياق الكلام.

إذن هؤلاء من أشرار الناس، الذين يتخذون القبور مساجد والعياذ بالله ويبنون عليها الأضرحة، والمشاهد، ويعبدون الله عندها، حتى وإن يعبدوا الله عندها، حتى وإن صلوا لله ودعوا الله لكنهم يفعلون ذلك عند القبور، يصلون عندها، ويتخذون منها أماكن للسجود، فإن هذا كله محرم وكبيرة من كبائر الذنوب

لذلك فإن المساجد التي بُنيت على القبور، مشروع هدمها وإزالتها إذا استطعنا ذلك، وهذا بخلاف إذا كان القبر بُني داخل مسجد فالذي يجب إزالته هو القبر، وبهذا أفتى جماعة من الحنفية، والشافعية، والمالكية في جميع بلدان المسلمين.

لكن الآن عمت هذه الطامة، وصار في مصر وحدها ما يقرب عن ستة آلاف ضريح، ويبذل إليها من القرابين والنذور ما يزيد عن ملياري دولار سنويًا، فتجد بعض الناس والعياذ بالله، حتى وإن كان يعلم أن هذا ذريعة

---

٨٥ الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري
٨٦ الراوي: عبدالله بن مسعود |المحدث : ابن القيم | المصدر : الجواب الكافي | الصفحة أو الرقم | 101 : خلاصة حكم المحدث : صحيح

للشرك، أو أنهم والعياذ بالله يعبدونهم من دون الله تجدهم لا ينكرون هذا، أو يبينون بطلانه، بل هذا من أعظم الباطل، فما كان ذريعة للشرك، أو ما كان والعياذ بالله شركًا، مثل ضريح الحسين، وضريح السيدة زينب.

وفي غيرها كذلك من بلدان المسلمين التي انتشر فيها هذا المنكر العظيم، الذي يجب على كل قادر على إزالته أن يزيله، لعموم قوله ﷺ (من رأى منكم منكرًا فليغيرْه بيدِه)[٨٧] لكن هذا يكون بمراعاة المصالح والمفاسد.

قال وفيه أيضاً عنه ﷺ (أَلَا وإنَّ مَن كانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فلا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، إنِّي أَنْهَاكُمْ عن ذلكَ)[٨٨]، فمن كان قبلنا أي من كان من اليهود والنصارى، يتخذون القبور مساجد مع إنهم يعبدون الله إلا أنهم يتخذون القبور مواضع للسجود.

يقول: "أما أماكن العبادة كالكنائس مثلاً والصوامع أو موضع السجود" مثل قوله ﷺ وجُعلتْ لي الأرضَ مسجدًا وطهورًا)[٨٩] ومثل قوله ﷻ ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١٨] يعني مواضع السجود فهم يتخذون القبور مساجد، ولذلك جاء عن علي ﷺ قال "إني لا أصلي على قبر" يعني حتى وإن لم يكن القبر هذا في مقبرة، فإن نفس اتخاذ هذا القبر موضع للسجود فهذا يجعله مسجداً، فمن كان قبلنا كانوا يتخذون القبور مساجد يعني أنهم والعياذ بالله يصلون عليها.

هم يصلون لله ويدعون الله لكنهم اتخذوا هذه القبور مساجد، ولذلك فإن هؤلاء هم شرار الخلق، لهذا قال النبي ﷺ (ألا فلا تتَّخذوا القبورَ مساجدَ إني أنهاكُم عن ذلك)[٩٠]، نهانا ﷺ عن ذلك، "فلا" هذه مثل ما يقول بن هشام ﷺ أداةُ استفتاح وتنبيه وتوكيد، فلا تتخذوا القبور مساجد، قال ﷺ (إني أنهاكُم عن ذلك) فويل لمن لم ينتهِ عن نهي النبي ﷺ، والنبي ﷺ قد قال ذلك قريبا من وفاته، قالها ﷺ قبل أن يموت بثلاث، حتى يحذرنا مما كانت عليه الأمم التي تقدمتنا.

زيارة النساء للقبور

يقول ﷺ "وفي مسند الإمام أحمد وصحيح بن حبان عنه ﷺ (لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليه المساجد والسُّرُج): قوله (لعن الله زوارات القبور) يعني النساء زوارات القبور، فقوله زوارات هذا صفة لمحذوف يدل عليه السياق، يعني لعن الله النساء زوارات القبور، قال (والمتخذين عليها المساجد والسرج) أي لعن الله المتخذين

---

٨٧ الراوي] : أبو سعيد الخدري | [المحدث : ابن تيمية | المصدر : مجموع الفتاوى | الصفحة أو الرقم | 10/460 : خلاصة حكم المحدث : صحيح
٨٨ الراوي : جندب بن عبدالله | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم | 532 :خلاصة حكم المحدث: صحيح
٨٩ الراوي : عبدالله بن عباس | المحدث : أحمد شاكر | المصدر : عمدة التفسير | الصفحة أو الرقم : ٦٦/٢ | خلاصة حكم المحدث : [أشار في المقدمة إلى صحته] | التخريج : أخرجه أحمد (٢٧٤٢)
٩٠ الراوي : الحارث النجراني | المحدث : الألباني | المصدر : تحذير الساجد | الصفحة أو الرقم : ٢١ | خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح على شرط مسلم

عليها -أي على القبور- المساجد والسرج، المساجد يعني أنهم يعبدون الله وإن كانوا يصلون لله ولكنهم يفعلون ذلك على هذه القبور.

وفي قوله ﷺ "لعن الله زوارات القبور" هذا فيه دليل على أن النساء لا يجوز لهن أن يَزُرْنَ القبور، وهذا مثلاً مما وقع عليه النزاع من العلماء على أقوال ثلاثة:

- منهم من قال أنه يجوز مطلقا
- ومنهم من قال أنه يجوز مع الكراهة
- ومنهم من قال أنه كبيرة من الكبائر لأن النبي ﷺ لعن عليه وهذا القول هو الصواب

فإن هذا الحديث الذي ذكره المصنف رحمه الله، هو حديث عبد الله ابن عباس وأخرجه كذلك الإمام أحمد رحمه الله وكذلك الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وكذلك له شاهد عن حسان بن ثابت رضي الله عنه، أخرجه بن ماجة من رواية حسان بن ثابت عن أبيه أنه قال (لعن الرسول ﷺ زوارات القبور)[٩١] وحديث عبد الله بن عباس هو يرويه بادان (أو بادام) الذي هو أبو صالح مولى أم هانئ.

وهذا نحن لا ننكر أن جماعة من العلماء قد ضعفوه، لكن جماعة من الأئمة كذلك وثقوه: علي بن المديني يروي عن يحيى بن سعيد القطان يقول "لم أرَ أحدا من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانئ" هذا يقوله علي بن المديني عن يحيى بن سعيد القطان، ويقول رحمه الله "ما سمعت أحدا من الناس يقول فيه شيئا"، ثم يقول علي بن المديني قال لم يتركه شعبة ولا زائد ولا عبد الله بن عثمان: وهؤلاء جمع من الأئمة كانوا يقبلون روايته، وبن معين رحمه الله يقول ليس به بأس.

وهذا الحديث يدل على أن النساء لا يجوز لهن أن يزُرن القبور، فإن قلت هذا الحديث جاء على صيغة المبالغة لأنه قال **"لعن الله زوارات" وزوارات** على وزن **فعالات** فهذا يدل على أنها إذا زارت المرة أوالمرتين فإن هذا لا حرج فيه، قلنا أنه قد روي كذلك بلفظ **"لعن الله زائرات"**، يعني روي باللفظين بلفظ زوارات ولفظ زائرات، ولأن العلة موجودة كذلك في في المرة والمرتين. وهو ما يخشى مما قد يحصل للنساء من الجزاء والتسخط ولأنه قد يجر كذلك إلى اختلاط الرجال بالنساء في موضع لا ينبغي أن يكون الأمر فيه كذلك؛ فمن أجل ذلك نهيت النساء، بل جعل هذا من الكبائر لأن النبي ﷺ لعن هذا وهم يعني يستدلون بما جاء عن عائشة رضي الله عنها، يعني من قال بالجواز ولو مع الكراهة، فإن لهم جملة من الأدلة التي يستدلون بها، ومنها حديث عائشة رضي الله عنها، أنها زارت قبر أخيها عبدالرحمن ثم قالت له "لو شهدتك ما زرتك"، ويقولون هذا يدل على أن الزيارة تكون جائزة للنساء بل بعضهم

٩١الراوي : حسان بن ثابت | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح ابن ماجه الصفحة أو الرقم | 1289 : خلاصة حكم المحدث : حسن

قال إنها تكون مستحبة للنساء كما أنها مستحبة للرجال، ويستدلون كذلك بعموم قوله ﷺ (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكر بالآخرة)[٩٢]

قالوا فهذا عام يشمل الرجال والنساء والعلة هذه موجودة في الرجال وموجودة في النساء وهي تذكيرهم بالآخرة، ومن الأدلة كذلك التي يستدلون بها وهي (أن النبي ﷺ مر بامرأة كانت جالسة عند قبر، فقال لها النبي ﷺ اصبري فقالت إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي)[٩٣] قالوا فهذا يدل على أن المرأة يجوز لها أن تزور القبور فهم لهم جملة من الأدلة.

أما حديث عائشة ﵂ فإن الجواب عليه بحمد الله يسير، لأن عائشة ﵂ حديثها في الواقع يدل أن الزيارة ليست مستحبة -لا تستحب للنساء- لأنه لو كانت كذلك لاستحبت زيارته مطلقا، يعني إذا استحبت أن تزور قبر أخيها مطلقا سواء شهدته أن لم تشهده فلما قالت ﵂ "لو شهدتك ما زرتك" دل على أنها تفرق؛ فهو لا يدل على مطلوبهم أصلا لأن هذا يدل على أنها لو شهدته ما زارته، وعلى ذلك فإنه لا حجة فيه لمن قال بالرخصة ولذلك سياق الحديث الذي أخرجه الترمذي ﵀: لابن أبي مليكة يخالف السياق الذي ذكره الأشرم، لأنه رواه عن عبدالله بن أبي مليكة: (أن عائشة ﵂ أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها يا أم المؤمنين أليس نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور؟ فقالت نعم نهى عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها)[٩٤]

وعلى ذلك فإن المحتج عليها وهو عبد الله بن أبي مليكة احتج عليها بالنهي العام ثم هي احتجت بأنه منسوخ لكن عبد الله بن أبي مليكة ما ذكر لها النهي الخاص بالنساء وهو أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور، لأنها قالت قد أمر بزيارتها فهذا يدل على أن الأمر بزيارة القبور هذا يقتضي الإستحباب لكن هذا يكون خاصا بالرجال، وعلى ذلك فإنه يكون من العام المخصوص لأنها هي لو كانت تعتقد أن النساء مأمورات بزيارة القبور لكانت هي تفعل ذلك ﵂، ولذلك لو كان الأمر كذلك ما قالت هي **"لما زرتك"** ثم إنها ﵂ قد لا يكون بلغها هذا اللعن الخاص، وهذا اللعن صريح في أنه لا يجوز للنساء زيارة القبور وجمهور علماء الأصول أن العام إذا عرف بعد الخاص أنه لا يكون ناسخا له عند جمهور العلماء، هذا مذهب الشافعي ﵀ وهو كذلك مذهب أحمد في أشهر الروايتين عنه، وهو المعروف عند أصحاب الإمام أحمد وعلى ذلك إذا لم يعلم أن هذا العام بعد الخاص

قوله "فزوروها"، كيف يكون قوله ﷺ: "لعن الله زوَّارات القبور" بعد أن أذِنَ للرجال فيه، فهذا يدل على أن الحكم الماضي قد نُسِخ، ويدل على أن قوله "ألا فزوروها" عام مخصوص أُرِيدَ به الرجال ولم يُرَد به النساء،

---

٩٢ رواه الإمام مسلم في صحيحه
٩٣ الراوي : أنس بن مالك | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم | 1283 : خلاصة حكم المحدث : صحيح
٩٤ الراوي : عبدالله بن أبي مليكة | المحدث : البيهقي | المصدر : السنن الكبرى للبيهقي | الصفحة أو الرقم | 4/78 : خلاصة حكم المحدث : تفرد به بسطام بن مسلم البصري، وله ما يقويه

وبسط هذه المسألة ليس هذا موضعه، ولكن المقصود أن من أعظم الذرائع إلى الشرك أن يُتَّخَذ عليها -أي المقابر- المساجد.

ثم قال المصنف رحمه الله: "وقد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدا" وهذا الحديث جاء عند الإمام أحمد رحمه الله وعند غيره، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، وجاء عند أبي شيبة مرسلًا، ورواه مالك رحمه الله عن عطاء مرسلًا، لكن هذا المعنى محفوظ عن النبي ﷺ؛ فقد قال: (اللهم لا تَجْعَلْ قبري وثنًا يُعْبَدُ، اشتد غضبُ اللهِ على قومٍ اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ)[٩٥] والصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا به تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله.

اتخاذ أهل الكتاب قبور أنبيائهم مساجد

وحديث أم سلمة الذي ترويه عنها عائشة رضي الله عنها: (أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بالحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: إنَّ أُولَئِكَ إذَا كانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا علَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وصَوَّرُوا فيه تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَومَ القِيَامَةِ)[٩٦]

فهذا يدل على عظيم الإثم الذي اقترفه اليهود والنصارى إذ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدًا، ولذلك فإن الذين بنوا هذه الكنائس سواء كانت الكنيسة المرقسية التي هي كنيسة الإسكندرية وما تفرع عنها من الكنائس القبطية وما تفرع عن الكنائس القبطية كالكنيسة الحبشية، هؤلاء هم الذين ابتدعوا بناء الكنائس على القبور.

ولذلك فإن المسيح عليه السلام لم يكن له كنيسة، وإنما كان يعبد الله عز وجل في المعبد اليهودي - synagogue، وأول من اخترع لهم الكنائس هو بولس، لتصير معبدا مستقلا، وقد خالفه بطرس فقال بأنهم يجب أن يعبدوا الله وحده على ما كان في التوراة، فبولس حتى يدعو الغير يهودا ويدعوا الأمميّين، بنا لهم هذه الكنائس، فهو يريد دعوة الرومان وغير الرومان حتى يقبلوا هذا الدين الذي اخترعه وابتكره وحرف به دين المسيح عليه السلام.

فالكنيسة لم تكن من فعل عيسى عليه السلام فهو لم يعط أتباعه معبدًا خاصًا اسمه كنيسة، ولكن بولس هو من ابتدعها، ولكن كانوا يتعبدون في معابد اليهود "synagogue" مثل بطرس وغيره، وكانوا حينها موحدين.

---

٩٥ الراوي : عطاء بن يسار | المحدث : الألباني | المصدر : تخريج مشكاة المصابيح الصفحة أو الرقم | 715 :خلاصة حكم المحدث : صحيح
٩٦ الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم | 427 : خلاصة حكم المحدث : صحيح

أقسام زيارة القبور

ثم قال المصنف رحمه الله: "والناس في هذا الباب -زيارة القبور- ثلاثة أقسام" يعني لما بين رحمه الله أنه لا يجوز اتخاذ المساجد على القبور وأن هذا من شرك الأفعال، فمن المشروع لنا والمَسنون زيارة القبور؛ فالنبي ﷺ قال: (من صلَّى على جِنَازة فله قِيراط، ومن قَعَد حتى يُدفن فله قيراطان)[٩٧]، وقال : (كنتُ نهيتُكم عن زيارَةِ القبورِ ألا فزورُوها ، فإنَّها تُرِقُّ القلْبَ ، و تُدْمِعُ العينَ ، وتُذَكِّرُ الآخرةَ)[٩٨]

زيارة شرعية

- الدعاء للميت: فزيارة القبور: الناس صاروا فيها على ثلاثة أقسام، قال المصنف رحمه الله "قوم يزورون الموتى فيدعون لهم"، وهذه من الزيارات الشرعية، كما قال النبي ﷺ: (كانَ النَّبيُّ ﷺ، إذا فرغَ مِن دفنِ الميِّتِ وقفَ علَيهِ ، فقالَ: استغفِروا لأخيكُم، وسَلوا لَهُ التَّثبيتَ، فإنَّهُ الآنَ يُسألُ)[٩٩]
- العظة والعبرة: إذن الزيارة الشرعية هي التي يُدعى فيها للميت، والثاني أن تكون للعظة والعبرة كما قال النبي ﷺ: (فإنها تذكركم الآخرة) فهذه هي الزيارة الشرعية

زيارة شركية

- الدعاء بالميت: قال:"وقوم يزورونهم يدعون بهم فهؤلاء هم المشركون بالألوهية والمحبة والعياذ بالله"، أي يتوسلون إلى الله بهم يذهبون إلى القبر ثم يتوسلون بذوات هؤلاء المقبورين الذين لا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشورا

يتوسلون بهم إلى الله ﷻ، يزعمون أنهم يتشفعون بهم إلى الله، وهذا هو عين شرك أبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة، أنهم كانوا يتوسلون بهم إلى الله كما قال الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧]، فهؤلاء يدعون بهم، فيقولون: اللهم أغثنا بالحسين، اللهم أغثنا بالسيدة زينب، اللهم أغثنا بعلي، اللهم أنصرنا بعلي والعياذ بالله، هذا كله الشرك الأكبر، هذا هو عين شرك أبي جهل وأبي لهب، والوليد بن المغيرة والأخنس بن شريق والعاص بن وائل السهمي، هذا هو عين الشرك بل هذا هو عين شرك عامة الأمم الذين أُرسلت إليهم الأنبياء: فهذه الزيارة هي زيارة شركية ليست زيارة بدعية بل فضلاً أن تكون زيارة سنية.

---

٩٧ الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الترغيب الصفحة أو الرقم | 3502 :خلاصة حكم المحدث : صحيح
٩٨ الراوي : أنس بن مالك | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم | 4584 : خلاصة حكم المحدث : صحيح
٩٩ الراوي : عثمان بن عفان | المحدث : الوادعي | المصدر : الصحيح المسند | الصفحة أو الرقم | 933 : خلاصة حكم المحدث : حسن

- التوسل للموتى: قال رحمه الله: "قوم يزورونهم فيدعونهم والعياذ بالله"، يدعونهم من دون الله، يقول: يا حسين أغثني، فيتوسل به ويدعوه هو: يا حسين أغثني، يا سيدة زينب أغيثيني، مدد يازينب مدد، مدد ياحسين مدد، مدد يا علي مدد والعياذ بالله هذا كله من الشرك

وهذا الآن قبر الحسين الذي يوجد بمصر، والذي بنته الدولة العبيدية وزوقته ورفعته، ثم إن الحسين قُتل في العراق ما قُتل في مصر، وكذب القصة أن رأسه نُقل إلى مصر أو أن بدنه نُقل إلى مصر، هذا كله كذب، ثم لو كان الأمر كذلك فلا يجوز أن يدعوه من دون الله هذا هو عين الشرك والعياذ بالله، أن تدعوه من دون الله هو عين الشرك كما تبين لنا.

يقول: "قوم يزورونهم ويدعونهم أنفسهم" وهؤلاء هم المشركون في الربوبية، لأنهم جعلوا غير الله ﷻ متصرفاً في الكون معه وإلا لماذا يسأل هذا الميت الذي لا ينفعه ولا يضره، إلا وقد اعتقد أنه ينفعه ويضره وهو ميت، والله يقول ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١]، ويقول ﷻ: ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ۝١٢ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ۝١٣﴾ [الحج: ١٢-١٣]، لكنه الضلال والعياذ بالله، الضلال مخالف لما جاء به ﷺ، فهو قضى عمره يحذر من هذا ويصد عن هذا ويقاتل في دفع هذا، ثم يكون في أمته نقيض ما دعى إليه وعكس ما بذله من أجله، فالله المستعان.

زيارة بدعية

المصنف رحمه الله ذكر ثلاثة أقسام، نحن نزيد كذلك قسم وهو الزيارة البدعية.

- زيارة القبر لدعاء الله: وهي زيارة القبر ثم الدعاء لله عند هذا القبر، هي زيارة بدعية لأن النبي ﷺ لم يكن يفعله ولا الصحابة ولا التابعين ولا أتباع التابعين ولا أئمة الدين ما كانوا يفعلون ذلك، حتى أن تدعو الله ﷻ ولو عند قبر النبي ﷺ، أن يقصد الإنسان أن يذهب ويدعو الله مخلصًا له الدين: هذا بدعة، نهى النبي ﷺ أن تتخذ القبور مساجد حتى لا تعبد من دون الله، سواء أن يعبد القبر أو أن يعبد من في القبر، هذا كله يوصل إلى الشرك.

فالزيارة الصحيحة إذن هي الزيارة التي دلت عليها النصوص، وهو أن يزور الإنسان الميت ليدعوا له حتى ينتفع، وكذلك حتى يتذكر الآخرة ويرى حقارة الدنيا، كما قال النبي ﷺ : (كفى بالموت واعظًا)[١٠٠]

١٠٠ السلسلة الضعيفة

خلاصة: إذن عندنا زيارة شرعية، وعندنا زيارة شركية تكون في شرك الربوبية، ثم زيارة بدعية، فلا يشرع إلا ما كان زيارة سنية وتتبع النبي ﷺ وهو أن يذهب ليدعو للميت، الثاني أنه يتعظ ويتذكر الله ﷻ والدار الآخرة، فإنه من أعظم ما يحثه على فعل الخيرات وترك المنكرات.

النهي عن الصلاة بعد العصر والصبح

يقول الشيخ رحمه الله: "وقد حمى النبي ﷺ جانب التوحيد أعظم حماية تحقيقًا لقوله ﷻ (إياك نعبد)، حتى نهى عن الصلاة في هذين الوقتين سدا لذريعة عدم التشبه بعباد الشمس، وسد الذريعة بأن منع الصلاة بعد العصر والصبح لاتصالهما بهاذين الوقتين اللذان يسجد المشركون فيهما"

معنى ذلك أن النبي ﷺ حمى جانب التوحيد ومما حماه ﷺ أنه نهى عن اتخاذ القبور مساجد، ومما حماه به ﷺ أنه نهى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ونهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس، العلة في ذلك أن أقوامًا يسجدون للشمس إذا طلعت ويسجدون للشمس إذا غربت، حتى نهى النبي ﷺ أن نتشبه بهم أو أن يكون ذريعة إلى تعظيم الشمس فإنه ﷺ حسم مادة الشرك من أصلها، وقطع دابرها من أصلها فنهانا أن نصلي بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، ونهانا ﷺ أن نصلي بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس، كل هذا حتى لا نتشبه بأقوام يعبدون الشمس إذا طلعت ويعبدونها إذا غربت، فما أعظم نصحه لنا ﷺ، فقد بين ﷺ البيان الذي ليس بعده بيان وأظهر الحجة وأبانها، فلن يهلك على الله إلا هالك.

المقصود إذن أن النبي ﷺ حذر من الشرك ونهى عن أمور توصل إلى الشرك ، فهذا يدل على أن الشريعة نهت عن الشرك غاية النهي، نهت عنه وعن كل ما يكون وسيلة إليه.

"لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد غير الله"

يقول المصنف رحمه الله "وأما السجود لغير الله ، قال النبي ﷺ: لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد غير الله" وهذا قد تقدم الكلام عنه، سجود العبادة لا يكون إلا لله، وأما إن كان السجود سجود تشريف وتعظيم فإنه لا يجوز في شرعنا، إنه قد نُسخ في شرعنا، وعليه فإنه يكون كبيرة من الكبائر، ومثل السجود الإنحناء، مثل تحية الصينيين وتحية اليابانيين، هذه لا تجوز في شرعنا، أما ما كان قبلنا فإن هذا كان جائزًا في شريعة آدم وجائزًا في شريعة يوسف ويعقوب، أما في شرعنا فإن ذلك لا يجوز، ولهذا فإن معاذ رضي الله عنه لما ذهب إلى الشام ورآهم يسجدون لبطارقتهم، أراد أن يسجد للنبي ﷺ فقال النبيﷺ : (لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها؛ من عِظَمِ

حَقِّهِ عليْها)[١٠١]، فلا يجوز لأحد أن يسجد لأحد، إذا كان لا يجوز له أن يسجد للنبي ﷺ فكيف لأحد غيره، وبذلك تعلم ضلال كثير من هؤلاء الذين يسجدون لمشايخهم ولأقطابهم ولأبدارهم، هذا كله من الكبائر، أما إذا خرج مخرج العبادة فهذا كله شرك بالله.

قال: "ولا ينبغي في كلام الله ورسوله وإنما يستعمل للذي في غاية الإمتناع"

يعني يكون ممتنع إما شرعاً وإما أن يكون ممتنعاً قدرا ولهذا قال ﷻ ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢] هذا إمتناع قدري، وقال ﷻ ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩] أيضا وما ينبغي له إمتناع قدري، وقوله ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الفرقان: ١٨] هذا إمتناع شرعي

نعم يستطيع الإنسان أن يتخذ من دون الله أولياء والعياذ بالله فيكون مشركا، ولكن هذا ليس شرعي: المقصود من قوله لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلا الله: أن هذا ممتنع في الشرع.

"ومن الشرك بالله ﷻ الشرك به في اللفظ"

الشرك اللفظي

يقول رحمه الله :"ومن الشرك بالله تعالى المباين لقوله تعالى (إياك نعبد) الشرك به في اللفظ كالحلف لغيره"

يعني أنه رحمه الله ذكر جملة من الأمثلة للشرك الفعلي أو الشرك في الأفعال والآن يذكر جملة من الأمثلة التي تكون جملة في الألفاظ والأقوال.

الحلف

فقال "فقوله (إياك نعبد) الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره" ومعنى الحلف هو توكيد الشيء، كذكر معظم بصيغة من صيغ الحلف مثل أقسم، ولعمري، وأن يقسم بالواو أو بالتاء أو بالباء فهذه كلها صيغ قسم، والمعنى أن يذكر المعظم عنده أي الحالف بصيغة من صيغ القسم فتقسم بالله والله تالله ولعمري، وما شابه ذلك، كما روى الإمام أحمد وأبو داود عن الرسول ﷺ قال (من حلف بغير الله فقد أشرك)[١٠٢]؛ وأبو داود رحمه الله رواه عن طريق الحسن بن عبيد الله عن سعد بن عبيده عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (من حلف بغير الله فقد أشرك) صححه

---

١٠١ الراوي معاذ بن جبل/ المحدث: الألباني/ المصدر: صحيح الترغيب/ الصفحة أو الرقم | 1939 : خلاصة حكم المحدث : حسن صحيح
١٠٢ الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث : السيوطي | المصدر : الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم | 8623 : خلاصة حكم المحدث : صحيح

الحاكم وابن حبان وهذا حديث صحيح والإمام أحمد يحتج به جماعة من الأئمة واحتج به شعبة واحتج به أحمد واحتج به مما يحتج به سفيان الثوري وجماعة من الأئمة كانوا يحتجون به.

قال ابن حبان في كتابه الصحيح الذي هو **التقاسيم**: "أخبرنا الحسن ابن سفيان الشيباني الخرساني -وهو ثقة- حدثنا عبد الله ابن عمر الجحفي -هذا كوفي وهو ثقة وثقه الإمام أحمد ~ وروى عنه جمع من ثقات، مسلم ~ يُخرج عنه- قال حدثنا عبدالرحيم بن سليمان هذا الكناني المروزي -ثقة- قال عن الحسن بن عيلاه النخعي هذا كوفي ثقة، قد يضطرب أحياناً ﷺ في حديثه قال عن سعد بن عبيده -هذا السلمي الكوفي هذا ثقة ويذكرون أنه كان يرى رأي الخوارج ثم رجع عنه هذا ما ذكره أبو حاتم ﷺ- يقول: (كنت عند ابن عمر فحلف رجل بالكعبة فقال ابن عمر ويحك لا تفعل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول من حلف بغير الله فقد أشرك)

فهذا يدل على أن من حلف بغير الله فإنه يكون مشركاً لكن إذا حلف بغير الله معتقداً أن المحلوف به غير مساوٍ لله فإن هذا يكون شركاً أصغر فيكون كبيرة من الكبائر لأن الشرك الأصغر أكبر من الكبيرة، بل إن بعض العلماء يرى أنه لا يُغفر لأن الله ﷻ قال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]؛ فقوله ﷻ ﴿أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ 'أن' هذه وما دخلت عليه فيه تأويل المصدر، يعني إن الله لا يغفر شركاً به، وعليه فإنها تكون نكرة في سياق النفي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ والنكرة في سياق النفي تدل على العموم وهذا يشمل الشرك، ولذلك يجب على الإنسان أن يحذر من الشرك كبيره وصغيره ، فمن الشرك الأصغر أن يحلف بغير الله من غير اعتقاد بأن المحلوف به مساوٍ لله ، أما إذا أعتقد الحالف أن المحلوف به مساوٍ لله فإن هذا يكون شركاً أكبر لأنه جعله لله نداً، فكيف بما إذا جاءه أعظم من الله والعياذ بالله

ولذلك تجد بعضهم لو قلت له أحلف بعليّ ما يحلف كذباً، ولو قلت له أحلف بالله يحلف كذباً، فهذا يدل على أنه يعظم علياً أعظم من تعظيمه لله، لذلك يقول عبدالله بن مسعود ﷺ: (لأن أحلِفَ باللهِ كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلِفَ بغيرِه وأنا صادقٌ)[١٠٣] لأنك إذا حلفت بالله كاذباً هذا كبيرة من الكبائر، أما إذا حلفت بغير الله فهذا شرك ولو كنت صادقاً، والشرك أعظم من الكبيرة وعليه فالحلف بغير الله كقول أحدهم (والنبي - والكعبة - وحياتك) هذا شرك بالله لكنه شرك أصغر، والشرك الأصغر أعظم من أن تحلف بالله كاذباً لأنك إذا حلفت بالنبي ﷺ أو بالكعبة أو بالسيدة زينب أو بعلي صادقا، أعظم في الإثم من أن تحلف بالله كاذباً سواء أن الإنسان يقول (والله أنا فعلت كذا وكذا) وهو كاذب، لأن الثاني أتى كبيرة من الكبائر، والأول أتى شركاً والواجب على الإنسان أن يحذر من هذا الشرك.

١٠٣ الراوي] : وبرة بن عبدالرحمن | [المحدث : الهيتمي المكي | المصدر : الزواجر | الصفحة أو الرقم | 2/184 : خلاصة حكم المحدث : صحيح

كثير من الناس اليوم جاهل بدين الله فينبغي علينا نحن أولاً أن نتعلم دين الله ثم نعلم غيرنا وأن نبين لهم أن هذا يكون شركاً يقول النبي ﷺ (فقد أشرك) ويقول ﷺ (أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ)[١٠٤]: فلا يجوز أن نحلف بغير الله، فالمخلوق لا يجوز أن يحلف إلا بالله، وأما الخالق فله أن يقسم بما يشاء من خلقه ولهذا أقسم الله بالليل والضحى والشمس وغير ذلك لأنه ﷻ يقسم بما يشاء من خلقه وهو ﷻ إذا أقسم بمن شاء من خلقه، فإنه ﷻ يُقسم بالشيء إذا كان عظيماً في نفسه، وإذا كان عظيماً في منفعته فعاد الأمر إليه ﷻ فإنه لما يكون عظيماً فيدل على عظمة مُوجده وخالقه، وعظمة نفعه تدل على عظمة من جعله كذلك فآل الأمر أنه هو ﷻ هو المُعظَّم والمُبجَّل.

أما المخلوق فليس له أن يحلف إلا بالله ﷻ، إذاً الحلف بغير الله هذا من الشرك اللفظي، أما إذا اعتقد أن المحلوف به مساوٍ لله فإن هذا يكون شركاً أكبر يُخرج من الملة والعياذ بالله ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]، (قُلت: أي الذنبِ أعظم؟، قال: أن تجعل لله نِدّاً وهو خلقك)[١٠٥]

قول ما شاء الله وما شئت

قال: "ومن الإشراك قول القائل لأحد من الناس: "ما شاء الله وشئت"، كما ثبت عن النبيﷺ أنه (أنَّ رجلًا قال للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: ما شاء اللهُ وشئتَ فقال لهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: أجعلتني للهِ عدلًا بل ما شاء اللهُ وحدَهُ)[١٠٦]

إذن قوله "ما شاء الله وشئت" هذا من الشرك لأنه قَرَنَ مشيئة النبيﷺ بمشيئة الله، والواجب أن يجعل مشيئة النبيﷺ ومشيئة غيره تابعةً لمشيئة الله، فيقول: "ما شاء الله ثم شئت" أو أن يقول: "ما شاء الله وحده"، وعليه فإن هذا من الشرك اللفظي أن يقول: "ما شاء الله وما شاء فلان" أو "بمشيئة الله وبمشيئة فلان" أو يقول: "بمشيئة الله وإرادة الجماهير سنُقيم هذا المشروع" أو "بمشيئة الله وبمشيئة الرجال المخلصين سنفعل كذا وكذا"، هذا من الشرك، فالواجب أن تقول: "ما شاء الله وحده" أو أن تقول: "ما شاء الله ثم بمشيئة الرجال المخلصين"، فتجعل مشيئتهم تابعةً لمشيئة الله لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]؛ وعليه فالذي يعطف بمشيئة المخلوق بالواو على مشيئة الله ﷻ هذا يكون قد أشرك باللفظ، فإن كان قد قام في قلبه اعتقاد أن هذا المعطوف (الذي عُطِفت مشيئته على مشيئة الله ﷻ) مساوياً لله ﷻ أي أن مشيئته مساويةً لمشيئة الله ﷻ فهذا والعياذ بالله قد أشرك شركاً أكبر، فكيف بمن جعل مشيئة غير الله أعظم من مشيئة الله؟ فهذا لا شك أنه داخل في الشرك الأكبر.

---

١٠٤ الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم | 6108 :خلاصة حكم المحدث : صحيح
١٠٥ الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : أحمد شاكر | المصدر : تخريج المسند لشاكر | الصفحة أو الرقم | 6/196 : خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح
١٠٦ الراوي : عبدالله بن عباس | المحدث : أحمد شاكر | المصدر : تخريج المسند لشاكر | الصفحة أو الرقم | 3/253 : خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح

يقول رحمه الله : "هذا مع أن الله ﷻ قد أثبت للعبد مشيئة فقوله ﷻ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾ [التكوير: ٢٨] فكيف بمن قال: "أنا متوكل على الله وعليك"، أو "أنا في حسب الله وحسْبِك" أو "ما لي إلا الله وأنت" أو "هذا من الله ومنك" أو "هذا من بركات الله وبركاتك" أو "الله لي في السماء وأنت لي في الأرض" إلى غير ذلك من هذه الألفاظ، والعياذ بالله التي تكون على ألسنة كثير من الناس بجهلهم بحق الله ﷻ، فهم يقولون أن جميع هذه الألفاظ إنما هي ألفاظ شركية يجب على كل أحد أن يحذرها وأن يُحذّر منها.

وبعض العلماء يقولون إذا قُلت: "أنا مُتوكل على الله وعليك" فهذا شرك مثل قول "ما شاء الله وشئت"، لكن هم يقولون حتى لو قال: "أنا متوكل على الله ثم عليك" فهذا لا يجوز لأن التوكل عبادة، فحتى لو قال أنا متوكل على الله ثم عليك فإنه شرَّكَ مع الله غيره لأنه صَرَفَ هذه العبادة لغير الله، وعليه فإننا نقول: "أنا متوكل على الله وعليك" هذا شرك لفظي لا لُبس فيه، أما إذا قال: "أنا متوكل على الله ثم عليك" فنقول إذا كان هذا التوكل على جهة العبادة فهذا لا يجوز صرفُه لغير الله، لأن التوكل الحق على الله، قال الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وأما إذا كان يقصد بالتوكل 'التوكيل'، فيقول مثلا متوكل على الله ثم عليك فهو يقصد التوكيل لا التوكل، فالتوكل عبادة، ولكن هذا **توكيل**، فأنا متوكل على الله ثم عليك أي أنني أُنِيبُك وهذا لا حَرَج فيه.

إذن فهذا القول " أنا متوكل على الله ثم عليك" له حالان:

- أولًا: إذا كان يقصد العبادة، أي "ثم إني متوكل عليك" فهذا شرك
- ثانيًا: إذا كان يقصد الإنابة أو التوكيل، فهذا لا يكون شركا، فيجوز للإنسان أن يُوَكِّل غيره كما هو معلوم

وقول الإنسان: "وأنا في حسب الله وحسبك": الله ﷻ قال : ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾ [الزمر: ٣٦]، فحسبي الله أي يكفيني الله، فقول الرجل حينئذٍ حسبي الله وحسبك، أي في كفاية الله وكفايتك، هذا مثل قول:" ماشاء الله وشئت"، فالعلماء يقولون في "حسبي الله" أن هذا الحسب عبادة، فإذا قال "في حسب الله وحسبك" فهذا شرك

فإن قال "في حسب الله ثم في حسبك" بعض العلماء قالوا أن هذا شرك، لأن الحسب عبادة فلا يجوز أن يصرفه لغير الله.

فعلى الإنسان أن يحفظ ألفاظه، ولهذا يقول النبي ﷺ: (وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)[١٠٧]، وقال عليه ﷺ: (إنَّ العبدَ لَيتَكَلَّمُ بِالكَلِمةِ ما يَتَبَيَّنُ فيها، يَزِلُّ بِها في النارِ أبعدَ ما بين المشرقِ والمغربِ)[١٠٨]

حفظ اللسان

كان أبو بكر ﷺ يُمسك بلسان نفسه ويقول: (هذا الذي أوردني الموارد)[١٠٩]، وعن معاذ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (قالَ: ألا أخبرُكَ بملاكِ ذلِكَ كلِّهِ ؟ قلتُ: بلَى ، فأخذَ بلسانِهِ ، فقالَ: تَكُفُّ عليكَ هذا قلتُ: يا نبيَّ اللَّهِ وإنَّا لَمؤاخذونَ بما نتَكَلَّمُ بِهِ ؟ قالَ: ثَكِلتكَ أمُّكَ يا معاذُ وَهَل يُكِبُّ النَّاسَ على وجوهِهِم في النَّارِ ، إلَّا حصائدُ ألسنتِهِم)[١١٠] فالإنسان عليه أن يحفظ لسانه، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]

احـــذر لســـانك أيهـــا الإنســـان .... لا يلـــدغنك أنـــه ثعبـــان
كـــم فـــي المقـــابر مـــن قتيـــل لســـانه .... كانـــت تهـــاب لقـــاءه الشـــجعان

يقول الشيخ: "وَازِن بين هذه الألفاظ الصادرة من غالب الناس اليوم، وبين ما نُهِي عنه من "ما شاء الله وشئت"، ثم انظر أيها أفحش، يتبين لك أن قائلها أولى بالبعد من (إياك نعبد) وبالجواب من النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعل الرسول ﷺ نِدًّا فهذا قد جعل من لا يدانيه الله ندًا"

فإذا قال -والعياذ بالله- "ما شاء عليّ وشئت"، أو "ما شاء الله وشاء علي"، أو "ما شاء الله وشاء الحسين"، أو "أنا بالله وبالحسين"، أو "أنا بالله وبزينب"، أو "دخيل الله ودخيلك"، فهذا كله من الشرك؛ إن كان النبي ﷺ يقول: (أجعلت لله ندا)، فكيف بمن جعل بعض الصحابة والتابعين وتابعي التابعين بل وبعض الفَسَقة الذي اشتُهِر أنهم ماتوا مكذبين مبتدعين مشركين زنادقة، وإذا كان هذا لا يستحقه النبي ﷺ فضلًا عن سائر الأنبياء، فكيف يجعل إنسان ذلك لأُناس معلوم فسقهم وغيُّهُم؟ فالواجب علينا جميعا أن نحذر ونُحذِّر من هذا كله.

ثم قال الشيخ: "وبالجملة فالعبادة المذكورة في قوله (إياك نعبد) هي السجود والتوكل، والإنابة، والتقوى، والخشية والتوبة، والنذر، والحلف، والتسبيح، والتكبير، والتهليل، والتحميد والإستغفار، وحلق الرأس، والدعاء"

وأدخَل حلق الرأس، وفي الواقع هو جمع بين الأقوال والأفعال في هذه الأمثلة، وقد جمع بين الشرك اللفظي وبين الشرك الفعلي.

---

١٠٧ رواه البخاري (٦٤٨٧)
١٠٨ (صحيح الجامع، ١٦٧٨)
١٠٩ رواه مالك (٩٨٨/٢)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٤٠٢/١٠) (١١٨٤١)
١١٠ الراوي : معاذ بن جبل | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح ابن ماجه: الصفحة أو الرقم : ٣٢٢٤ | خلاصة حكم المحدث : صحيح

ثم قال الشيخ: "وفي مسند الإمام أحمد "أن رجلًا أُتِيَ به للنبي ﷺ وقد أذنب ذنبا، فلما وُقِف بين يديه، قال اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، قال فقال ﷺ: (عرف الحق لأهله) " أخرجه الحاكم من حديث الحسن الأسود بن سريع قال حديث صحيح، والواقع أنه ليس حديثًا صحيحًا، لأن الإسناد مُنقَطع؛ يرويه الحسن عن الأسود بن سريع، والحسن رحمه الله لم يسمع من الأسود بن سريع، وفي سند الحديث أيضًا محمد بن مصعب، وهذا وثقه أحمد رحمه الله، ولكن ضَعَّفَه غيره، والأكثر على أنه كثير الغلط، وحتى إن قلنا أنه صَدُوقٌ، لا بأس به فالحسن لم يسمع من الأسود بن سريع وبهذا يكون الخبر مُنقطعًا.

والمعنى أنه لا يجوز لأحد أن يُشَرِّك غير الله بالله ولو كان باللفظ، فإن هذا قد سَمَّتهُ النصوص شركًا، مثل قوله ﷺ (أجعلتني لله ندا)، وقوله: (من حلف بغير الله فقد أشرك)، والواجب أن يحفظ الإنسان لسانه، ويحذر من مَغَبَّة ما يكون سائقًا له إلى عذاب الله والعياذ بالله.

"واعلم أن للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرائق وهم بذلك أربع أصناف"

أصناف الناس في منفعة العبادة

أي هم نفاة الحكم الذين يردون الأمر لنفس المشيئة وصرف الإرادة: فهؤلاء عندهم القيام بها ليس إلا لمجرد الأمر، أي أن هذه العبادة التي من أجلها خلق الله ﷻ الخلق كما قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]: يقول الناس في حكمتها ومقصودها وهي التي تسمى عند علماء المنطق والفلسفة: العلة الغائية أو ما يسمونه بالإنجليزية: Teleology، فهم يقولون أن المعدوم حينما يحصل وحينما يوجد فلابد له من أمور أربعة:

- المادة: لابد له من المادة وهي ما منه يوجد؛
- العلة: ولابد له كذلك من العلة، وهذه العلة إما أن تكون علة غائية وإما أن تكون علة فاعلية؛
- الشكل؛
- الصورة.

فهذه أمور أربعة يقولون أنها موجودة في القرآن، لأن الله ﷻ قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: ١١]، فيقولون هذا فيه ما من أجله أو ما منه يكون المعدوم موجودا، لأن المادة وجدت، والشكل والصورة وجدا، والعلة الفاعلية موجودة، والعلة الغائية كذلك ستكون موجودة فهو يقول رحمه الله: "أن للناس في الغاية من العبادة أو في المقصود منها لهم فيها أربعة أقوال أو أصناف" انتهى

نفاة الحكم والتعليل: الجهمية

يقول: "الصنف الأول نفاة الحكم والتعليل"انتهى، ثم وصفهم بقوله: "الذين يردون الأمر إلى نفس المشيئة أو صرف الإرادة"انتهى، يقصد بهؤلاء نفاة الحكم والتعليل، وهذا غالب على أهل التجهم (الجهمية): وهم أتباع **الجهم بن صفوان** ومن وافقه من الأشعرية، ومن الكلابية، والماتريدية، ومن الحارثي، والقلانسية الذين اصطلح على تسميتهم بالصفاتية.

هؤلاء يقولون أن الله ﷻ أمرنا ونهانا لمجرد المشيئة، كما عبر هو لصرف الإرادة، يعني لأن الله أراد فقط، لا أنه أراد لغاية أو لأنه أراد لحكمة: لأنهم ينفون الحكمة والتعليل ويقولون أن الذي يفعل لغاية هذا يكون نقصا فيه

فهم يريدون أن ينزهوا الله ﷻ، فإذا كان كذلك ننفي عنه الحكمة في أفعاله -تعالى الله عما يقولون- لكن المهم أن هؤلاء الأشعرية وأضراب هؤلاء الذين تبعوا جهما في هذا الباب يقولون أننا لاننفي الحكمة والتعليل

ولهذا فصل الشيخ رحمه الله بقوله "من غير أن يكون سببا للسعادة بمعاش ولا معاد ولا سببا لنجاة وإنما القيام بها لمجرد الأمر ومحض المشيئة"انتهى

يقول كما قال في الخلق لم يخلق لغاية ولا لعلة هي المقصودة به، ولا لحكمة تعود إليه منه إلى آخره، ولهذا يقول الشيخ إذن الأمر عندهم سواء، لا فرق بين الخلق والأمر، ولا فرق في نفس الأمر بين المأمور وبين المحكم.

يعني هم يقولون: لو أن الله أمرنا بشرب الخمر وحرم علينا شرب عصير العنب فإن هذا جائز، ولا فرق عندهم بين الرجيع وبين المسك، ولا فرق عندهم بين النمرود وبين إبراهيم عليه السلام، ولا فرق عندهم بين فرعون وبين موسى عليه السلام، وإنما الشرع هو الذي دل على أن هذا أفضل من هذا، وعليه فإن قوله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ﴾ [القصص: ٦٨]، وقوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]، عندهم أن هذا الإصطفاء وهذا الإختيار لمجرد المشيئة، وعليه فإنهم ينفون الحكمة والتعليل، وأفعال الله عندهم هي أفعال لا لحكمة، وإنما نفس إرادته هي الحكمة.

التكليف عند نفاة الحكم

ولهذا يقول الشيخ رحمه الله: "ولكن المشيئة اقتضت أمره بهذا ونهيه عن هذا"انتهى إلى أن قال الشيخ: "وهؤلاء لا يجدون حلاوة العبادة ولا يتنعمون بها"انتهى، ولهذا يسمون الصلاة والصيام والزكاة والحج والتوحيد والإخلاص وما نحو ذلك تكاليف، أي أنهم كلفوا بها، والتكليف معناه عندهم هو الإلزام بما فيه مشقة.

والصحيح أنه يجوز لنا أن نسمي التكاليف تكاليفا ولو على معنى الإلزام بما فيه مشقة، ولكن الصواب في تعريف التكليف: أنه خطاب بأمر للتوجيه، هذا أحسن من تعريفه "الإلزام بما فيه مشقة"

فعندنا الآن مسألتان:

- المسألة الأولى: وهي تعريف التكليف، لأنه لا بد للعبد حتى يكون مخاطبا بالشرع أن يكون مكلفاً، ثم يقولون أن معنى التكليف هو: الإلزام بما فيه مشقة، ثم يورد عليهم: كيف تسمون التكاليف الإلزام بما فيه مشقة، والعبادات ما بها مشقة، فالنبي ﷺ يقول عن الصلاة: (أرحنا بها يا بلال)[١١١]، والله ﷻ يقول ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١-٢]؛ فهم يقولون: كيف نقول أن التكليف إلزام بما فيه مشقة؟ وهذا التعريف يصح إن كان قاصراً، لأن النبي ﷺ يقول: (حُفَّتِ الجَنَّة بالمَكارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ)[١١٢]، فالجنة محفوفة بما يكون مكروهاً للنفس، ولهذا قال النبي ﷺ:(ألا إن سلعةَ اللهِ غاليةٌ)[١١٣]، وقال الله ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦]

ولهاذا لا منافاة بين حصول الأمر والنهي، وبين أن يكون شاقاً، ولكن الله ﷻ يأمرنا بما يكون شاقاً، ولكننا نطيقه، كما قال ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال أيضا: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ [الطلاق: ٧]، وعليه فإن الله ﷻ يكلفنا بما نطيق وإن كان شاقاً لما يترتب عليه من المصالح، فإن المصالح التي تترتب عليه تربو على هذه المشقة التي تحصل معه تعبا، لا أنها تحصل قصداً.

- المسألة الثانية: أننا نقول أن معنى التكليف: أنه خطاب بأمر الندب، لأنك إن قلت أن معنى التكليف هو إلزام، خرج بذلك الندب، وخرجت كذلك الكراهة، لأن الندب هو خطاب من غير إلزام.
  - الندب: طلب فعل من غير إلزام
  - الكراهة: هي طلب ترك من غير إلزام

فإذا قلت بأن التكليف هو الإلزام خرج بذلك الحكم التكليفي الذي هو الندب وخرج بذلك الحكم التكليفي الذي هو الكراهة، وعليه فالأحسن في تعريف التكليف أن نقول: هو خطاب بأمر أو نهي ومعنى الخطاب هو توجيه الكلام إلى الغير ليفهمه ثم تارة يكون هذا الأمر أمر إيجاب وتارة يكون أمر إستحباب، والنهي تارة يكون نهي تحريم وتارة يكون نهي كراهة، وأصوب القولين أن الإباحة ليست حكماً تكليفياً لأنه ليس فيها خطاب بأمرٍ أو نهي، وإنما هي لا أمر ولا نهي فتبقى على الأصل لا يخطاب فيها

---

١١١ الراوي : سالم بن أبي الجعد | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح أبي داود | الصفحة أو الرقم | 4985 : خلاصة حكم المحدث : صحيح
١١٢ الراوي : أنس بن مالك | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم | | 2822 : خلاصة حكم المحدث: صحيح
١١٣ الراوي] : أبو هريرة | [المحدث : ابن باز | المصدر : مجموع فتاوى ابن باز | الصفحة أو الرقم | 279/7 : خلاصة حكم المحدث : إسناده حسن|

المقصود إذن أن هؤلاء لما أنكروا الغاية التي من أجلها خُلق الخلق والتي من أجلها أوجب الله العبادة، صاروا لا يتنعمون بالعبادة وصاروا يسمونها تكاليفا على الوجه الذي تحصل به مشقة، وقال بعض هؤلاء أننا إذا سميناها تكاليفا لا نقصد بها حصول المشقة، وإنما هي من كلف يكلف، ويكلف بالشيء أي أنه يُحبه وبلغ في المحبة غايته فالذي يُحب محبة عظيمة هذا يكون قد كلف بالشيء.

والمقصود أن هؤلاء لم يروا في أمر الله ﷻ بالعبادة حكمة ولا غاية ولا علة وإنما جعلوا العبادة حسنة من جهة أن الشارع أمر بها: يعني لو أن الله ما أمرنا بالصلاة ولا بالزكاة ولا بالصيام ولا بالحج ولا ببر الوالدين ولا بالدعوة إلى الله ولا بالتعلم ولا بالجهاد في سبيل الله ولا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما أشبه ذلك، لو أن الله ما أمرنا بهذا فإن كل هذه الأفعال ليس فيها حُسن في نفسها وإنما المشيئة مجرد المشيئة، فالله أمرنا بهذا ونهانا عن هذا أكسبها الحسن ومعلوم أن هذا باطل ويأتي مزيد بسط عليه في شرح العقيدة الطحاوية.

القدرية

وهم الذين يثبتون نوعاً من الحكمة والتعليل: لا يقوم بالرب ولا يرجع إليه بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته: فعندهم أن العبادات شرعت أثماناً لما ينالُ العباد من الثواب والنعيم وأنها بمنزلة إستيفاء الأجير أجره، قالوا ولهذا يجعلها ﷻ عوضاً كقوله: ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وفي الصحيح: (إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا)[١١٤] قالوا وقد سماها جزاءً وأجراً وثوابا لأن أي شيء يثاب العامل من عمله أن يرجع إليه.

ملخص هذا: أن القدرية بإيذاء الجبرية: وهؤلاء أول من يدخل فيهم من المليين المعتزلة، الذين قالوا بالتحسين والتقبيح العقليين، وبوجوب فعل الأصلح على الله ﷻ فهؤلاء قالوا أننا نثبت العلة الغائية ولكنهم إذا أثبتوا العلة الغائية لا يجعلون الفعل هذا لله، لأنهم يجعلون بعض الخلق خارجاً عن ملك الله وعن تدبيره فيجعلون العبد هو الذي يخلق فعل نفسه كما ذكر ذلك غير واحد منهم، كعبدالجبار في (الأصول الخمسة)، وكذلك من قبله أبو القاسم الكعبي في كتابه (مقالات الإسلاميين) وغير هؤلاء.

المقصود إذن أنهم وإن أثبتوا تعليلاً وحكمة، لكنهم يجعلون فعل الله، وأمر الله، ونهي الله ﷻ كله مبنيا على أن هذا واجب عليه، يجب عليه أن يفعل ذلك، ويحرمون عليه ألا يفعل خلاف ذلك، لأنهم يجيبون عليه فعل الأصلح، يجيبون على الله بعقولهم.

---

١١٤ الراوي : أبو ذر الغفاري | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم | 2577 :خلاصة حكم المحدث: صحيح

باء العوض عند القدرية

ولهذا يقولون ويستدلون بهذه الآيات: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] فيجعلون الباء هذه بما كنتم تعملون، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾ [الزمر: ١٠]، (إنما هي أعمالكم أحصيها لكم)، وفي مثل قوله ﷻ: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة: ١٧]، وقوله ﷻ: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]

فيجعلون الباء في مثل هذه الآيات باء العوض، وباء الثمن، باء المعاوضة، مثلما تقول أنت اشتريت هذا الخبز بجنيه، أو اشتريت هذا الخبز بأربعة جنيهات، إذا قلت أنت ذلك فإن الباء هذه باء المعاوضة وباء الثمن: فهم يقولون أن هذه الباء جاءت فدلت على أن الأعمال أو على أن الناس يعاوضون بأعمالهم، فنحن إذا صلينا استحققنا وجوباً على الله أن يجزينا ثواب الصلاة، وإذا صمنا كذلك وإذا زكينا كذلك وإذا حججنا وإذا بررنا بوالدينا وإذا علمنا وتعلمنا ودعونا وما شابه هذا.

يقولون: يجب على الله أن يرد إلينا عوض هذا الذي فعلناه، لأنه –وفقهم- العبادات لها غايات، وإذا كانت لها غايات ثم فعلت أنت العبادة التي من أجلها حصلت الغاية، فيقبح بالباري عندهم -تعالى الله علوا كبيرا- يقول "فيقبح بالباري ألا يجازيك على ذلك"، وعليه فإنهم يوجبون على الله ﷻ هذه المعاوضة.

وإلى أن قال الشيخ ﷺ: "قالوا يدل عليه الموازنة"انتهى، يقول هاتين الطائفتين متقابلتين، يعني يقصد الصنف الأول والصنف الثاني، ويقول: "فالجبرية لم تجعل الأعمال ارتباطا بالجزاء"انتهى: ولهذا عندهم مثلما ذكر الشيخ "جوَّزت أن يعذب الله من أفنى عمره في الطاعة، وينعم من أفنى عمره في مخالفته"انتهى

يعني عند هؤلاء الجبرية لو أن الله أدخل فرعون الجنة وأدخل موسى النار، لما كان هذا قبيحا منه ولو أن الله ﷻ عذب محمدا ﷺ وأصحابه، ونعم أبا جهل وأصحابه لما عد منه ذلك قبيحٌ، فهؤلاء يجيزون على الله ﷻ أن يفعل القبيح، لأنه لا قبيح عندهم ولا حسن إلا ما جاء به الشرع فقط، ولذلك فإنهم لا يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين.

قال: "وكلاهما سواء بالنسبة إليه والكل راجع إلى محض المشيئة"انتهى

وأما أولئك الذين هم القدرية والمعتزلة ومن ضاهاهم، فهؤلاء يوجبون عليه ﷻ رعاية المصالح، فهم يقولون يجب عليه أن يفعل كذا، يجب عليه أن يفعل الأصلح، يعني يوجبون عليه بعقولهم القاصرة أن يفعل كذا، ولو لم يفعل كذا لكان ظالما ولو لم يفعل كذا لكان قبيحا وما شابه ذلك.-حاشاه ﷻ-.

إلى أن قال الشيخ رحمه الله "فجعلوا تفضله سبحانه على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد وإعطائه ما يعطيه أجرة على عمله أحب إلى العبد من أن يعطيه فضلا منه بلا عمل، فهؤلاء والذين لم يجعلوا للأعمال تأثيرا في الجزاء البتة والطائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم"انتهى، ولذلك فإن كِلاَ طرفي قصد الأمور ذميم، والواجب علينا جميعا أن نكون أمة وسطا، يعني خيارا عدولا كما قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]

ولذلك تجد أن أهل السنة في الفرق كأهل الإسلام في الملل والأديان، فهم وسطٌ بحمد الله ﷻ، وسطٌ بين الإفراط والتفريط، بين الغُلُو والجفاء، فهم يثبتون الأسباب ولكنهم لا يقولون أنها فاعلة بنفسها ولكنها تفعل لأن الله ﷻ أرادها كذلك، فهم وسطٌ بين المرجئة والخوارج، وبين القدرية والجبرية، فهم وسط بين الناس لأنهم يعتصمون بحبل الله ﷻ، كما قال الله ﷻ:﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ولهذا قال الشيخ رحمه الله في الفقرة التالية: "وتأمل قوله ﷻ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢﴾ [الزخرف: ٧٢] مع قوله ﷺ:(لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ)[١١٥] ، تجد الآية تدل على أن الجنان بالأعمال، والحديث ينفي دخول الجنة بالأعمال، ولا تنافي بينهما، لأن توارد النفي والإثبات ليس على حال واحد، فالمنفي باء الثمنية واستحقاق الجنة بمجرد الأعمال هو رد على القدرية المجوسية التي زعمت أن الفضل بالثواب ابتداءً مُتَضَمِّن تنقيصًا، والباء المُثبِتة التي وردت في القرآن هي باء السببية ردّاً على القدرية والجبرية، الذين يقولون أنه لا ارتباط بين الأعمال وجزائها، ولا هي أسباب لها، إنما غايتها أن تكون أمارة"انتهى

وملخص ذلك: أن الباء في قوله ﷻ ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] أو ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩] وما أشبه ذلك، فهذه الباء هي باء السببية أما الباء المنفية في قوله ﷺ: (لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ)[١١٦] فهي باء العِوَض، فالإنسان لو قام ليله ونهاره وعَبَد الله ﷻ ليلا نهار فإنه لن يوفي حق نعمة من نعم الله ﷻ عليه، ولهذا فإنه لا أحد منا يدخل الجنة عِوَضًا عن أعماله، وإنما ندخل الجنة بفضل الله ﷻ ورحمته، وإنما هذه الأعمال هى أسبابٌ لِنَيل رحمته وبهذا لا تتعارض الآيات مع الحديث.

معتبرو العبادة رياضة للنفوس

قال الشيخ رحمه الله: "الصنف الثالث الذين زعموا أن فائدة العبادة رياضة النفوس، واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها، وخروج قواها من قوى النفس السَبُعية والبهيمية..."إلى أن قال: "ولو عُطِّلت العبادة لالتحقت بنفوس السباع والبهائم، فالعبادة تخرجها إلى مشابهة العقول، فتصير قالبة لانتقاش صور المعارف عليها"

---

١١٥ الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم : ٢٨١٨ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] | التخريج : أخرجه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨)

١١٦ الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم : ٢٨١٨ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] | التخريج : أخرجه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨)

وهما طائفتان:

- أحدهما من الفلاسفة القائلين بقِدَم العالم، وعدم الفاعل المختار؛
- والثانية من تفلسف من صوفية الإسلام، ويقرب إلى الفلاسفة، فإنهم يزعمون أن العبادات رياضات لإستعداد النفوس للمعارف العقيلة ومخالفة العوائد.

فهذا هو الصنف الثالث: الذين يقولون أن العبادات مقصودها تهذيب النفوس ورياضتها وتحسين أخلاقها وترقية سلوكها، فهذا مقصودهم من العبادة لا أن الذي يحمله على العبادة غاية الذل لله وغاية المحبة له ﷻ، وإنما هو يعبد الله لأن هذا من ترويض النفوس وهذا مثل ما يُسمى الآن باليوجا، فهي طقوس وتراتيل وشعائر، المقصود بها الروحانيات وتهذيب النفس والروح، وتحقيق التوازن النفسي والرضا الداخلي وما أشبه هذه العبارات.

الأفلاطونيون والغنوصيون

هؤلاء ذكر الشيخ رحمه الله بأن الذين يقولونه ما يقوله إلا صنفان من الناس، الأول ما يقرب من الإسلام والشرائع من الثلاثة، هؤلاء من يسمون بالأفلاطونية الحديثة، ومن يسمون كذلك بالغنوصية، الذين يقولون إن العبادات تساعد على الإلهام وعلى الكشف وعلى الإتصال الروحي.

المتصوفون

هناك نوع آخر ممن انتسب إلى الإسلام ويفهم معنى العبادة على هذا الوجه، وهم الذين تفلسفوا من الصوفية المنتسبين إلى الإسلام، فهؤلاء يقولون: إن المقصود بالعبادة ترويض النفوس وتهذيب الأرواح وما أشبه ذلك، هذا مثل الذي يقوله ابن سبعين وابن عربي والحلاج والسهروردي وصاحب خلع النعلين الذي صنف كتابًا سماه **(خلع النعلين)**، وهذا قد تجده في بعض كتب الغزالي ككتاب **(مشكاة الأنوار)**، تجده يذكر هذه المعاني، وبعض الأحيان حتى يذكره في كتاب **(إحياء علوم الدين)**.

- الإمام الغزالي: فهو يذكر أن هذا هو الغاية من العبادة وإن كان هو رحمه الله آخر حياته ـ أعني الغزالي ـ آل في آخر حياته إلى معرفة الحديث والتمسك به، لأنه صنف كتاب (إحياء علوم الدين) و(مشكاة الأنوار) وهذه في المرحلة التي هو سماها المنقذ من الضلال؛ لأنه قال وجدت أن المنطق لاينفع في العلوم، ووجدت كذلك أن الفلسفة لا تنفع في العلوم، وأن النقل الشرعي لا يكون كذلك نافعًا في العلوم لكثرة الخلاف، وأن المعرفة لا تُنال إلا بالكشف والإلهام ـهو الآن في مرحلة المنقذ من الضلالـ لأن العقل معصوم والنقل هذا عندنا فيه الأفهام مختلفة، فهو عنده أننا ننالـه بالكشف، فهذا هو الذي قاده إلى

التصوف لما كان ﷺ في هذه المرحلة مرحلة التصوف، ولذلك صنف مثل هذه الكتب كمشكاة الأنوار وإحياء علوم الدين، المقصود هو أن من جاء بعده كابن عربي وابن سبعين والحلاج والسهروردي هم الذين يقولون بمثل هذا، أن الغاية من العبادات ترويض النفوس وتهذيبها وصقلها هذا هو الغرض منها.

يقول الشيخ: "ثم من هؤلاء من لا يوجب العبادة إلا من هذا المعنى فإن حصل لها ذلك بقي متحيرا بحفظ الأوراد والإشتغال بالوارد عنها ومنه من يوجب القيام بالأوراد وعدم الإخلال بها"انتهى وهما صنفان كذلك:

- أحدهما: يقول حفظًا للقانون وضبطًا للناموس؛
- والآخرون: يوجبونها، حفظًا للوارد وخوفًا من تدرج النفس في حال مفارقته إلى الحال الأولى من البهيمية.

فهذه نهاية إقدام، يعني أن هؤلاء ممن انتسب إلى الإسلام وكان قد تفلسف ـ قالوا بأن هذا هو المعنى من العبادات، يعني معنى العبادة هو التصفية، أي أنها لاتكون واجبة إلا لحدوث التصفية والتهذيب والتزكية والترويض، فإذا بلغت ذلك فحينئذ هل تجب عليه العبادة أو لا؟ فبعضهم يقول أصبحت منفعلا لما يختاره مني فهذا كله طاعات، فبعضهم يقول: سقطت التكاليف وانتهت العبادة، لأنني قد حققت غايتها، ووصلت إلى غايتي فما الغرض منها؟

ولهذا يقول الشيخ ﷺ: "منهم من يوجب القيام بالأوراد وعدم الإخلال بها"انتهى، أي منهم من قال أننا نستمر على ما نحن عليه من هذه العبادات، وهؤلاء منهم من يقول بوجوب الإستمرار على المحافظة على هذه العبادات والطقوس والأوراد والشعائر، وذلك لوجوب حفظ القانون الذي يسير عليه الإنسان والإطراد فيه.

وقسم آخر يقول: نحن نوجبها حفظاً للوارد، لأن الوارد هو الذي يهجم على الإنسان وعلى القلب من غير تأمل ولا تفكر، فلو أنك تركت العبادة والطقوس والشعائر، فمع الوقت يقل تمكن التهذيب في النفس، فتتدرج إلى أن ترجع إلى حالتها الأولى وهي الحالة السَبُعية (الحالة البهيميَّة)، ولهذا فإنهم يقولون: إننا لا نوجبها إلا من أجل ذلك، لا من أجل طاعة الله وعبادة الله وفعل ما يحبه الله و يرضاه

ولذلك يقول الشيخ ﷺ: "هذه نهاية إقدامهم في حكمة العبادة وما شرعت لأجله، ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق من هذه الطرق الثلاثة أو مجموعها"انتهى

يعني أن الشيخ ﷺ يقول أن الناس الذين تكلموا في الغاية من العبادة وفي الحكمة منها على ثلاثة أصناف فمنهم:

- من نفاها أي نفي الحكمة والتعليل مثل الجبرية (الجهمية)، ومن حذا حذوهم من الكلّابية[١١٧] ومن الأشعرية و من بعض الماتريدية[١١٨] وكذلك القلانسية[١١٩] والمحاسبية[١٢٠].
- من أوجبها مثل المعتزلة الذين أوجبوا الحكمة والتعليل على الله إيجاباً، وأوجبوا عليه ﷻ فعل الأصلح وأن العبد يُعاوَض على عمله وجوباً.
- الصنف الثالث الذي قال أن الغرض من العبادات هو تهذيب النفوس وصلاحها فمتى حصل ذلك فقد حصل المقصود.

لكن إذا حصل المقصود فهل يجب عليه أن يستمر (في العبادة) أم لا؟ هم على قولين:

- فمنهم من قال أنه لا يجب عليه بل إن التكاليف قد سقطت لأن الغرض قد حصل.
- ومنهم من قال بل نقول بوجوبها.

ثم إنهم قد اختلفوا في سبب الوجوب:

- فمنهم من قال أن سبب إيجابها هو طرداً للقانون ومحافظة على الناموس.
- ومنهم من قال أننا نقول بوجوبها خشية أن ترجع النفس إلى ما كانت عليه أي إلى الحالة البهيمية "Bestiality"

فهذا هو منتهى أقوال الناس، فلو فتحت كتب المتكلمين من أشاعرة وغيرهم فلن تجد من الأقوال إلا ما هو راجع إلى هذه الأمور الثلاثة، وهم عندهم قليل من الحق يشوبه الكثير من الباطل، بحيث أنه بالكاد يتميز الحق الذي عندهم، و لذلك فإن الصفو الخالي من الكدر هو ما كان عليه أهل السنة والجماعة، في هذا الباب وفي جميع الأبواب.

---

١١٧ ظهرت هذه الفرقة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وأشهر رجالها ابن كلاب: وهو أبو محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب القطان البصري، رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، وإليه تنسب فرقة الكلابية .يقول شيخ الإسلام عنه: "وابن كلاب إمام الأشعرية أكثر مخالفة لجهم، وأقرب إلى السلف من الأشعري نفسه"

١١٨ فرقة كلامية بدعية ، تُنسب إلى أبي منصور الماتريدي ، قامت في أصل أمرها : على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاججة خصومها ، من المعتزلة والجهمية وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية. لا يقال عن متبع عقيدة الماتريدية : إنه سيدخل الجنة ، ولا سيدخل النار ، بل هم من عامة المسلمين كغيرهم ، وإن كانوا قد قالوا بمقالات مبتدعة ، لكن بدعتهم ليست مكفرة ، فهم ، في سائر أحوالهم ، كغيرهم من المسلمين .

١١٩ أبو العباس القلانسي:هو أحمد بن عبدالرحمن بن خالد القلانسي الرازي.لا يعرف متى ولد ولا متى توفي، فأخباره قليلة، وقد وصفه البغدادي بإمام أهل السنة الذي زادت تصانيفه في الكلام على مائة وخمسين كتاباً، وقد صرح شيخ الإسلام بمتابعته لابن كلاب، وأنه نصر مذهب السلف

١٢٠ من الفرق الصوفية، تنسب إلى الحارث المحاسبي، و أساس مذهبه يقوم على الرضا، و كان يهتم بدراسة الوساوس و الخطرات و دقائق النفوس، و قد ذمه الإمام أحمد على ذلك.

أهل السنة والجماعة

ولهذا قال الشيخ: "والصنف الرابع القائلون بالجمع بين الخلق والأمر، والقدر والسبب، فعندهم أن سر العبادة وغايتها مبني على معرفة الحقيقة الإلهية"انتهى

أقول أن الصنف الرابع وهم أهل السنة والجماعة الذين قالوا بالجمع بين الخلق والأمر كما قال ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] وبين القدر والسبب، ولذلك قال الشيخ: "فعندهم أن سرّ العبادة وغايتها مبني على معرفة الحقيقة الإلهية، ومعنى كونه سبحانه إلها وأن العبادة موجب الإلهية وأثرها ومقتضاها، وارتباطها بها كارتباط بما يتعلق من الصفات بالصفات، وكارتباط المعلوم بالعلم، والمقدور بالقدرة، والأصوات بالسمع والإحسان بالرحمة والعطاء بالجود، فعندهم من قام بمعرفتها على النحو الذي فسرناها به لغة وشرعا، مصدرا، وموردا، استقام له معرفة حكمة العبادة وغايتها"انتهى

فملخص كلام الشيخ رحمه الله أنه يقول أن الطائفة الرابعة الذين علموا أنه ﷻ لم يخلقهم هملا وإنما خلقهم لغاية كما قال الله ﷻ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦]

يقول الشافعي رحمه الله: "لا يؤمر ولا ينهى" وجاء عن بعض السلف كذلك أنهم قالوا: "لا يبعث"، هذا جاء عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي أنه قال: "لا يبعث" والمعاني التي جاءت عن السلف في تفسير قوله ﷻ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦] معنيين:

- جاء عن مجاهد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وعن الشافعي أنهم قالوا: "لا يأمر ولا ينهى سُدًى"
- وجاء عن بعضهم: "لا يبعث"

والمعنى حينئذ أن هؤلاء الذين ظنوا بالله ظن السوء، أن الله ﷻ خلقهم مهملين، فلا يُأمرون ولا يُنهون، وهم كذلك سُدًى لا يبعثون؛ هذا من العبث، فالله ﷻ منزه عن ذلك، وهو لما خلق خلقهم وأمرهم ونهاهم، وهو ﷻ يبعثهم ليجازيهم على ما أمرهم وعلى ما نهاهم ﷻ، ولذلك فالعبد مأمور منهي في هذه الدنيا.

إذا قال قائل أنا حر، نقول أنت حر من حيث كونك عبد، فأنت لا تعبد إلا الله ولا يأمرك إلا الله، لا ينهاك إلا الله، وإن أمرك غير الله وإن نهاك غيره، فإن كان في ذلك مخالفة لما أمر الله به ونهى عنه فإنك لا تطيعه.

هذا هو معنى أن يكون العبد حرا، حيث كان عبدا لله، وهو إذا علم ذلك فإنه يعلم أنه محشور إلى الله ﷻ، مبعوث ليقف بين يدي الله كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]

وإذا بعث الإنسان، فإن هذا البعث بعده حساب، وبعد الحساب جزاء، وبعد الجزاء جنة أو نار، فالعبد يعلم ذلك أنه ما خلق سُدًى ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] ما هذا الظن الفاسد، الذي يظنه الإنسان حيث ظن أن ربه خلقه، وحيث أثبت أنه خلقه، وأنه أوجده من العدم ثم هو يعتقد أنه لا يأمره ولا ينهاه، وأنه إذا أمره ونهاه لا يبعثه.

وحينئذ فأهل السنة الذين هم أهل الحق والذين هم أهل الإسلام المحض الصرف، هؤلاء يقولون أن الله خلقنا فأمرنا ونهانا، وهو إذا أمرنا ونهانا فإنه ﷻ يبعثنا ليجازينا على ذلك، ثم الله ﷻ إذا أمر ونهى فإنه ﷻ يأمر وينهى لحكمة، لأنه تبارك وتعالى حكيم عليم: فأفعاله ﷻ دائرة بين الحكمة والرحمة والعلم ﷻ، ولذلك من مجموع ما يحصل العدل ويحصل الفضل منه ﷻ.

فهذا هو ما يقوله أهل السنة والجماعة، وذلك في مسألة التحسين والتقبيح العقليين ملخصها أننا نقول أن أهل السنة والجماعة يقولون بالتحسين والتقبيح العقلي، لكنهم يقولون أن التحسين والتقبيح العقلي لا على جهة الوجوب، لا يجيبون.

أما المدح والذم والثواب والعقاب هذا متوقف على الشرع يعني أن العقل يدل في الجملة على حسن الشيء، ويدل في الجملة على قبحه، لكن المدح والذم، أي مدح الفاعل وذم التارك الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة هذا لابد فيه من الشرع.

مثال: العقل يدل على قبح السرقة لكنه يدل عليها في الجملة، ولكن تفصيل السرقة ما معنى السرقة ؟ ما معنى المال المسروق؟ ما مقدار المال المسروق؟ هذا إلى الشرع: فالشرع هو الذي يقول أن السرقة هي المال المحترم شرعا المأخوذ من حرز مثله من غير شبهة، هذا جاء به الشرع ثم الثواب والعقاب في الدنيا والثواب والعقاب في الآخرة، هذا لابد فيه من الشرع؛ قدرنا الآن وعلمنا أن هذه سرقة، ما هو عقاب السارق؟ هل يسجن؟ هل يجلد؟ هل ينفى؟ هل يغرم؟ ماذا يصنع به؟

الشارع هو الذي يبين حكمه؛ فالعقل لا يستقل بالتحسين والتقبيح، بل لابد له كذلك من الشرع، بحيث أنه يبين تفاصيل ما دل العقل في جملته على حسنه أو ما دل العقل في جملته على قبحه، فالشرع يجيء ليؤكد قبح ما دل عليه العقل إما فعلا وإما تركا، ثم يجيء الشرع، كذلك بالمدح والذم والثواب والعقاب.

ولذلك المدح والذم والثواب والعقاب هذا إلى الله ﷻ، ولهذا أخرج الإمام أحمد ﷺ في كتابه المسند وغيره أن **عيينة بن حصن الفزاري** كان عند حُجَر النبي ﷺ وكان ينادي النبي ﷺ وهو في بيته وكان النبي ﷺ لا يجيبه، وكان مشتغلا بأمره لما كان في حجرته، فقالَ: "يا محمد إنَّ حمدي زينٌ وإنَّ ذمِّي شينٌ"، فقال النبي ﷺ: (ذاكَ اللَّهُ

عزَّ وجلَّ)[١٢١] أي ليس أنت الذي مدحك زين وذمك شين، هذا الله ﷻ، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]

ثم قال الشيخ رحمه الله: "وإذا تأمل لبيب الفرق بين هذه الأقوال وبين ما دل عليه صريح الوحي قال أعلم أن الله ﷻ خَلَق الخلْق لعبادته الجامعة"، ثم قال الشيخ رحمه الله "وإذا كانت المحبة له هي حقيقة العبودية" هذا كله بحمد الله ﷻ قد تقدم لنا الكلام عليه

طاعة شخص ظنا أنه يقول ويفعل ماقاله ﷺ

المقلد المعذور

ثم قال الشيخ رحمه الله: إذا علم انتفاء المحبة عند انتفاء متابعة الرسول ﷺ "لكن قد يشتبه الأمر على من يقدم قول أحد وحكمه وطاعته على قوله، ظنا منه أنه لا يأمر ولا يحكم ولا يقول إلا ما قال الرسول ﷺ فيطيعه"

يقول: "هذا معذور إذا لم يقدر على غير ذلك، وأما إذا قدر على الوصول إلى الرسول ﷺ وعرف أنه غير من اتبعه به مطلقا أو في بعض الأمور كمسائل معينة ولم يلتفت إلى قول الرسول ﷺ ولا إلى من هو أولى به فهذا يخاف عليه، وكل ما يتعلل به من عدم العلم وعدم فهم أو عدم إعطاء آلة الفقه في الدين والإحتجاج بالأشباه والنظائر أو بأن ذلك المتقدم كان أعلم بمراده ﷺ، فهي كلها تعللات "انتهى

الذي يريده الشيخ رحمه الله إن من الناس من يعتقد في متبوعه أنه لا يقول ولا يفعل إلا ما قاله الرسول ﷺ وفعله، وعليه فهو عنده إذا قال بقول متبوعه أو فعل ما يفعله متبوعه هو عنده لم يقم ولم يفعل إلا ما قاله الرسول ﷺ، وذلك لاعتقاده في متبوعه يعني أن هذا مقلد اعتقد في إمامه وفي متبوعه، هذا أنه متبع للرسول ﷺ فصار يتبع متبوعه في كل ما يقول ويفعل ظناً منه أن لا يقول ولايفعل إلا ما قاله وفعله رسول الله ﷺ.

يقول الشيخ رحمه الله "هذا معذور إذا لم يقدر على غير ذلك، وهذا يكون المُقلِّد"

المقلد هو الذي يقبل قول الغير ولا يبحث عن من قاله، وهنا نقول في تعريف المقلد كما هو تعريف كثير من الأصوليين "إن المقلد هو من يقبل قول الغير من غير حجة" وهذا التعريف قاصر ولو قيل أنه خطأ لتوجه، وإنما المقلد هو الذي يقبل قول الغير ولا يدري من أين قاله، كالعامي، كغير المتخصص في علوم الشريعة، فإن هذا لا يدري من أين قاله ولا يعرف معنى العام والخاص والمنطوق والمفهوم والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ وما

---

١٢١ الراوي : البراء بن عازب | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الترمذي | الصفحة أو الرقم : ٣٢٦٧ | خلاصة حكم المحدث : صحيح | التخريج : أخرجه الترمذي (٣٢٦٧) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١١٥١٥)، وأحمد (١٥٩٩١)

أشبه ذلك، فهو يقبل قول الغير وهو يعلم ويعتقد فيه أنه لا يقول قولا ولا يفعل فعلا إلا وهو متابع للرسول ﷺ فيه فهذا يكون معذورًا، لأنه هو في الواقع يعتقد أنه يتابع الرسول ﷺ لكن لما لم يمكنه معرفة ما قاله الرسول ﷺ أو ما فعله الرسول واعتقد في متبوعه أنه يعلم ويفعل ما قاله الرسول فإنه يتبعه، هذا لا ينافي معنى قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]؛ لأنه لا يقدر على غير ذلك، ولذلك قال الشيخ ﷺ "فإنه معذور إذا لم يقدر على غير ذلك"انتهى

المقلد القادر على الوصول إلى الرسول ﷺ

وأما إذا قدر على الوصول إلى رسول الله ﷺ، وهذه هي المسألة الثانية، أو هذا هو النوع الثاني من أنواع الإتباع، هذا الذي يعلم أن الرسول ﷺ قال كذا أو فعل كذا، ثم هو يجد متبوعه قد قال بخلاف قول الرسول ﷺ أو فعل خلاف فعل الرسول ﷺ، هذا الآن إذا استمر على متابعة قول متبوعه، أو فعل متبوعه ولو كان خالف قول الرسول أو فعل الرسول ﷺ، فإن هذا لا يكون معذورا، لأنه الآن قد تبين له أن قول متبوعه وفعل متبوعه يخالف قول الرسول ﷺ وفعله، فالله ﷻ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٠]، وقال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ﴾ [الحجرات: ١]: وحينئذ فالواجب على كل أحد أنه متى استبانت له سنة الرسول ﷺ، ومتى استبان له قول الرسول ﷺ ومتى استبان له فعل الرسول ﷺ، فالواجب عليه أن يتبع قول الرسول ﷺ وفعله،ولهذا يقول ﷺ: "وعرف أنه غير من اتبعه أولى به مطلقا أو في بعض الأمور كمسألة معينة ولم يلتفت إلى قول الرسول ﷺ ولا إلى من هو أولى به، فهذا يخاف عليه"انتهى

يعني إما أن يقول إن غير الرسول ﷺ أولى بالإتباع من الرسول ﷺ مطلقا، يقول أتبع هذا المتبوع، هذا المقلد، أو سبيلا معرفيا غير السبيل المعرفي الذي هو معرفة الرسول ﷺ مثل الذي يقول أنا أقدم عقلي مطلقا، أنا أقدم الحس مطلقا، أنا أقدم الكشف والإلهام مطلقا... هؤلاء الذي يقولون نحن نقدم هؤلاء على الرسول ﷺ مطلقا، أو الذي يقول أنا أقدم الرسول ﷺ إلا في هذه المسألة المعينة، إلا في هذا الفرع المعرفي المعين، إلا في هذا العلم المعين، إلا في هذا الحقل المعين، إلا في هذه العبادة المعينة، سواء قدمه مطلقا أو قدمه في مسألة دون أخرى، أو في باب دون باب، هذا وهذا كلاهما يُخاف عليه، إذا كان قادرا على الوصول إلى الرسول ﷺ.

إذن هذا هو الواجب على كل أحد، الإعتصام بحبل الله، وأن لا يقدم على قول الله ﷻ وقول الرسول ﷺ قوله: فمن رفع صوته فوق صوت الرسول هذا يُخشى أن يحبط عمله، كما قال الله ﷻ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات: ٢]،

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣] فكيف بمن يقدم ذوقه وحسه وكشفه وعقله على ماجاء به الرسول ﷺ، هذا أولى أن يحبط عمله، فالواجب علينا الثقة بالله والثقة بما جاء عن رسول الله، وأن نعتصم جميعا بحبل الله ﷻ، هذا هو الواجب علينا.

ولذلك يقول الشيخ رحمه الله: "وكل ما يتعلل به من عدم العلم وعدم الفهم أو عدم إعطاء آلة الفقه في الدين والإعتلال بالأشباه والنظائر، وبأن ذلك المتقدم كان يعلم بمراده ﷺ فهي كلها تعللات لا تفيد"انتهى.

"واعلم أنّ العبادة أربع قواعد"

إذن يقول الشيخ رحمه الله: "واعلم أن العبادة أربع قواعد، وهي التحقيق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه، وقيام ذلك بالقلب واللسان والجوارح"انتهى، يقول: "فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربعة"، فأصحاب العبادة حقا هم أصحابنا، فقول القلب هو اعتقاد ما أخبر الله ﷻ به عن نفسه أو أخبر رسوله ﷺ عن ربه بأسمائه وصفاته إلى آخره...وقول اللسان الإخبار عنه بذلك والدعاء إليه والرد عن البدع المخالفة له، وعمل القلب كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة والخوف والرجاء والإخلاص، وأما أعمال الجوارح كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات...إلخ

مراتب العبادة

"قول القلب"

الشيخ رحمه الله يقول: "إن مراتب العبادة أربعة"، مراتب العبادة يعني: معنى ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] مراتبها أربع، وأولها أن يعتقد الإنسان الحق، فيعتقد ما أخبر الله به عن نفسه أو أخبر به الرسل من الأسماء والصفات والأفعال والإيمان بالملائكة، والإيمان بالبعث، وأن يعتقد أن هذه جميعا حق، كما أخبر الله به، فهذا هو قول القلب يعني اعتقاد القلب.

"قول اللسان"

ثم عندنا قول اللسان، لأن العلماء يقولون: "الإيمان هو قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح"، أو بعض الأحيان يقولون: "الإيمان اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان"، وبعض الأحيان، جاء عند جمع من السلف أنهم يقولون: "الإيمان قول وعمل ونية"، وبعض الأحيان: "قول وفعل ونية"

كان هذا عند جمع غفير من السلف، من أقدم من نقل عنه ذلك، سعيد بن جبير، سفيان الثوري، سفيان بن عيينة، جمع حماد بن زيد، أنهم عبروا عن الإيمان به، قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، أن الإيمان قول وعمل ونية، فهذا أول مراتب العبادة يعني أول مراتب الإيمان، هو أن يعتقد ما أخبر الله به ثم بعد ذلك ينطق بهذا الذي أخبر الله به، ويعتقد بجنانه أنّ الله واحد لا شريك له، ثمّ ينطق بذلك يقول "أشهد أنّ لا إله إلّا الله" يُقِرّ ويعترِف ويعتقِد أنّ محمدًا ابن عبد الله الهاشِمي المُطّلِبي، أنّه رسول الله وأنّه خاتَم رسُله، يَعتقِد بذلك في جَنانِه، ثم يَنطِق "أشهد أنّ محمدًا رسول الله"، وقِسْ على ذلك سائر أعمال الإيمان: يعتقِدها في جَنانِه وينطِق بها في لسانه.

"عمل القلب"

ثمّ بعد ذلك، عندنا عَمَل القلب لأنّ القلب له عمل، ولذلك ذكَر الشيخ له أمثلة كالمحبّة، والتوكّل، والإنابة، والخوف... ولذلك أهل السنة يعتقدون أنّ المعرفة كسبيّة، بخِلاف ما ذهب إليه الأشاعرة، بل نقل الإجماع عن أهل السنة أنّ المعرفة كسبيّة لأنّها ضروريّة، وذكَر الإجماع على ذلك القاضي عياض ﵀ في (**الشرح**)، وكذلك ممّا نقل ابن حجر العسقلاني ﵀ في كتابه (**فتح الباري في شرح صحيح البخاري**)، لقول البخاري أنّ المعرفة فِعل القلب، فالمعرفة كسبيّة من عمل القلب، ولذلك فإنّ المعارف عند أهل السنّة والجماعة كسبيّة.

بخِلاف ما يذهب إليه الأشاعرة أنّ المعارف ضروريّة، ذَكَر هذا الجويني في كتابه (**الإرشاد**) وفي كتابه (**الشامل**)، وذكَره الرازي في (**المطالب العالية**) وذكَره كذلك في (**المباحث المشرقيّة**)، أنّ المعرفة ضروريّة.

وهذا يُخالف ما أجمَع عليه السلف وما أجمَع عليه أهل السنة بأنّ المعارف كسبيّة، المقصود إذًا أنّ القلب له أعمال: وهو التوكّل، والإنابة، والخوف، والرجاء، والإخلاص، والصبر... وما يشبه ذلك.

"أعمال الجوارح"

ثم عندنا أعمال الجوارح التي هي الأعمال الظاهرة: كالصلاة، والجِهاد وغيرهما، مِثل ما ذكَر الشيخ ﵀: "نقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز من الخلق، ونحو ذلك" انتهى

ولذلك، فإنّ الإيمان قول وعمَل: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، ونحن ما عندنا إرجاء، لا نُرجِئ الأعمال عن المُسمّى "الإيمان"، بل نقول إنّ الإيمان قول وعمل، ويأتي إن شاء الله مزيد بَسط لهذه المسائل في "شرح الطحاويّة".

فهذه إذا نُتَف يسيرة ومختصرة أردنا بها أن نأتي على أهمّ ما ذكَره الشيخ بكلام يُبيِّن مقاصِده ﷺ أمّا بسطُها وتحريرها وسَوْق الخِلاف وأقوال الناس فيها فهذا قطعا لا يسَعه المَقام.